# طالب العلم

## والسيرة الأخلاقية

السيد عادل العلوي

٣

الجزء الثالث

أخلاق

بسم الله الرحمن الرحیم

# طالب العلم و السيره الاخلاقيه

كاتب:

عادل علوى

نشرت فى الطباعة:

الموسسه الاسلاميه العامه للتبليغ والارشاد

رقمی الناشر:

مركز القائمیهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس


الفهرس ----- ۵

طالب العلم و السیره الاخلاقیه ----- ۷

اشاره ----- ۷

اشاره ----- ۷

الإهداء ----- ۱۰

المقدّمه ----- ۱۳

الدرس الأوّل : ما هو الأدب ، ولماذا الآداب الإسلامیّه؟ ----- ۲۹

الدرس الثانی ----- ۴۵

اشاره ----- ۴۵

الأمر الأوّل : صدق النیّه ----- ۴۵

الدرس الثالث ----- ۶۳

اشاره ----- ۶۳

الأمر الثانی : اغتنام الفرصه ----- ۶۳

الأمر الثالث : قطع العلائق المانعه من تحصیل العلم ----- ۶۹

الأمر الرابع : عدم الزواج المبکّر ----- ۷۰

الدرس الرابع ----- ۷۱

اشاره ----- ۷۱

الأمر الخامس : ترک العِشره ----- ۷۱

الدرس الخامس ----- ۷۹

اشاره ----- ۷۹

الأمر السادس : الحرص علی التعلّم ----- ۷۹

الأمر السابع : علوّ الهمّه ----- ۸۱

الأمر الثامن : رعایه ترتّب العلوم ----- ۸۲

الدرس السادس ----- ۸۵

اشاره ---------- ۸۵

الأمر التاسع : اختيار المعلّم الصالح ---------- ۸۵

الأمر العاشر : تعظيم المعلّم والتواضع له ---------- ۹۳

الأمر الحادی عشر : رعایه آداب محفل الدرس ---------- ۱۱۰

الدرس السابع ---------- ۱۱۵

الأمر الثانی عشر : حسن الخلق والحلم ---------- ۱۱۵

الأمر الثالث عشر : عفّه النفس وعزّتها ---------- ۱۲۳

الدرس الثامن ---------- ۱۳۵

الأمر الرابع عشر : الدعاء والتوسّل وصلاه اللیل ---------- ۱۳۵

الدرس التاسع ---------- ۱۵۵

الأمر الخامس عشر : مداراه الناس ورعایه الآداب الاجتماعیه ---------- ۱۵۵

الدرس العاشر ---------- ۱۶۷

الأمر السادس عشر : الزهد والحیاه المتواضعه ---------- ۱۶۷

الفهرست ---------- ۱۸۴

تعریف مرکز ---------- ۱۸۶

## طالب العلم و السیره الاخلاقیه

### اشاره

سرشناسه : علوی عادل - ۱۹۵۵

عنوان و نـام پدیـدآور : طالب العلم و السیره الاخلاقیه خصائص القائـد الاسـلامی فی القران الکریم اخلاق الطبیب فی الاسـلام دوره الاخلاق المحمدیه فی تحکیم مبانی الوحده الاسلامیه رسالتنا/ تالیف عادل العلوی مشخصات نشر : قم الموسسه الاسلامیه العامه للتبلیغ و الارشاد، ۱۴۱۷ق = ۱۴۱۸ - ۱۳۷۵ق = ۱۳۷۶ [ج ]۱۳۷۶ :۱.

مشخصات ظاهری : ۵ ج در یک مجلدجدول فروست : (موسوعه رسالات اسلامیه الجزآ الثالث اخلاق

شابک : ۱۵۰۰۰ریـال یـادداشت : عربی یادداشت : چهارمین عنوان مربوط به "کنفرانس بین المللی وحـدت اسـلامی (هفتمین شهریور: ۱۳۷۳)" است یادداشت : کتابنامه موضوع : احادیث خاص (مستغنیات اهل کل بلد) -- نقد و تفسیر

موضـوع : اخلاـق اسـلامی موضـوع : طلاـب -- اخلاـق موضـوع : فرمانـدهی (اسـلام -- جنبه هـای قرآنی موضوع : پزشـکان اسلامی -- اخلاق موضوع : اسلام -- تبلیغات موضوع : وحدت اسلامی شناسه افزوده : موسسه اسلامی تبلیغ و ارشاد

شناسه افزوده : کنفرانس بین المللی وحدت اسلامی (هفتمین = ۱۳۷۳: تهران

رده بندی کنگره : BP۱۴۵ /م۵ع۸ ۱۳۷۶

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۲۱۸

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۸-۸۵۹۰

ص: ۱

### اشاره

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال الإمام الصادق عليه السلام : لا يستغنى أهل كلّ بلد عن ثلاثه يفزع إليهم فى أمر دنياهم وآخرتهم ، فإن عدموا ذلك كانوا همجا : فقيهٌ عالمٌ ورع ، وأميرٌ خيّرٌ مطاع ، وطبيبٌ بصيرٌ ثقه. ( تحف العقول )

شاء اللّه سبحانه من دون التفات وقصد ، وفى أزمنه مختلفه ، أن أكتب عن هؤلاء الثلاثه وصفاتهم وأخلاقهم من خلال القرآن الكريم والسنّه الشريفه. فالأوّل : فى رساله ( طالب العلم والسيره الأخلاقيّه ) ، والثانى : فى رساله ( خصائص القائد الإسلامى فى القرآن الكريم ) ؛ وطبعته فى أعداد من مجلّه ( نور الإسلام ) البيروتيّه ، فجدّدت طبعها مع تنقيح وإضافات ، والثالثه : فى رساله ( أخلاق الطبيب فى الإسلام ) ، فجمعت هذه الرسائل فى هذا المجلّد الثالث من موسوعه ( رسالات إسلاميّه ). ومن اللّه التوفيق والسداد.

* * *

---

كتاب

طالب العلم والسيره الأخلاقيه

تأليف _ السيّد عادل العلوى

---

نشر _ المؤسسه الإسلاميه العامه للتبليغ والإرشاد

إيران ، قم ، ص. ب ۳۶۳۴

الطبعه الاُولى _ ۱۴۱۸ هجرى قمرى

الكميه المطبوعه _ ۱۰۰۰ نسخه

المطبعه _ النهضه ، قم

قيمت ۱۵۰۰ تومان

---

طبع هذا المجلّد على نفقه المرحومه المغفور لها الحاجّه زهراء علائى ، تغمّدها اللّه برحمته الواسعه وأسكنها فسيح جنانه، ورحم

اللّه من قرأ الفاتحه على روحها الطاهره.

## الإهداء

إلى : قطب عالم الإمكان ، وليّ الله الأعظم مولانا وإمامنا صاحب الزمان (عليه السلام).

إلى : السلف الصالح من علمائنا الأعلام وفقهائنا العظام.

إلى : شهيد الإسلام الشهيد الثانی الشيخ زين الدين بن علی العاملی قدّس سرّه الشريف.

إلى : طلّاب العلوم وروّاد الفضائل وعشّاق الأخلاق.

أُقدّم هذا الجهد المتواضع برجاء القبول والدعاء والشفاعه يوم القيامه ، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونَ إلّا من أتی الله بقلب سليم.

العبد

عادل العلوی

بسم الله الرحمن الرحيم

( الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولايخشون أحداً إلاّ الله )

(القرآن الكريم _ الأحزاب : ٣٩)

موسوعه

رسالات إسلاميّه

مئه وعشرن كتاباً ورسالهً فى شتّى العلوم والفنون الإسلاميه بقلم سماحه الاُستاذ العلاّمه السيّد عادل العلوى دام ظلّه.

بعد الاتّكال على الله وعنايه رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام عزمت مؤسستكم (المؤسسه الإسلاميه العامه للتبليغ والإرشاد _ إيران _ قم ص ب ٣۶٣۴) على طبعها ونشرها ضمن مجلّدات :

صدرت الأجزاء التاليه :

الجزء الأوّل : (محاضرات عقائديه) (۴٧۴ صفحه).

١ _ دروس اليقين فى معرفه اُصول الدين.

الجزء الثانى : (فقه استدلالى) (۴٩٠ صفحه).

٢ _ زبده الأفكار فى طهاره أو نجاسه الكفّار.

٣ _ التقيّه فى رحاب العلمين الشيخ الأنصارى والإمام الخمينى (الطبعه الثانيه).

۴ _ التقيّه بين الأعلام (السنّه والشيعه) (الطبعه الثانيه).

الجزء الثالث : (أخلاق) (۵۶٨ صفحه).

۵ _ طالب العلم والسيره الأخلاقيه (دروس فى الأخلاق).

۶ _ خصائص القائد الإسلامى فى القرآن الكريم (الطبعه الثانيه).

٧ _ أخلاق الطبيب فى الإسلام.

٨ _ رسالتنا (الطبعه الثانيه).

۹ _ دور الأخلاق المحمّديه فی تحکیم مبانی الوحده الإسلامیه (الطبعه الثانیه).

الجزء الرابع : (أخلاق _ أدعیه) (۴۰۸ صفحه).

۱۰ _ التوبه والتائبون علی ضوء القرآن والسنّه.

نحمدالله ونسأله أن یوفّقنا ویسدّد خطانا فی إتمام هذا المشروع الضخم ، کما ونشکر أیادی الفضل والجمیل والسخاء فی مساهمتهم ومؤازرتهم فی دعم مشاریع (المؤسسه) الدینیه والخیریه والثقافیه ، ومن الله الکریم العون والسداد والتوفیق والرشاد ، وطابت أوقاتکم ، ودمتم بخیر.

_ الناشر _

ص: ۴

## المقدّمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاه والسلام على منجى البشريّه ومنقذها من الجهل والضلال محمّد وعلى آله الأطهار الأئمه الهداه الميامين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

أمّا بعد :

قال الله تعالى فى محكم كتابه ومبرم خطابه :

( الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإنْسانَ عَلَّمَهُ البَيانَ ) (١).

الرحمن اسمٌ جامع من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا ، وإنّه صفه عامّه ، فإنّه رحمان على المؤمن والكافر ، وبرحمانيّته ورحيميّته العامّه ، يرزقهما فى الدنيا ، ويسخّر لهما ما فى السماوات والأرض ، وهداهما إلى الصراط المستقيم بإرساله الرسل وإنزاله الكتب ، وأمّا الرحيميه الخاصّه وأنّه الرحيم ، فإنّها مختصّه بالمؤمنين ، وإنّها قريبه من المحسنين ، كما جاء ذلك فى الآيات الكريمه والروايات الشريفه.

فإنّه برحمانيّته ابتدأ سوره الرحمن ليدلّ على أنّ المعلّم لا بدّ له من رحمه وشفقه على كلّ الطلّاب على السواء ، ثمّ علّم القرآن قبل خلق الإنسان ، وهذا يعنى



---

١- ١. الرحمن : ١ ــ ٣.

أنّ القرآن كان قبل الإنسان ، ثمّ خلقه وعلّمه البيان ، بيان ما جاء فی القرآن ، الـذی هو مجموع ما جاء فی الكتب السـماویه وفیه كلّ شیء :

( وَكُلَّ شَیْءٍ أحْصَیْناهُ فی إمامٍ مُبینٍ ) (١).

( وَكُلَّ شَیْءٍ أحْصَیْناهُ كِتاباً ) (٢).

وإنّما الله یعلّم الإنسان البیان بحجّته الباطنیه (العقل السـلیم والفطره السـلیمه) وبحجّیته الظاهریّه النبیّ الأكرم (صـلی الله علیه وآله) والإمام المعصوم (علیه السلام) ، كما قال الله تعالی :

( وَأنْزَلْـنا إلَیْكَ الذِّكْرَ لِتُبَیِّنَ لِلـنَّاسِ ما نَزَلَ إلَیْهِمْ ) (٣).

فخلق الإنسان كان بین علمین : علم القرآن وعلم البیان.

وهذا إنّما یدلّ علی عظمه الإنسان وشرف العلم ، وأنّه الأساس فی كلّ شیء ، (وبه یمتاز الإنسان عن باقی الحیوانات ، لأنّ جمیع الخصال سوی العلم یشترک فیها الإنسان وسائر الحیوانات ، كالشـجاعه والقوّه والشفقه وغیر ذلک ، وبه أظهر الله فضل آدم علی الملائكه وأمرهم بالسـجود له ، وهو الوسـیله إلی السـعاده الأبـدیّه إن وقع علی مقتضاه ، فالعلم الـذی یفرض علی المكلّف بعینه یجب تحصیله ، وتجبر علیه إن لم یحصل.

والـذی یكون الاحتیـاج به فی الأحیان فرض علی سبیل الكفایه ، وإذا قام به البعض سـقط عن الباقی ، وإن لم یكن فی البلـد من یقوم به اشتركوا جمیعاً فی تحصیله بالوجوب) (٤).



---

١- ١. یس : ١٢.

٢- ٢. النبأ : ٢٩.

٣- ٣. النحل : ۴۴.

۴- ۴. آداب المتعلّمین جامع المقدّمات ٢ : ۵١.

ثمّ الرسول الأكرم الذى نزل عليه القرآن الكريم ، قد خلّف وترك بعد رحلته (كتاب الله والعتره الطاهره) الذين يفسّرون ويبيّنون ما جاء فى القرآن ، فإنّما يعرف القرآن من خوطب به ، وإنّما نزل الكتاب فى بيوتهم ، فهم معدن العلم ومهبط الوحى وعيبه علم الله (عليهم السلام) أبد الآبدين.

ثمّ لن يفترقا (الكتاب والعتره) حتّى يوم القيامه ، كما جاء ذلك فى حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين ، فى قول الرسول الأعظم فى عدّه مواطن : « إنّى تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىَّ الحوض » (١) ، ولن تفيد التأبيد ، أى أبداً لن يفترقا ، وكلّ ما فى القرآن إنّما هو عند العتره الطاهره ، وكذلك العكس ، وهذا يعنى أنّ القرآن على نحوين : قرآن علمىّ (القرآن الصامت المدوّن) ، وقرآن عينى (القرآن الناطق) وهم الذين تجسّد فيهم القرآن الكريم ، كما كان النبىّ ، وأنّه حينما سئلت عائشه عن خلق النبىّ ، لأنّ الله قد مدحه بخلقه فى قوله :

(وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُق عَظیم ) (٢).

فأجابت : كان خلقه القرآن. أى كان يجسّد القرآن فى سيرته وسلوكه ، فتظهر الآيات القرآنيه على أفعاله وأعماله.

وإذا لن يفترق الكتاب والعتره فى النهايه ، فكذلك لن يفترقا فى البدايه ، ولمثل هذا قال النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) : « أوّل ما خلق الله نورى » ، واشتقّ من نورى نور علىّ ، ثمّ نور فاطمه الزهراء والأئمه (عليهم السلام) ، فكانوا فى عالم الأنوار والأرواح قبل



---

١ - ١. لقد ذكرت تفصيل مصادر الحديث الشريف بين الفريقين السنّه والشيعه والمقارنه بين القرآن والعتره فى رساله (فى رحاب حديث الثقلين) ، فراجع.

٢- ٢. القلم : ۴.

خلق آدم ، « فجعلهم الله أنواراً بعرشه محدقين » ، « فرتبه القرآن العينى وزان رتبه القرآن العلمى ، وكما إنّهما فى أصل الوجود متكافئان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر ، كذلك فى رتبه الوجود أيضاً لا يفترق أحدهما عن الآخر ، فعند ثبوت وصف كمالى لأحدهما بالمطابقه ، يحكم بثبوت ذلك الوصف للآخر بالالتزام ، مثلا عند ثبوت تعدّد أنحاء الدعوه للقرآن العلمى ، وإنّه يدعو الناس إلى سبيل الله بالحكمه والموعظه الحسنه ، ويجادلهم بالتى هى أحسن ، يحرز بأنّ أنحاء دعوه القرآن العينى أيضاً كذلك ، وكما أنّ القرآن العلمى يهدى للتى هى أقوم ، كذلك القرآن العينى ــ أى المعصوم (عليه السلام) ــ يهدى للطريقه المثلى التى هى أقوم الطرق والعروه الوثقى التى هى أوثق العُرى » (١).

فالإنسان الكامل المعصوم (عليه السلام) ــ أى الإمام ــ قرآن عينىّ كما أنّ القرآن إمام علمىّ ، فلذا يدعو كلّ واحد منهما الناس إلى صاحبه ، يعنى أنّ القرآن يدعوهم إلى إمامه الإمام وإطاعته كما قال سبحانه :

( يا أَيُّها الـذَّينَ آمَنوا أطيعوا اللهَ وَأطيعوا الرَّسولَ وَأُولى الأمْرِ مِنْكُمْ ) (٢) ، كذلك الإمام الرضا (عليه السلام) يقول حول القرآن الكريم : « لا تطلبوا الهدى فى غيره فتضلّوا » ، فكلّ ما فى القرآن هو عند العتره الطاهره ، وكلّ ما عندهم هو فى القرآن ، فإنّهما لن يفترقا ، فى مبدئهما ومنتهاهما ، ولا ينفكّان فى الأوصاف الكماليه ، وهما مظهران لله الذى ليس كمثله شىء ، وإنكارهما والإعراض عنهما جاهليه ، وهما ميزان الأعمال ، وإذا كان القرآن العلمى يزداد غضاضه فى كلّ عصر :



---

١- ١. على بن موسى الرضا والقرآن الكريم : ٣١.

٢- ٢. النساء : ٥٩.

( وَآتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأل ـْتُموهُ ) (١).

فكـذلك العتره الطاهره ، أئمّه الحقّ المعصومون (عليهم السـلام) ، وإذا كان القرآن مصاحباً للحقّ من مبدأ ظهوره وصدوره إلى منتهى نزوله وهبوطه ، لاـ يـأتيه الباطـل من بين يـديه ولا من خلفه وإنّه حيّ لا يموت ، فهو المظهر التامّ لله سـبحانه ، فهو فى كلّ زمان جديـد وعنـد كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامه ، كذلك العتره الطاهره (عليهم السـلام) ، وهما مظهران تامّان للإسم المهيمن ، وحيث إنّ الإمـام المعصوم قرآن ممثّـل يوجـد فى كلمـاته محكمـات ومتشابهات كالقرآن العلمى ، فهما نور إلهى متنزّل من الله سبحـانه ، وإنّ الإنسان الكامل الإمام المعصوم إنّما هو ترجمان القرآن الكريم ، فلا يصـحّ الفرق بينهما بأن يقال : « حسـبنا كتاب الله » أو : حسـبنا ما جاء عن العتره الطاهره ، ويتمسّك بأحـدهما دون الآخر ، إذ كلّ واحد من دون الآخر بمنزله تركهما معاً ، فلا يجوز التفريـط والإفـراط فيهمـا ، فكـلّ واحـد منهمـا جـاهليه جهلاء ، فالحياه العقليه اتّباعهما كما جاء فى حـديث الثقلين : « إنّى تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، فانظروا كيف تخلفونى فيهما » (٢).

فخلق الإنسان إنّما كان بين علمين وبين قرآنين ، وهذا إنّما يدلّ على كرامه الإنسان وفضيلته وشرافته على جميع المخلوقات :

( وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنى آدَمَ ) (٣).

ثمّ هدى الله الإنسان النجدين : نجد الخير ونجد الشرّ ، وجعل فيه الاختيار



---

١- ١. إبراهيم : ٣۴.

٢- ٢. المصدر : ۴١ ، عن مسند الإمام الرضا (عليه السلام) ١ : ١٠۶.

٣- ٣. الإسراء : ٧٠.

والقدره ، فإمّا أن يكون كفوراً ، وكان جهولا عجولا ، وإمّا أن يكون شاكراً عالماً صبوراً.

وقد أتمّ الله الحجّه عليه ، بحجّه ظاهريه ، وهم الأنبياء والكتب السماويه والعلماء الصالحين ، وبحجّه باطنيه وهو العقل والفطره :

( وَلِلهِ الحُجَّهُ البالِغَهُ ) (١).

فبعث الله ١٢٤- ألف نبيّ _ كما جاء في رواياتنا _ لهدايه الإنسان وتربيته ، وليقيموا بين الناس بالقسط ، وليخرجونهم من الظلمات إلى النور.

فأوّل الأنبياء آدم أبو البشر (عليه السلام) ، وآخرهم خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد (صلى الله عليه وآله).

فجاء بدين الإسلام الحنيف للناس كافّه ، إلى يوم القيامه :

( لِيُظْهِرَهُ عَلى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكونَ ) (٢).

والإسلام إنّما هو مجموعه قوانين إلهيّه _ اُصول وفروع _ وضعها الله سبحانه لسعاده الإنسان ، وتعديل وتنظيم حياته الفرديه والاجتماعيه في كلّ المجالات والميادين ، إلاّ أنّ الطابع العامّ على الإسلام أنّه مدرسه أخلاقيه وجامعه تربويّه ، فإنّ حدود الإسلام هي مكارم الأخلاق ، حيث حدّده النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) بفلسفه بعثته في قوله : « بُعثت لاُتمّم مكارم الأخلاق » ، وبهذا حدّد حقيقه الإسلام والاُمّه المسلمه. فالإسلام مدرسه (مكارم الأخلاق) ، وجهاده الأكبر جهاد النفس الأمّاره بالسوء ، والعالم بالله العارف بدينه هو المحور في ساحه الجهاد الأكبر وعليه تدور رحاها ، فالعلماء والصلحاء إنّما تشكّل سيرتهم امتداداً حقيقياً لصاحب الخلق



---

١- ١. الأنعام : ١٤٩.

٢- ٢. التوبه : ٣٣.

العظيم محمّد (صلى الله عليه وآله) ، فهم القدوه والنماذج الصالحه التى يجب على الاُمّه التواصل معها والاهتداء بهديها ...

وأنّ الله جلّ وعلا لم يمنّ على الإنسان ، لا سيّما المؤمن بما تنعّم عليه من النعم الظاهريه والباطنيه :

( وَإنْ تَعُدُّوا نَعْمَهَ اللهِ لا تُحْصوها ) (۱).

إلاّ فى موردين كما فى كتابه الكريم :

الأوّل : ختم النبوّه بسيّد الأنبياء وأشرف خلق الله محمّد (صلى الله عليه وآله) ، وإنّما اُرسل فى عصر الجاهليه الاُولى لينقذ البشريه من الجهل والضلال ، فكانت رسالته السماويه مطلع نور فى اُفق الإنسانيه ، وإنّما جاء ليزكّى المؤمنين ويعلّمهم الكتاب والحكمه ، وهذا يعنى أنّ حقيقه كمال المؤمن وبلوغه المقامات العاليه والدرجات الرفيعه ، حتّى يكون عند مليك مقتدر فى مقعد صدق ، إنّما هو بالتزكيه والعلم ، فيحلّق الإنسان بهذين الجناحين فى آفاق السعاده الأبديه ، وإنّما قدّمت التزكيه ربما لبيان أهمّيتها وعظمه رتبتها ، وإلاّ فإنّ الإنسان لا بدّ له فى سيره التكاملى الإنسانى الإلهى من التزكيه والعلم سويّهً ومعاً.

فالله سبحانه منّ على المؤمنين بهذه النعمه العظمى ـ فى بدايه الإسلام ونشره ـ فى الجاهليّه الاُولى ، الجاهليّه الجهلاء التى كانت عن جهل ، كما فى قوله تعالى :

( لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلى المُؤْمِنينَ إذْ بَعَثَ فيهِمْ رسولا مِنْ أنْفُسِهِمْ يَتْلو عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمَهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَهَ وَإنْ كانوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلال مُبين ) (۲).



---

۱- ۱. إبراهيم : ۳۴.

۲- ۲. آل عمران : ۱۶۴.

الثانی : ظهور خاتم الأوصیاء المهدی والقائم من آل محمّد (علیهم السلام) ، فإنّه سیظهر بعد الجاهلیه الثانیه التی تکون عن علم :

( أَفَرَأَیْتَ مَنِ اتَّخَذَ إل_هَهُ هَواهُ فَأَضَلَّهُ اللهُ عَلی عِل_ْم ) (۱).

ویکون ذلک فی آخر الزمان ، لیملأ الأرض قسطاً وعدلا بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

فالله سبحانه وعد المؤمنین ومنّ علیهم بهذه النعمه العظمی ، بأنّ الدین الإسلامی سیکون هو الحاکم علی الأرض ، وتکون الحکومه العالمیه بید المؤمنین عباد الله الصالحین ، کما فی قوله تعالی :

( وَنُریدُ أنْ نَمُنَّ عَلی الَّذینَ اسْتُضْعِفوا فی الأرْضِ وَنَجْعَل_ْهُمْ أئِمَّهً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثینَ ) (۲).

ثمّ الآیه الاُولی تبیّن سبب الرساله الإسلامیه ومحتواها :

( یُزَکِّیهِمْ وَیُعَلِّمَهُمُ ) .

فإنّها عباره عن التزکیه والتعلیم.

ومن لطف الله سبحانه حیث خلق الإنسان ، وکلّفه لیعرّضه إلی الثواب والنعیم الأبدی ، قد أودع فیه الخمره الاُولی ورأس المال الأوّلی لتزکیته وتربیته ، وذلک عباره عن (الإلهام) إلهام عامّ یتعلّق بالخیر والشرّ ، فعرّفه فی فطرته وعقله وروحه ونفسه وقلبه ، أوّلا التقوی والفجور ، ثمّ کمّل وعضد ذلک الإلهام ببعث الأنبیاء وأوصیائهم وورثتهم من العلماء الصالحین ، فقال سبحانه :



---

۱- ۱. الجاثیه : ۲۳.

۲- ۲. القصص : ۵.

( فَأَل ـْهَمَها فُجورَها وَتَقْواها قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ) (۱).

وهـذا مـن تمـام الحجّ ه الإلـهيّه البـالغه ، فتـدبّر. فلاـ مفرّ بعدئـذ يـوم القيـامه من حكـومه الله جـلّ جلاـله ، ولاـ يمكن الفرار من حكومتك.

فكلّ واحد بفطرته السـليمه الموحّده يعرف الخير من الشـرّ ، والصالح من الطالح ، والسـقيم من الصحيح ، والباطل من الحقّ. ولا بدّ أن يتحرّك هو أوّلا فی تهذيب نفسه وصـيقله قلبه ، ثمّ لا بدّ له من إرشاد الحكيم ــ فإنّه كما ورد فی الخبر الشـريف : هلك من لم يكن له حكيمٌ يرشـده ــ وهـدايه النـبیّ إنّمـا تكـون بمنزله السـائق والقائـد ، وكلاـمه الحقّ بمنزله وقود لـديمومه الحركه وتسريعها.

فخلاصه الإسلام وجوهريّته هو الأخلاق ــ تخلّقوا بأخلاق الله ، كما عن الإمام الصادق (عليه السلام) ــ حتّی عُدّ الأخلاق وعلمه من أهمّ الواجبـات الإسـلاميه ، لأنّ الله إنّمـا يقسم فی كتـابه علی مـا كـان بـالغ الأهـميّه ، ولم يقسم علی شـیء كمـا أقسم علی الأخلاق ، فإنّه فی سوره الشمس بعد أحد عشر قسماً ، يشير إلی عظمه الأخلاق والتزكيه فی قوله تعالی :

( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ) .

ولولا حسن الخلق لما كان الإنسان ينتفع ــ كما هو المطلوب ــ من عقائده الصـحيحه ــ علم الكلام ــ ومن صلاته وصومه وغير ذلك ــ علم الفقه ــ وهذه العلوم الثلاثه إنّما هی من علوم الآخره كما ورد فی الحديث النبویّ الشريف : « إنّما العلم ثلاثه : آيه محكمه ، وفريضه عادله ، وسنّه قائمه » (۲).



---

۱- ۱. الشمس : ۸.

۲- ۲. لقد شرحنا هذا المعنی فی كتاب « التوبه والتائبون علی ضوء القرآن والسنّه » ، وهو مطبوع ، فراجع.

وقد ورد فى الحديث الشريف : « إنّ الله يحبّ الكافر السخىّ ، ويبغض المؤمن البخيل » ، أى إنّه يحبّ عمل الكافر وهو السخاء لا ـ ذاته ، كما إنّه يبغض عمل البخل حتّى لو كان ذلك من المؤمن ، وما أكثر من كانوا يحملون صفات طيّبه كانت سبباً لهدايتهم وتوبتهم وتوجّههم إلى الله سبحانه ، وكم من صالح فى بدايه أمره ، إلاّ ـ أنّه هلك وأصبح من الأشقياء ومن زمره الظالمين ، لما يحمل من صفات ذميمه ، فحبط عمله وانحرف عن الصراط المستقيم ، واستهواه الشيطان واستحوذ عليه.

( اللهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ وَالَّذينَ كَفَروا أَوْلِيائُهُمُ الطَّاغوتُ يُخْرِجونَهُمْ مِنَ النُّورِ إلى الظُّلُماتِ ) (١).

ومن تفسيرها أنّهم يخرجونهم من نور الأخلاق الحميده إلى ظلمات الأخلاق السيّئه.

وبنظرى أهمّ العلوم إنّما هو علم الأخلاق ، وإنّ جميع القيم والمثل العليا والعلوم النافعه ، ترتكز على محور تزكيه النفس. وإذا لم يتمّ غسل القلب وتطهيره من الصفات الذميمه والسجايا الرذيله والخبائث النفسيه ، فإنّه لن يكون باستطاعه شىء حتّى العلم ، أن ينجّى الإنسان ، بل من لم يهذّب نفسه ، لم ينفعه العلم ، وإنّما يكون عليه وبالا ، ويكون هو الحجاب الأكبر ، ولم يزدد بعلمه من الله إلاّ بعداً ، ويسلب منه حلاوه المناجاه ـ كما ورد فى الروايات الشريفه ـ.

وإنّما أفتى الشيخ ابراهيم الزنجانى من المعمّمين ـ كان يرتدى زىّ أهل العلم ـ بقتل الشهيد الشيخ فضل الله النورى (قدس سره) ، وإنّما أفتى بذلك لشقاوته لأنّه لم يهذّب نفسه فى الحوزه.

وحدّثنا سيّدنا الأُستاذ آيه الله العظمى السيّد محمّد رضا الگلپايگانى (قدس سره) فى



---

١- ١. البقره : ٢٥٢.

درس خارج الفقه كتاب القضاء سنه ۱۴۰۱ ، قال :

كان فی السنین السابقه معمّماً وصل إلی درجه الاجتهاد ، وحین الاحتضار وهو علی فراش الموت ، زاره زمیله فی الدراسه وکان من مراجع التقلید فی زمانه ، فأخذ یلقّن زمیله بالشهادتین ، إلاّ أنّ صاحبه کان یمتنع من ذلک ، فتعجّب من أمره ، وألحّ فی تلقینه ، ولکن ما کان من صاحبه إلاّ الإباء والامتناع ، وفی آخر الأمر طلب ذلک المجتهد الشقیّ ــ الذی کان یتصارع مع الموت ــ القرآن ، فجیء به ، ففتح ذلک ، ثمّ قال لزمیله : یا هذا ، هل تذکر أیّام تحصیلنا فی بدایه شبابنا؟ فقال له : نعم ، أذکر ذلک. فقال له : مَن کان أعلم وأفهم من الآخر ، أنا أم أنت؟ فقال له : أنت کنت أفهم منیّ لتلقیّ الدرس واستیعابه وحفظه. وهکذا کان یسأله عن سیره الدرسی ، وصاحبه یقول : کنت أنت أعلم منیّ. فقال له فی آخر الأمر : ولکن وصلت المرجعیّه إلیک ، ولم تصل إلیَّ ، وهذا یعنی أنّ الله ظلمنی. ثمّ بصق فی القرآن الکریم ومات من دون الشهادتین. نسأل الله أن یجعل عواقب اُمورنا خیراً.

ولا شکّ أنّه مات کافراً ، وهذا نتیجه عدم التهذیب من الیوم الأوّل فی کسب العلوم ، فإنّ هدفه کان الوصول إلی الجاه والمقام الدنیوی. وکان سیّدنا الاُستاذ (قدس سره) یحدّثنا بهذه القصّه المرعبه والرهیبه لتصحیح النوایا من بدایه الأمر ، وإلاّ فإنّ ما یبطنه الإنسان مهما أراد إخفائه فإنّه یظهر عند موته ، والعیاذ بالله. نسأل الله حسن العاقبه ، ولا بدّ للمؤمن أن یکون بین الخوف والرجاء ، فهما نوران فی قلبه لو وزن هذا علی هذا لم یزدد أحدهما علی الآخر.

وما أکثر الآیات الکریمه والروایات الشریفه التی تذمّ علماء السوء أصحاب الدنیا والجاه والمقام الذین لم یهذّبوا أنفسهم ولم یجاهدوها ــ وهو الجهاد الأکبر ــ ویقول أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) : « قصم ظهری إثنان : عالمٌ متهتّک ، وجاهل

متنسّک ، فالجاهل يغشّ الناس بتنسّکه والعالم ينغرهم بتهتّکه » (۱).

فلا بدّ من الأخلاق ومکارمها ومعاليها ، وإنّما يحصل عليها الإنسان لا سيّما طالب العلم بالجهاد الأکبر ، أی محاربه النفس الأمّاره بالسوء (بالتخليه والتحليه والتجليه التی تعدّ هذه المراحل الثلاثه خلاصه علم الأخلاق والسير والسلوک).

(فينبغی لطالب العلم أن لا يغفل عن نفسه وما ينفعها وما يضرّها فی أوّلها وآخرها فيستجلب بما ينفعها ، ويتجنّب عمّا يضرّها لئلّا يکون عقله وعلمه حجّه عليه فيزداد عقوبه) (۲).

ثمّ العلم النافع الحقّ ، إنّما هو معرفه سلوک الطريق إلی الله سبحانه وقطع عقبات القلب التی هی الصفات الذميمه ، وهی الحجاب بين العبد وربّه سبحانه وتعالی.

قال الشهيد الثانی فی کتابه القيّم « منيه المريد فی أدب المفيد والمستفيد » : « إعلم أنّ العلم بمنزله الشجره ، والعمل بمنزله الثمره ، والغرض من الشجره المثمره ليس إلّا ثمرتها ، أمّا شجرتها بدون الاستعمال ، فلا يتعلّق بها غرض أصلا ، فإنّ الانتفاع بها فی أيّ وجه کان ضرب من الثمره بهذا المعنی.

وإنّما کان الغرض الذاتی من العلم مطلقاً العمل ، لأنّ العلوم کلّها ترجع إلی أمرين : علم المعامله ، وعلم المعرفه. فعلم المعامله هو معرفه الحلال والحرام ونظائرهما من الأحکام ومعرفه أخلاق النفس المذمومه والمحموده ، وکيفيه علاجها والفرار منها ، وعلم المعرفه کالعلم بالله تعالی وصفاته وأسمائه ، وما عداهما من العلوم إمّا آلات لهذه العلوم أو يراد بها عمل من الأعمال فی الجمله ، کما لا يخفی علی

ص: ۱۶

---

۱- ۱. منيه المريد : ۱۸۱.

۲- ۲. آداب المتعلّمين ، جامع المقدّمات ۲ : ۵۰.

من تتبعها ، وظاهر أنّ علوم المعامله لا تراد إلّا للعمل ، بل لولا الحاجه إليه لم يكن لها قيمه » (۱).

ثمّ الشهيد الثانی (قدس سره) فی كتابه (المنيه) بعد أن يذكر فضل العلم من القرآن الكريم والنبیّ الأكرم وأهل بيته الأطهار وما جاء فی الكتب السالفه والحكم القديمه والدليل العقلی الدالّ علی ذلك ، وأنّ آداب العلم تاره باعتبار اشتراك المعلّم والمتعلّم فيها ، واُخری باعتبار ما يختصّ بالمعلّم ، ثمّ ما يختصّ بالمتعلّم ، فيقول فی الآداب التی اشتركا فيها وهی قسمان : آدابهما فی أنفسهما وآدابهما فی مجلس الدرس ، والقسم الأوّل فيه اُمور أوّلها : ما يجب عليهما من إخلاص النيّه لله تعالی فی طلبه وبذله ، فإنّ مدار الأعمال علی النيّات ، وبسببها يكون العمل تارهً خَزَفه لا قيمه لها ، وتارهً جوهره لا يُعلم قيمتها لِعِظم قدرها ، وتاره وبال علی صاحبه مكتوب فی ديوان السيّئات ، وإن كان بصوره الواجبات.

فيجب علی كلّ منهما أن يقصد بعلمه وعمله وجه الله تعالی وامتثال أمره وإصلاح نفسه ، وإرشاد عباده إلی معالم دينه ، ولا يقصد بذلك غرض الدنيا من



---

۱ - ۱. منيه المريد ، تحقيق رضا المختاری : ۱۵۰ ، ويضمّ الكتاب علی مقدّمه فی فضل العلم من الكتاب والسنّه والأثر ودليل العقل ، وعلی أبواب أربعه : الأوّل فی آداب المعلّم والمتعلّم ، والثانی فی آداب الفتوی والمفتی والمستفتی ، والثالث فی المناظره وشروطها وآدابها وآفاتها ، والرابع فی آداب الكتابه وما يتعلّق بها ، والخاتمه فی مطالب مهمّه فی أقسام العلوم الشرعيّه والفرعيّه وغيرها ، وتتمّه الكتاب فی نصائح مهمّه لطلاّب العلوم ، فراجع ، فإنّه قد أوصی السلف الصالح من علمائنا الأعلام بمدارسه ومطالعه هذا الكتاب القيّم ولو لعشر مرّات ، بل قيل فی كلّ سنه مرّه ، حتّی من وصل إلی درجه الاجتهاد بل والمرجعيّه ، فإنّه لا يستغنی عن هذا الكتاب وعن الموعظه والنصيحه.

تحصيل مال أو جاه أو شهره أو تميّز عن الأشباه أو المفاخره للأقران أو الترفّع على الإخوان ونحو ذلك ، من الأغراض الفاسده التى تثمر الخذلان من الله تعالى ، وتوجب المقت ، وتفوّت الدار الآخره والثواب الدائم فيصير من :

( الأَخْسَرِينَ أعْمالا الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعاً ) (۱).

والأمر الجامع للإخلاص تصفيه السرّ عن ملاحظه ما سوى الله تعالى بالعباده.

ثمّ يذكر معنى الإخلاص وما ورد فيه من الآيات والروايات من الفريقين ، لا سيّما فى طلب العلم ويقول : هذه الدرجه وهى درجه الإخلاص ، عظيمه المقدار كثيره الأخطار دقيقه المعنى صعبه المرتقى ، يحتاج طالبها إلى نظر وتدقيق وفكر صحيح ومجاهده تامّه ، وكيف لا يكون كذلك ، وهو مدار القبول وعليه يترتّب الثواب ، وبه تظهر ثمره عباده العابد ، وتعب العالم وجدّ المجاهد.

ثمّ يتعرّض إلى الأمر الثانى وهو أنّ الغرض من طلب العلم هو العمل ، ويبيّن ما يوجب غرور أهل العلم ، وذلك من خلال الآيات والروايات.

ويقول : ولكلّ واحد منهما _ الإخلاص والعمل _ شرائط متعدّده ووظائف متبدّده بعد هذين ، إلاّ أنّها بأسرها ترجع إلى الثانى _ أعنى استعمال العلم _ فإنّ العلم متناول لمكارم الأخلاق وحميد الأفعال والتنزّه عن مساوئها ، فإذا استعمله على وجهه ، أوصله إلى كلّ خير يمكن جلبه ، وأبعده عن كلّ دنيّه تشينه (۲).

ثمّ يذكر التوكّل على الله والاعتماد عليه ، ثمّ آدابهما واشتغالهما من الاجتهاد فى



---

۱- ۱. الكهف : ۱۰۳ _ ۱۰۴.

۲- ۲. المنيه : ۱۵۹.

طلب العلم ، وأن لا يسأل أحداً تعنّتاً وتعجيزاً ، وأن لا يستنكف من التعلّم والاستفاده ممّن هو دونه فى منصب أو سنّ أو شهره أو دين أو فى علم آخر ، ثمّ الانقياد للحقّ والرجوع عند الهفوه ، ولو ظهر على يد من هو أصغر منه ، ثمّ يتأمّل ويهذّب ما يريد أن يورده أو يسأل عنه ، وأن لا يحضر مجلس الدرس إلّا متطهّراً من الحدث والخبث ، متنظّفاً متطيّباً فى بدنه وثوبه.

ثمّ يذكر الآداب المختصّه بالمعلّم ، كأن لا ينتصب للتدريس حتّى تكمل أهليّته ، وأن لا يذلّ العلم فيبذله لغير أهله ، وأن يكون عاملا بعلمه ، وزياده حسن الخلق فيه ، والتواضع وتمام الرفق وبذل الوسع فى تكميل النفس ، وأن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النيّه. ثمّ بذل العلم عند وجود المستحقّ وعدم البخل به ، وأن يحترز من مخالفه أفعاله لأقواله وإن كانت على الوجه الشرعى ، ثمّ إظهار الحقّ بحسب الطاقه ، من غير مجامله لأحد من خلق الله تعالى.

ثمّ يذكر الشهيد عليه الرحمه آداب المعلّم مع تلامذته بأن يؤدّبهم على التدريج بالآداب السنّيه ، والشيم المرضيه ، ورياضه النفس بالآداب الدينيه ، والدقائق الخفيّه ، ويعوّدهم فى جميع اُمورهم الكامنه والجليّه ، سيّما إذا آنس منهم رشداً ، كدعوتهم إلى الإخلاص ، وترغيبهم فى طلب العلم والعمل به ، وأن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشرّ ، وأن يزجره عن سوء الأخلاق وارتكاب المحرّمات والمكروهات ، وأن لا يتعاظم على المتعلّمين ، وإذا غاب أحدهم زائداً على العاده يسأل عنه وعن أحواله وموجب انقطاعه ، وأن يستعلم أسماء طلبته وحاضرى مجلسه وأنسابهم وكناهم ومواطنهم وأحوالهم ، ويكثر الدعاء لهم ، وأن يكون سمحاً ببذل ما حصّله من العلم ، ثمّ صدّ المتعلّم أن يشتغل بغير الواجب قبله ، وأن يكون حريصاً على تعليمهم باذلاً وسعه فى تفهيمهم وتقريب الفائده إلى أفهامهم وأذهانهم ، وأن يذكر فى تضاعيف الكلام ما يناسبه من قواعد

الفنّ ، وأن يحرّضهم على الاشتغال فی كلّ وقت ، ويطالبهم فی أوقات إعاده محفوظاتهم وأن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل الدقيقه والنكت الغريبه ، وأن لا يظهر للطلبه تفضيل بعضهم على بعض عنده فی مودّه واعتناء مع تساويهم فی الصفات ، وأن ينصفهم فی البحث ، وأن يقدّم فی تعليمهم إذا ازدحموا الأسبق فالأسبق ، وأن يوصی طلّابه بالرفق فيما لو طلبوا فوق طاقتهم ، وأن لا يقبّح العلوم التی لم يتعلّمها ، وأن لا يتأذّی ممّن يقرأ على غيره ويحضر عنده ، ثمّ يمدح من كان من أهل العلم بعد إكمال دراسته وأهليّته للاستفاده منه ويأمر الناس بالاشتغال عليه والأخذ منه.

ثمّ يذكر الشهيد آداب الدرس وهی عباره عن ثلاثين أدباً ، ثمّ يتعرّض إلى الآداب المختصّه بالمتعلّم وهی تنقسم كما مرّ ثلاثه أقسام : آداب فی نفسه ، وآداب مع شيخه ، وآدابه فی مجلس درسه.

والمقصود من رسالتنا هذه إنّما هو القسم الأوّل ، فيذكر فيه اُموراً ثمانيه (١) ، إنّما اُشير إليها ، متمسّكاً بعروه (خير الكلام ما قلّ ودلّ) طلباً للاختصار ، كما أضفت عليها ثمانيه اُخرى ليكون المجموع ستّه عشر خصله وخُلق ، لا بدّ لطالب العلم أن يراعيها فی سيره الأخلاقی ، مستعيناً بالله سبحانه ، ومتوسّلا برسوله (صلى الله عليه وآله) وعترته (عليهم السلام) ، والله تعالى خير ناصر ومعين (٢).



---

١- ١. منيه المريد : ٢٢٤ ــ ٢٣٣ ، أذكر خلاصه ذلک مع تصرّف وإضافات وبعض قصص العلماء فی مراعاه الأخلاق وتهذيب النفس.

٢- ٢. خلاصه هذه الرساله كانت على شكل محاضرات أخلاقيّه ألقيتها فی حوزه الإمام الخمينی (قدس سره) للطلبه الحجازيّين بقم المقدّسه ، فی شهر رمضان المبارک سنه ١۴١۶ ه‍.

## الدرس الأوّل : ما هو الأدب ، ولماذا الآداب الإسلاميّه؟

الأدب من الأخلاق الفرعيّه ومن منشآتها ، وهو بمعنى الهيئه الحسنه الممدوحه التى ينبغى أن يقع عليه الفعل المشروع ، إمّا فى الدين ، أو عند العقلاء فى مجتمعهم ، كآداب الدعاء والصلاه وملاقاه الأصدقاء ، وأدب المعاشره ، وما شابه ذلك ، وإن شئت فقل : الأدب يعنى ظرافه العمل ولطافته.

ولا يكون إلاّ فى الاُمور المشروعه غير الممنوعه شرعاً وعقلا ، فلا أدب فى الظلم والخيانه والكذب ، ولا أدب فى الأعمال الشنيعه والقبيحه ، ولا يتحقّق أيضاً إلاّ فى الأفعال الاختياريّه ، التى لها هيئات مختلفه فوق الواحده ، حتّى يكون بعضها متلبّساً بالأدب دون بعض ، كأدب الأكل مثلا فى الإسلام : وهو أن يبدأ فيه بالبسمله _ بسم الله _ ، ويختم بالحمدله _ الحمد لله _ ويأكل دون الشبع وأن لا ينظر إلى الآخرين وغير ذلك من الآداب والسنن.

وإذا كان الأدب هو الهيئه الحسنه فى الأفعال الاختياريّه ، والحسن وإن كان بحسب أصل معناه وهو الموافقه لغرض الحياه ، ممّا لا يختلف فيه أنظار المجتمعات ، لكنّه بحسب مصاديقه ممّا يقع فيه أشدّ الخلاف ، وبحسب اختلاف الزمان والمكان واختلاف الاُمم والشعوب والأديان والمذاهب ، وحتّى المجتمعات الصغيره المنزليّه

وغيرها فى تشخيص الحسن والقبيح يقع الاختلاف والخلاف بينهم فى آداب الأفعال وحسنها وقبحها.

فربما كان عنـد قوم من الآداب ما لا يعرفه آخرون ، وربما كان بعض الآداب المستحسنه عنـد قوم شنيعه مذمومه عند آخرين ، كتحيّه أوّل اللقاء ، فإنّه فى الإسلام بالتسليم تحيّه من عند الله مباركه طيّبه ، وعند قوم برفع القلانس ، وعند بعض برفع اليد حيال الرأس ، وعنـد آخرين بانحناء وطأطأه رأس ، وكما أنّ فى آداب ملاقاه النساء عنـد الغربيّين اُموراً يـذمّها الإسلام وينكرها ، إلى غير ذلك.

غير أنّ هـذه الاختلافات إنّما نشأت فى مرحله تشخيص المصـداق ، وأمّا أصل معنى الأدب ، وهو الهيئه الحسـنه التى ينبغى أن يكون عليها الفعل ، فهو ممّـا أطبق العقلاء من بنى آدم ، وأجمعوا على تحسينه فلا يختلف فيه اثنان.

وليست الآداب هى عين الأخلاق ، فإنّ الأخلاق بمعنى الملكات الراسخه فى النفوس ، ولكنّ الآداب هيئات حسنه مختلفه تتلبّس بها الأعمال الصادره عن الإنسان عن صفات مختلفه نفسيّه ، فبين المعنيين بون بعيد.

إنّمـا الآداب من منشآت الأخلاق ، والأخلاق من مقتضيات المجتمع بخصوصه بحسب غايته الخاصّه ، فالغايه المطلوبه للإنسان فى حياته هى التى تشخّص أدبه فى أعماله ، وترسم لنفسه حظّاً لا يتعدّاه إذا أتى بعمل فى مسير حياته والتقرّب من غايته.

وإذا كـان الأدب يتبع فى خصوصيّته الغـايه المطلوبه فى الحيـاه ، فالأدب الإلهى الإسلامى ــ بالمعنى الأعمّ ــ الـذى أدّب الله سبحـانه به أنبيـائه ورسله وأوصيائهم (عليهم السلام) ، ومن ثمّ ورثه الأنبيـاء العلمـاء الصـالحين ، هو الهيئه الحسـنه فى الأعمال الدينيّه التى تحاكى غرض الدين وغايته وهى السعاده الأبديّه ــ سعاده

الـدارين ــ المتمثّله والمتبلوره فی العبوديّه علی اختلاـف الأديـان الحقّه بحسب كثره موادّها وقلّتها ، وبحسب مراتبها فی الكمال ومدارج الرقیّ والتعالی.

والإسـلام دين الله القويم لمّـا كان من شأنه التعرّض لجميع جهات وحقول الحياه الإنسانيّه ، بحيث لا يشـذّ عنه شـیء من شؤونها وتدبيرها ، يسيراً كان أو خطيراً ، فلذلک وسع الحياه أدباً وشملها خُلقاً ، ورسم فی كلّ عمل هيئه حسنه تحاكی غايته ومقاصده.

وليس له غايه عامّه إلّا توحيد الله سبحانه فی مرحلتی الاعتقاد والعمل جميعاً ، فإنّ الحياه عقيده وجهاد ، أی أن يعتقد الإنسان أنّ له إلهـاً هو الـذی منه بـدء كلّ شـیء ، وإليه يعود كلّ شـیء ، له الأسـماء الحسـنی والصـفات العليا ، ثمّ يجری فی الحياه ويعيش بأعمـال تحـاكی بنفسـها عبوديّته وعبوديّه كـلّ شـیء عنـده لله الحقّ عزّوجـلّ ، وبـذلک يسـری التوحيـد فی بـاطنه وظـاهره ، فی جوارحه وجوانحه ، فی سيره وسيرته ، وتظهر حقيقه العبوديّه من أقواله وأفعاله وسائر أبعاد وجوده ظهوراً تامّاً لا حجاب عليه.

فالأدب الإلهی ــ أو الأدب النبویّ والولویّ ــ إنّما هی هيئه التوحيد الصادق فی الفعل الناطق (۱).

وطالب العلم أولی الناس برعايه الأخلاق الحسنه والآداب الإسلاميه ، أی بتجلّی التوحيد الكامل فی أفعاله وأحواله وأقواله.



---

۱ - ۱. اقتبـاس من كتاب سـيّدنا العلّامه الطباطبائی (الميزان فی تفسـير القرآن ۶ : ۲۵۶ ، وللموضوع تتمّه قيّمه يتعرّض المصـنّف فيها إلی آداب الأنبياء مع الله ومع الناس ، ثمّ أدب النبیّ الأكرم محمّد (صلی الله عليه وآله) ، فراجع فيه فوائد جمّه.

والنـاس إنّما يتّبعون أهل العلم فى أقوالهم ومواعظهم ، لو رأوا ذلك على حركاتهم وسكناتهم ، فمن عمل بما علم وبـدأ بنفسـه أوّلاـ ، فـإنّه يؤثّر فى النفوس وتنقـاد له القلوب ، وإلاّـ فـإنّ الكلاـم إذا خرج من القلب دخل فى القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

يقول العلاّمه الطباطبائى فى تفسيره ــ الميزان ــ : « فمن الواجب عند التعليم أن يتلقّى المتعلّم الحقائق العلميّه مشفوعةً بالعمل ، حتّى يتـدرّب ويتمرّن عليه لتزول بذلك الاعتقادات المخالفه الكائنه فى زوايا نفسه ، ويرسخ التصديق بما تعلّمه فى النفس ، لأنّ الوقوع أحسن شاهـد على الإمكـان ــ فـإنّ أوّل دليل على إمكان الشـىء وقوعه ــ ولـذلك نرى أنّ العمل الـذى لم تهـد النفس وقوعه فى الخـارج يصعب انقيادها له ، فإذا وقع لأوّل مرّه بـدا كأنّه انقلب من امتناع إلى إمكان ، وعظم أمر وقوعه ، وأورث فى النفس قلقـاً واضطراباً ، ثمّ إذا وقع ثانيـاً وثالثاً هان أمره وانكسر سورته ، والتحق بالعاديات التى لا يعبأ بأمرها ، وإنّ الخير عاده ، كما أنّ الشرّ عاده.

ورعايه هـذا الأُسلوب فى التعليمات الـدينيه وخاصّه فى التعليم الـدينى الإسلامى من أوضـح الأُمور ، فلم يأخذ شارع الدين فى تعليم مؤمنيه بالكلّيـات العقليّه والقوانين العـامّه قـطّ ، بـل بـدأ بالعمل وشفعه بالقول والبيان اللفظى ، فإذا استكمل أحـدهم تعلّم معارف الدين وشرائعه ، استكمله وهو مجهّز بالعمل الصالح ، مزوّد بزاد التقوى.

كمـا أنّ من الواجب أن يكون المعلّم المربّى عاملا بعلمه ، فلا تأثير فى العلم إذا لم يقرن بالعمل ، لأنّ للفعل دلاله كما أنّ للقول دلاـله ، فالفعـل المخـالف للقول يـدلّ على ثبوت هيئه مخالفه فى النفس يكـذب القول فيـدلّ على أنّ القول مكيـده ونوع حيله يحتال بها قائله لغرور الناس واصطيادهم.

ولذلك نرى الناس لا تلين قلوبهم ولا تنقاد نفوسهم للعظه والنصيحه إذا وجدوا الواعظ به أو الناصح بإبلاغه غير متلبّس بالعمل متجافياً عن الصبر والثبات فى طريقه ...

فمن شرائط التربيه الصالحه أن يكون المعلّم المربّى فى نفسه متّصفاً بما يصفه للمتعلّم متلبّساً بما يريد أن يلبسه ، فمن المحال العادى أن يربّى المربّى الجبان شجاعاً باسلا ، أو يتخرّج عالم حرّ فى آرائه وأنظاره من مدرسه التعصّب واللجاج وهكذا.

قال تعالى :

( أَفَمَنْ يَهْدى إلى الحَقِّ أَحَقُّ أنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهْدى إلاّ أنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمونَ ) (١).

وقال :

( أَتَأْمُرونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ) (٢).

وقال حكايةً عن قول شعيب لقومه :

( وَما اُريدُ أنْ اُخالِفَكُمْ إلى ما أنْهاكُمْ عَنْهُ إنْ اُريدُ إلاّ الإصْلاحَ ما اسْتَطَعْتُ ) (٣).

إلى غير ذلك من الآيات.

فلذلك كلّه كان من الواجب أن يكون المعلّم المربّى ذا إيمان بموادّ تعليمه وتربيته.

على أنّ الإنسان الخالى عن الإيمان بما يقوله حتّى المنافق المتسّتر بالأعمال

ص: ٢٥

---

١- ١. يونس : ٣٥.

٢- ٢. البقره : ٤٤.

٣- ٣. هود : ٨٨.

الصالحه المتظاهر بالإيمان الصريح الخالص لا يتربّى بيده إلاّ من يمثّله فى نفسه الخبيثه ، فإنّ اللسان وإن أمكن إلقاء المغايره بينه وبين الجنان بالتكلّم بما لا ـ ترضى به النفس ، ولا ـ يوافقه السرّ إلاّ ـ أنّ الكلام من جهه أُخرى فعل ، والفعل من آثار النفس ورشحاتها ، وكيف يمكن مخالفه الفعل لطبيعه فاعله؟ ... انتهى كلامه رفع الله مقامه.

فالأدب فى الإسلام ، أو الأدب الإسلامى يعنى حكومه التوحيد فى حياه الإنسان ، فيسرى التوحيد فى جميع الأعمال (ومعنى سرايه التوحيد فى الأعمال كون صورها تمثّل التوحيد وتحاكيه محاكاه المرآه لمرئيها بحيث لو فرض أنّ التوحيد تصوّر لكان هو تلك الأعمال بعينها ، وأنّ تلك الأعمال تجرّدت اعتقاداً محضاً لكانت هى هو بعينه).

فمن أدب الله قوله سبحانه وتعالى :

( وَجَعَلْناهُمْ أئِمَّهً يَهْدونَ بِأمْرِنا وَأوْحَيْنا إلَيْهِمْ فِعْلَ الخَيْراتِ وَإقامَ الصَّلاهِ وَإيْتاءَ الزَّكاهِ وَكانوا لَنا عابِدينَ ) (١).

وما أكثر الآيات الكريمه والروايات الشريفه التى تحثّ الإنسان على أن يراعى الآداب. يكفيك شاهداً نماذج ممّا يقوله أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى ذلك :

قال (عليه السلام) :

« الأدب كمال الرجل ».

« يا مؤمن ، إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسك ، فاجتهد فى تعلّمهما ، فما يزيد من علمك وأدبك يزيد فى ثمنك وقدرك ».

« من لم يكن أفضل خلاله أدبه ، كان أهون أحواله عطبه ».



---

١- ١. الأنبياء : ٣٧.

« الأدب أحسن سجيّه ».

« أفضل الشرف الأدب ».

« خير ما ورّث الآباء الأبناء : الأدب ».

« حسن الأدب خير مؤازر وأفضل قرين ».

« طالب الأدب أحزم من طالب الذهب ».

« إنّ الناس إلى صالح الأدب أحوج منهم إلى الفضّه والذهب ».

« أشرف حسب حسن أدب ».

« حسن الأدب أفضل نسب وأشرف سبب ».

« عليك بالأدب فإنّه زين الحسب ».

« حسن الأدب يستر قبح النسب ».

« فسد حسب من ليس له أدب ».

« الأدب حلل جدد ».

« زينتكم الأدب ».

« لا زينه كالأدب ».

« من قلّ أدبه كثرت مساويه ».

« النفس مجبوله على سوء الأدب ، والعبد مأمور بملازمه حسن الأدب ، والنفس تجرى فى ميدان المخالفه ، والعبد يجهد بردّها عن سوء المطالبه ، فمتى أطلق عنانها فهو شريك فى فسادها ، ومن أعان نفسه فى هوى نفسه ، فقد أشرك نفسه فى قتل نفسه ».

« نِعم قرين العقل الأدب ».

« كلّ شىء يحتاج إلى العقل ، والعقل يحتاج إلى الأدب ».

« الآداب تلقيح الأفهام ونتائج الأذهان ».

« تولّوا من أنفسكم تأديبها ، واعدلوا بها عن ضراوه عاداتها ».

« ذَكِّ قلبك بالأدب كما يُذكّى النار بالحطب ، ولا تكن كحاطب الليل وغثاء السيل ».

« ومعلّم نفسه ومؤدّبها أحقّ بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم ».

« سبب تزكيه الأخلاق حسن الأدب ».

« ليس شيء أحمد عاقبةً ولا ألذّ مغبّةً ولا أدفع لسوء أدب ولا أعون على درك مطلب من الصبر ».

« كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك ».

« قال الشعبيّ : تكلّم أمير المؤمنين (عليه السلام) بتسع كلمات ارتجلهنّ ارتجالا ـ فقأنَ عيون البلاغه وأيتمن جواهر الحكمه ، وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحده منهنّ ، ثلاث منها في المناجاه ، وثلاث منها في الحكمه ، وثلاث منها في الأدب. فأمّا اللاتي في المناجاه ، فقال : إلهي كفى بي عزّاً أن أكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أن تكون لي ربّاً ، أنت كما اُحبّ فاجعلني كما تحبّ. وأمّا اللاتي في الحكمه ، فقال : قيمه كلّ امرئ ما يحسنه ، وما هلك امرؤ عرف قدره ، والمرء مخبوّ تحت لسانه. واللاتي في الأدب ، فقال : امنن على من شئت تكن أميره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، واستغنِ عمّن شئت تكن نظيره ».

« أفضل الأدب أن يقف الإنسان عند حدّه ولا يتعدّى قدره ».

« أحسن الآداب ما كفّك عن المحارم ».

« تحرّي الصدق وتجنّب الكذب أجمل شيمه وأفضل أدب ».

« ضبط النفس عند الرغب والرهب من أفضل الأدب ».

ص: ٢٨

« جالس العلماء يزدد علمك ويحسن أدبك ».

« بالأدب تُشحذ الفِطَن ».

« إذا زاد علم الرجل زاد أدبه ، وتضاعفت خشيته لربّه ».

« قيل لعيسى بن مريم (عليه السلام) : مَن أدّبک؟ قال : ما أدّبنى أحد ، رأيت الجهل فجانبته ».

« قال لقمان (عليه السلام) : من عنى بالأدب اهتمّ به ، ومن اهتمّ به تكلّف علمه ، ومن تكلّف علمه اشتدّ له طلبه ، ومن اشتدّ طلبه أدرک منفعته ، فاتّخذه عاده ، فإنّک تخلف فى نفسک وتنفع به من خلفک » (۱).

من هذه الروايات الشريفه ومن أمثالها بالمئات والاُلوف نكتشف أنّ الواجب علينا لدرک سعاده الدارين وبلوغ الكمال والوصول إلى الله سبحانه أن نؤدّب أنفسنا بالتوحيد بأحسن الآداب ، ونقمعها عن الأهواء والزيغ والارتياب ، فإنّ النفس تفتقر دوماً إلى تأديب وتهذيب وترهيب وترغيب :

( إنَّ النَّفْسَ لأمَّارَهٌ بِالسُّوءِ إلاّ ما رَحِمَ رَبِّى ) (۲).

( قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ) (۳).

ويكفينا واعظاً وزاجراً قوله تعالى :

( وَفى أنْفُسِكُمْ أفَلا تُبْصِرونَ ) (۴).



---

۱- ۱. الروايات من ميزان الحكمه ۱ : ۵۲ ، طبعه مؤسسه دار الحديث.

۲- ۲. يوسف : ۵۲.

۳- ۳. الشمس : ۹ _ ۱۰.

۴- ۴. الذاريات : ۲۱.

فـالواجب على كـلّ عاقـل أن يؤدّب نفسه بمكـارم الأخلاق ومحـاسن الصـفات ، فكما أنّ تمام الشـجره بالثمره ، فتمام السـعاده بمكارم الأخلاق ومحاسنها.

ومعلوم أنّ تهذيب الأخلاق ورعايه الآداب علم شـريف ، بل يعدّ من أشرف العلوم لا سيّما لأهل العلم ، فإنّ العلماء قاده وساده ، والناس على دين ملوكهم ، فإذا كان القائـد صالحاً ، فإنّ الرعيّه يلزمها الصـلاح والفلاح والنجاح ، وإذا فسـد العالِم فسـد العالَم ، فأولى الناس بالآداب والأخلاق طلّاب العلوم ، لا سيّما طلبه العلوم الدينيه.

قال بعض البلغاء فى الاهتمام بما هو الأهمّ من إصـلاح أمر النفس على تقديم البدن وتقديم طبّها وعلاجها عليه : بأنّ الإنسان إذا كان قـد علم أنّه مركّب من شـيئين : أحدهما أشـرف وهو النفس ، والآخر أدنى وهو الجسم ، فاتّخذ للدنىء منها أطبّاء يعالجونه من أمراضه التى تعروه ، ويواظبون عليه بأقواته التى تغذوه ، ويتعاهدونه بأدويته التى تنقّيه ، وترك أن يفعل بالشىء الشريف مثل ذلـك ، فقـد أسـاء الاختيـار عن بيّنه ، وأتى بالغلـط عن بصـيره ، وأطبّاء هـذه النفس هم الأفاضـل العلمـاء ، وأقواتها الغاذيه هى الآداب المأخوذه عنهم ، وأدويتهم المنقّيه هى النواهى والمواعظ المسموعه منهم.

ومن الواضـح أنّ من يـدّعى علم الأشـياء ومعرفتهـا ، وهـو لا يعرف نفسه ولم يهـذّبها ، فمثله مثـل من يطعم النـاس وهو جـائع ، ويـداويهم وهو عليل ، ويهـديهم طريقاً وهو لا يـدرى طريقه ، فلا بدّ أن يبدأ الإنسان بنفسه يكون إماماً لها ثمّ ينصب نفسه إماماً لغيره.

الله الله فى كسب الآداب ، فما أروع ما يقوله أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) فى الديوان المنسوب إليه :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ***يغنِكَ محموده عن النسب

فليس يغنى الحسيب نسبته ***ليس الفتى من يقول : كان أبى (١)

قيل : أوّل ما يؤدّب به المبتدى : التبرّى من الحركات المذمومه ، ثمّ التنقّل إلى الحركات المحموده ، ثمّ التفرّد لأمر الله ، ثمّ التوقّف ، ثمّ الرشاد ، ثمّ الثبات ، ثمّ القرب ، ثمّ المناجاه ، ثمّ المصافاه ، ثمّ الموالاه ، ولا يستقرّ هذا بقلبه حتّى يرجع إلى إيمانه ، فيكون العلم والقدره زاده ، فيكون مقامه عند الله مقام المبشّرين من الحول والقوّه ، وهذا مقام حمله العرش وليس بعده مقام.

وقيل : الأدب مع الله : القيام بأوامره على الإخلاص وصحّه المعامله معه على الظاهر والباطن مع الخوف ، والصحبه مع الخلق بالرفق والحلم والسخاء والشفقه ، والأخذ بالفضل وصله القاطع ، والإحسان إلى المسيء ، وتعظيم الجميع وأن ينأ عنه القلب ، وازدرته العين ، فإنّ كلّ أحد من المسلمين كائناً من كان لا يخلو من فضل الله ولعلّه ممّن يطيع الله.

وقال : كن لربّك عبداً ، ولإخوانك خادماً ، واعلم أنّه لا أحد من المسلمين إلّا وله مع الله سرّاً ، فاحفظ حرمه ذلك السرّ.

وقيل : من أساء الأدب على البساط ردّ إلى الباب ، ومن أساء الأدب على الباب ردّ إلى سياسه الدوابّ.

وبالجمله : الناس فى الآداب على أربع طبقات ، والأدب فى نفسه على أربع مراتب.

فأمّا طبقات الناس فى الأدب ، فمنهم : أهل الدنيا أكثر آدابهم فى الفصاحه



---

١- ١. آداب النفس : ١٥٢ ، فى الهامش.

والبلاغه والأسمار والأشعار والخطّ والحركه باليد خاصّه ، وبالبدن جمله.

وأهل الدين ، أكثر آدابهم : التفقّه فى أحكام الشرع ، والتحلّى بالعباده وأركانها وشرائطها ، والانتهاء فى المعاملات إلى مأخذ الشرع ، توفّراً على المباحات وتصوّناً عن المحظورات.

وأهل الإراده ، أكثر آدابهم فى رياضه النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات.

وأهل المعرفه أكثر آدابهم فى طهاره القلوب وحفظ الوقت ومراعاه الأسرار وقلّه التعريج على النفس وخواطرها وشدّه التحفّظ فى مقامات القربه ومواقعها.

وأمّا مراتب الأدب الأربع ، فهى : أن يحافظ فى المعاملات بحيث لا يعيب عليه الكبراء ، ولا يأخذ من الدنيا ما يعيب عليه الزهّاد ، ولا يقع من إيثار الاُمور ما يعيب عليه الحكماء ، وتكون الصلاه فى مراعاتها بحيث لا يعيب عليه الحفظه ، فإنّ الصلاه مناجاه الربّ ، فلا ينظر سرّه إلّا إلى مولاه ، ولا يطلب من الدارين إلّا رضاه ، فهذا فى معرفه الأدب (۱).

وإلى مثل هذه الآداب والكمالات يحتاج طالب العلم فى سيرته الأخلاقيه.

نشير إلى أهمّ الآداب التى على طالب العلم أن يراعيها ، ويعرف حدودها ، وما يترتّب عليها من الآثار فى حياته الفرديه والاجتماعيّه ، فى الدنيا والآخره ، ومن الله التوفيق والتسديد.

وعلينا أن نخاف يوم الوعيد ، كما نخاف من سوء العاقبه ، فإنّ من لم يهذّب نفسه ويخلص فى علمه وعمله ، يبتلى بالحجاب الأكبر ، وتنطبق عليه مثل هذه



---

۱- ۱. آداب النفس : ۱۵۲.

الآيات القرآنيه فى قوله تعالى :

( قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرينَ أَعْمالا الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فى الحَياهِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعاً ) (١).

( أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلـهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْم وَخَتَمَ عَلى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلى بَصَرِهِ غِشاوَهً فَمَنْ يَهْديهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرونَ ) (٢).

( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذى آتَيْناهُ آياتِنا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ وَلَوْ شِئْنا لَرَفَعْناهُ بِها وَلـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرونَ ساءَ مَثَلا القَوْمُ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وَأَنْفُسَهُمْ كانوا يَظْلِمونَ ) (٣).

( مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلوا التَّوْراهَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلوها كَمَثَلِ الحمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدى القَوْمَ الظّالِمينَ ) (۴).

فهذه بعض أوصاف اُولئكَ العلماء الذين لم ينتفعوا من علمهم ، لأنّه لم يقترن العلم بالتربيه والتزكيه ، فإنّ أوّل ما ينبغى على طالب العلوم الدينيّه القيام به ، هو أن يكون بصدد تهذيب نفسه وتطهير روحه وصيقله قلبه ، فإنّ جميع القيم والمثل ترتكز على محور تزكيه النفس :

( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها ) .

ص: ٣٣

---

١- ١. الكهف : ١٠٣ ـ ١٠۴.

٢- ٢. الجاثيه : ٢٣.

٣- ٣. الأعراف : ١٧۵ ـ ١٧۶.

۴- ۴. الجمعه : ۵.

وَما لم يتمّ غسل القلب من الأدران والصفات الشيطانيّه والرذائل النفسيّه فلن يكون باستطاعه شيء ـ حتّى العلم ـ أن ينجى الإنسان.

بل إنّ من لم يهذّب نفسه ... كلّما ازداد علماً علماً كلّما ازداد إضراره بنفسه وبمجتمعه ، إنّ العلم كالسكّين إذا كانت فى يد جرّاح مختصّ ماهر فهى سبب الحفاظ على الحياه ، وإذا كانت فى يد جاهل أحمق فهى خطر على الناس.

فيا أخى (الروحانى) فكّر جيّداً وانظر فى عواقب الاُمور ، وليكن همّك قبل كلّ شيء تطهير باطنك وتنظيف قلبك.

إنّ حكم قتل آيه الله الشهيد الشيخ فضل الله نورى رضوان الله عليه قد أصدره معمّم لم يهذّب نفسه ، أى الشيخ إبراهيم الزنجانى ممثّل زنجان فى المجلس النيابى ، فقد تصدّى للقضاء فى محاكمه الشيخ الشهيد وأفتى بقتله.

وقد ذمّت الروايات العلماء الذين لم يزكّوا أنفسهم ذمّاً كبيراً وبيّنت أنّ خطر هؤلاء لا تكاد تحدّه أبعاد.

يقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « قصم ظهرى اثنان : عالمٌ متهتّك وجاهل متنسّك ، فالجاهل يغشّ الناس بتنسّكه ، والعالم يغرّهم بتهتّكه ».

يقول الإمام الخمينى (قدس سره) فى هذا الصدد :

« إذا لم تصلحوا أنفسكم فى الحوزات العلميّه ، فأينما ذهبتم فإنّكم تتسبّبون بانحراف الناس عن الإسلام وجعلهم يسيئون الظنّ بالروحانيّين ورجال الدين.

إذا درستم فقد تصبحوا علماء ، ولكن يجب أن تعلموا أنّ الفارق كبيرٌ جدّاً بين العالم والمهذّب ، فكلّما اختزنت هذه المفاهيم فى القلب الأسود غير المهذّب يزداد الحجاب ، إنّ العلم فى النفس غير المهذّبه حجاب ظلام ... العلم نورٌ ولكن فى القلب

الأسود يصبح سبباً فی ازدیاد دائره الظلمه والاسوداد.

انتبهوا ، إیّاکم أن تبذلوا الجهد خمسین سنه بکدّ الیمین وعرق الجبین فی الحوزات ثمّ تکسبوا جهنّم ... فکّروا وادرسوا سبل إصلاح المناهج الدراسیّه فی مجال الأخلاق وتزکیه النفس وتهذیبها.

معاذ الله أن یقبل الناس علی شخص ویحترموه قبل أن یهذّب نفسه ، عندها یخسر نفسه ، ابحثوا عن حلّ قبل أن تبیض اللحی.

علی الشباب أن لا ینتظروا حتّی یعلو بیاض غبار الموت رؤوسهم ووجوههم ، ما دمتم شباباً فباستطاعتکم أن تفعلوا شیئاً.

انتبهوا ما دامت الفرصه باقیه ، وکونوا قبل کلّ شیء بصدد تهذیب أنفسکم وتزکیتها » (۱).

وزبده المخاض ونتیجه ما تقدّم نصل إلی هذه الحقیقه الواضحه ، أنّ الوصول إلی الکمالات الروحیّه والمدارج المعنویّه ، والإحاطه بأسرار عالم الوجود ، وما وراء الطبیعه ، والانقطاع إلی الله سبحانه ، حتّی یکون الإنسان عالماً ربّانیّاً تتجلّی فیه صفات الله سبحانه وأسمائه الحسنی ، لا سبیل إلیه إلاّ فی إطار تهذیب النفس والتحلّی بالأخلاق الحسنه والسجایا الطیّبه.

« یقول صدر المتألّهین : عندما کنت فی (کهک _ قریه بأطراف قمّ المقدّسه) کنت أعمل علی تهذیب نفسی ، کنت أخلو بنفسی وأُفکّر ، أستعرض المعلومات التی تعلّمتها ، کنت أُحاول جاهداً أن أفهم أسرار الوجود بقوّه العلم والإیمان ، وبسبب الإخلاص وتزکیه النفس ، أضاء قلبی وفتحت أمامی أبواب الملکوت ، وبعدها



---

۱- ۱. سیماء الصالحین : ۲۵ ، عن الجهاد الأکبر.

أبواب الجبروت وفهمت أسرار الدنيا الإلهيه ، وفهمت أشياء لم أكن فى البدايه أتصوّر أن تفكّك لى رموزها » (۱).

( قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها * وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها ) (۲).

ص: ۳۶

---

۱- ۱. المصدر : ۳۲.

۲- ۲. الشمس : ۹ _ ۱۰.

## الدرس الثانی

### اشاره

لقد تحدّثنا فی المقدّمه والفصل الأوّل عن أهمیّه علم الأخلاق فی الإسلام ، وبعض ما جاء فی منیه المرید ، ولماذا نراعی الآداب فی حیاتنا العلمیّه والعملیّه. ووصلنا إلی الآداب والأخلاق التی علی الطالب أن یراعیها ، وهی کما یلی :

### الأمر الأوّل : صدق النیّه

النیّه الصادقه : أن یحسن نیّته ویطهّر قلبه من الأدناس والذنوب والمعاصی ، لیصلح لقبول العلم وحفظه واستمراره ، فإنّ القلب سلطان البدن ، فإذا صلح صلح الجسد کلّه ، وحرام علی قلب مذنب ظلمانی أن یدخله النور ، واستعن علی الحفظ وزیاده الحافظه بقلّه الذنوب وترکها ، فإنّ الذنب علی الذنب من دون التوبه ، وتبدیل السیّئات بالحسنات ، یوجب النسیان ، وقلّه الحافظه ، وضعف القوّه الدرّاکه.

« لا بدّ لطالب العلم من النیّه فی تعلّم العلم ، إذ النیّه هو الأصل فی جمیع

الأحوال لقوله تعالى : ( إِنَّما الأعْمالُ بِالنِّيّاتِ ) ، ولقوله (صلى الله عليه وآله) : (لكلّ امرئ ما نوى) فينبغى أن ينوى المتعلّم بطلب العلم رضاء الله تعالى وإزاله الجهل عن نفسه وعن ساير الجهّال ، وإبقاء الإسلام وإحياء الدين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من نفسه ومن متعلّقاته ومن الغير بقدر الإمكان ، فينبغى لطالب العلم أن يصبر فى المشاقّ ويجتهد بقدر الوسع فلا يصرف عمره فى الدنيا الحقيره الفانيه ، ولا يذلّ نفسه بالطمع ، ويجتنب عن الحقد ويحترز عن التكبّر » (١).

ويجتنب الذنوب والمعاصى ، فإنّ إحدى آثار تصفيه الروح ونتائجها اجتناب الذنوب والآثام ، فترك المعاصى من أهمّ الشروط فى تحصيل العلوم الإسلاميّه ، فمن يسودّ قلبه بالمعاصى والمحرّمات ، كيف يتوفّق بكسب نور العلم.

شكوت إلى وكيع قلّه الحفظ ، فقال : استعن على الحفظ بترك الذنوب.

وعلمائنا الأعلام لم يتركوا الذنوب وحسب ، بل تركوا المكروهات ، وحتّى منهم من ترك الحلال. فإنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين ، فمن لم يراعِ جانب التقوى والورع عن المحارم فى حياته الحوزويّه فإنّه لا يتوفّق فى تحصيل العلم ، وكثيراً ما يترك الحوزه وينزع العمّه.

يقول العارف بالله الشيخ حسينقلى الهمدانى فى إحدى رسائله : « وما استفدته أنا الضعيف من العقل والنفل ، إنّ أهمّ الأشياء لطالب القرب هو الجدّ والسعى فى ترك المعصيه ، وما لم تؤدِّ هذه الخدمه فإنّ ذكرك وفكرك بحال قلبك ، لن ينفعك شيئاً ، لأنّ خدمه الشخص للسلطان أعظم من هذا السلطان العظيم الشأن ، وأىّ خصومه أقبح من هذه الخصومه.



---

١- ١. آداب المتعلّمين ، جامع المقدّمات ٢ : ٥٠ ، طبعه دار الهجره ، قم.

فافهم ممّـا ذكرت أنّ طلبک محبّهً إلهيّه مع کونک مرتکباً للمعصـيه أمر فاسـد جـدّاً ، وکيف يخفى عندک أنّ ترک المعصـيه أوّل الـدين وآخره وظاهره وباطنه ، فبادر إلى المجاهده ، واشـتغل بتمام الجدّ فى المراقبه ، من أوّل قيامک من نومک فى جميع آناتـک إلى نومـک ، والزم الأدب فى مقـدس حضـرته ، واعلم أنّک بجميع أجزاء وجودک ذرّهً ذرّه أسـير قـدرته ، وراعِ حرمه شريف حضوره ، واعبده کأ نّک تراه (۱).

فطالب العلم لا بدّ له أوّلا من تصحيح النيّه ، بأن يطلب العلم لله سبحانه ، ثمّ يترک المعاصى ، فإنّه يغفر للجاهل سبعون ذنباً ، قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد ، وکيف من عرف أنّه فى محضر ملک الملوک ، فى محضر ربّ العالمين يعصى الله؟

کثيرٌ من سلفنا الصالح کانوا طيله حياتهم لا يرتکبون مکروهاً ولا مباحاً ، فکيف بالحرام؟

وفى عصـرنا ، يقال عن آيه الله العظمى السيّد الخوانسارى (قـدس سـره) : من يوم بلوغه لم يرتکب ذنباً. وسـيّدنا الاُسـتاذ آيه الله النجفى المرعشـى (قدس سـره) قال لى : لم أعمل ما يوافق هواى منذ البلوغ. وأحد الأخوين الشـريف الرضـى والسـيّد المرتضى علم الهـدى عليهمـا الرحمه لم ينوِ المکروه من يوم بلوغه ، ومثـل هـذه الحالاـت إن دلّت على شـىء فإنّهـا تـدلّ على طهـارتهم ونزاهتهم وعصـمتهم الأفعاليّه الجزئيّه ، التى هى تالى تلو العصـمه الذاتيّه الکلّيه الواجبه کما فى الأنبياء والأئمّه الهداه المعصومين (عليهم السلام) وفاطمه الزهراء سيّده النساء (عليها السلام).

فلاـ بـدّ لطـالب العلم فى سـيرته الأخلاقيّه منـذ اليوم الأوّل أن يجتنب المکروهات فضـلا عن المحرّمات ، ويشـتغل بالمسـتحبّات والنوافل فضلا عن

ص: ۳۹

---

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۸۷.

الواجبات ، ولا يقول : (كلّ مكروه جائز) ، فربّ مكروه يبعّد الإنسان عن ربّه ، وربّ نافله تقرّب العبد إلى الله كما ورد في الخبر الشريف : « يتقرّب العبد إليّ بالنوافل حتّى اُحبّه ، فإذا أحببته أكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها » أى يكون مظهراً لأسماء الله وصفاته العليا ، فعينه عين الله ويده يد الله وسمعه سمع الله ، وأىّ مقام أعظم من هذا ، فإنّه لا يلقاه إلّا ذو حظٍّ عظيم.

يقول العارف الكبير آيه الله البيدآبادى فى وصيّته : عليه إذن أن يوحّد همومه (يجعلها همّاً واحداً) ، وأن يبذل كامل الجدّ والجهد ، ليضع قدمه فى جادّه الشريعه ، ويحصّل ملكه التقوى ، أى لا يحوم بقدر الممكن حول الحرام والمشتبه المباح ، قولا وفعلا ـ وحالا ـ وخيالا ـ واعتقاداً ، لتحصل له الطهاره الصوريّه والمعنويّه ، وهى شرط العباده ، وليترتّب أثر على العباده ، ولا تكون محض صوريّه (1).

الله الله فى صدق النيّه وتطهير النفس وتهذيبها وتزكيه الروح وصيقله القلب ونوره بالطاعه وترك المعاصى والمكروهات.

( وَما اُمِروا إلاّ لِيَعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ ) (2).

فأوّل شرط طلب العلم : تطهير النيّه والإخلاص ، فلا يرفعوا قدماً ويضعوها منذ البدايه إلّا (لله) خالصاً مخلصاً ، ويبتعدوا عن الأوهام والخيالات الباطله ، ولا يكون هدفهم أبداً الوصول إلى مطامع الدنيا وزخارفها الملوّثه.

فيبعد عن نفسه منذ اليوم الأوّل وساوس الشيطان والتفكير بالرئاسه



---

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۹۳.

۲- ۲. البيّنه : ۵.

والمرجعيّه وإمامه الجمعه والجماعه ونيابه المجلس فی عصرنا هذا ، وإقبال الناس إليه وتقبيل يده ، وأمثال ذلک ، فإنّه يضرّه ولا ينفعه أبداً ، وما يزداد من علمه إلاّ بعداً عن ربّه ، ويكون العلم هو الحجاب الأكبر.

فالعمده : النيّه الصادقه والتقوى والإخلاص ، وإنّما يحصل الطالب عليها بالتأمّل والتفكّر ، فإنّ التفكّر أبو كلّ خير واُمّه ــ كما ورد فی الخبر الشريف ــ ثمّ الدعاء والتوسّل بالله ورسوله والأئمّه الأطهار وأرواح علمائنا الكرام ، والذين جاهدوا فی الله سبحانه فإنّه يهديهم السبيل ويوصلهم إلى المطلوب ، ويفتح لهم أبواب السماوات والأرض ، فيوفّقهم ويسعدهم ويهيّئ لهم الأسباب ، فإنّه إذا أراد الله بعبد خيراً هيّأ له الأسباب ، ولا يكون ذلک إلاّ لمن كان من أهل الخير والصلاح وأراد الله بقلبه ، وتوجّه إليه بوجوده وكيانه وحياته.

واعلم أنّ الإنسان إنّما هو ذو بعدين : بُعد روحی وبُعد جسدی. والأوّل راكب والثانی مركوب يخدمه ، ثمّ الأوّل له مراحل فی كمال مادّته من النطفه وحتى العلقه والمضغه ، وهكذا حتّى يكون إنساناً كاملا ، ثمّ يردّ إلى أرذل العمر ، ثمّ يموت ، وكلّ هذا إنّما هو بالجبر والقهر والقسر ، وليس باختيار الإنسان ، ويعبّر عن الإنسان فی هذا البعد بالشخص لتشخّصه وتعيّنه بالامتداد الثلاثه ــ الطول والعرض والعمق ــ فی عالم الخارج وعالم الجزئيات ، وأمّا البعد الآخر والذی يسمّى بالشخصيّه وتشير إليه كلمه (أنا) الملازمه على بساطتها وعدم تركّبها وتقسّمها وتجزّئها منذ تكوّن الجنين وحتّى المعاد ، وإنّها مخلّده وباقيه ، إلاّ أنّ سير تكاملها إنّما بالاختيار.

ثمّ كما ورد فی الخبر الشريف : « الناس نيام إن ماتوا انتبهوا » ، فإنّ الإنسان بعد موته ، يرى ملكوت الأشياء بعدما كان يرى ملكها فی الدنيا ، أی يرى حقائق

الأشياء كما هی ، ویکون بصره الیوم حدید ، ونافذ إلی عمق الأشیاء وملکوتها ، فیکون یقظاً ومتنبّهاً بعد ما کان فی سبات الغفله ونوم السهو ، فإنّه بعد الموت یصحو ویتنبّه ، ویعبّر عنه بالیقظه ، ویعدّ حقیقه الإنسان أو أوّل منازل السیر والسلوک لمن أراد السیر إلی الله سبحانه ، ولکن التنبّه والیقظه هذه إنّما هی اختیاریه ، ویمکن للسالک أن یستیقظ فی حیاته الدنیویه ، ویشاهد ملکوت السماوات والأرض ، کما حدث ذلک لأنبیاء الله وأولیائه وعباده الصالحین ، ومن هذا المنطلق ورد فی الحدیث الشریف : « موتوا قبل أن تموتوا » ، وهذا یعنی أنّ الإنسان یمکنه أن یصل إلی حقیقته الإنسانیه فی حیاته الدنیویه هذه ، ویدخل فی منزل الیقظه ، ثمّ یسافر منها إلی منازل اُخری ، فأُولی المنازل التوبه ، وإنّ الإنسان یتجلّی فیه اسم الله التوّاب ، فیتوب من القبائح لقبحها تقرّباً إلی الله سبحانه ، وطالب العلم لا بدّ له من حسن النیّه أوّلا ، لأنّ الأعمال إنّما هی بالنیّات ، فمن لم یکن لله عمله خالصاً فإنّه لا یفلح ولا یصعد الکلم إلی الله سبحانه ، إلّا إذا کان طیّباً ، وهو العمل المخلص _ کما ورد فی الروایات _ وبعد حسن النیّه علیه أن لا یعصی الله جلّ جلاله ، ویطهّر قلبه من أن یهمّ بالمعصیه أو یخطر علی ذهنه ذلک ، ویتّقِ الله حقّ تقاته ، فإنّ للتقوی مراحل ثلاثه :

۱-تقوی العامّ ، أی لعامّه الناس ، ومنهم طالب العلم ، وهی أن یأتی بالواجبات الشرعیّه ، ویترک المحرّمات والمعاصی.

۲-تقوی الخاصّ ، بأن یترک الشبهات فضلا عن المحرّمات.

۳-تقوی الخاصّ الخاصّ ، بأن یترک الحلال فضلا عن الشبهات ، کما یحدّثنا التأریخ بنماذج من علمائنا الأعلام حیث وصلوا إلی هذا المقام ونالوا العصمه الأفعالیه الجزئیه ، حیث من أوّل بلوغهم لم یرتکبوا المعصیه ، بل لم یفکّروا بعمل

مکروه کما یقال ذلک عن السیّد المرتضی علم الهدی (قدس سره) ، وقال لی سیّدنا الاُستاذ آیه الله العظمی السیّد النجفی المرعشی (قدس سره) یوماً : إنّی منذ بلوغی لم أعمل ما یوافق هوای ، وهذا مصداق تامّ لما جاء فی الخبر الشریف عن صاحب الأمر (علیه السلام) : « أمّا من کان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدینه مطیعاً لمولاه مخالفاً لهواه ، فعلی العوامّ أن یقلّدوه ». وبمثل هذه النفوس القدسیّه الطاهره المطهّره بقی الدین الحنیف ، ومذهب أهل البیت (علیهم السلام).

حدّثنی اُستاذی فی السیر والسلوک ، عن اُستاذه العارف بالله الشیخ رجب علی الخیّاط أنّه فی إحدی ضیافاته وکنت معه ، قبل الظهر قال لصاحب الدار أحسّ بضعف فی جسدی ، فجیء بقرص صغیره من الخبر تصنع فی الدار ، فأکلها وقام للصلاه ، وکان من عادته أن یسلّم بعد الصلاه علی رسول الله وعترته الطاهرین (علیهم السلام) فیسمع الجواب _ کما جاء فی زیاره الإمام الرضا (علیه السلام) : « أشهد أنّک تسمع کلامی وتردّ سلامی » _ إلاّ أنّه لم یسمع هذه المرّه ، فتعجّب وأخذ یحاسب نفسه من صلاه الصبح حتّی الظهر ، ماذا فعل من المعاصی حتّی حجبته عن سماع السلام ، فلم یقف علی شیء ، فتوسّل بالنبیّ (صلی الله علیه وآله) علی أن یعلمه بالسبب ، فرأی الرسول الأکرم قائلا معاتباً : یا شیخ ، کان بإمکانک أن تأکل نصف القرصه لرفع ضعفک ، فلماذا أکلت القرصه کلّها؟! وهذا مصداق الحدیث الشریف : وفی حلالها حساب ، وفی الشبهات عتاب ، وفی الحرام عقاب ، وکذلک اشتهر : أنّ حسنات الأبرار سیّئات المقرّبین ، فأکل القرصه لا حرمه فیه ، إلاّ أنّه یعدّ لمثل المقرّبین وأولیاء الله عزّوجلّ ذنب یعاقب أو یعاتب علیه.

فترک المعصیه والذنب من أهمّ الشروط التی توجب التوفیق فی تحصیل العلوم الشرعیّه ، فإنّ العلم لیس بکثره التعلّم ، إنّما هو نور یقذفه الله فی قلب من شاء

أن يهـديه ، وذلک لمن خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى ، فالله سـبحانه يهديه بعد أن اختار بنفسه طريق الحقّ ونجد الخير ــ والهدايه يعدّ المنزل الثانی أو الثالث فی السير والسلوک ــ.

وذنوب طلبه العلوم الـدينيه تختلف ، فـإنّ الشـيطان لاـ يغويه بشـرب الخمر ولعب القمـار ومـا شـابه ، إنّما يضـلّه ويأتيه عن طريق الحسـد وحبّ الجاه وعباده الرئاسه والمقام والاسـتغابه والتهمه والافتراء على المؤمنين والثرثره والكلام الزائـد ــ ومن كثر كلامه كثر خطأه ... ــ والمزاح الجارح وفی غير موضعه وأمثال ذلک.

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« وجدت علم الناس كلّه فی أربع :

أوّلها : أن تعرف ربّک.

والثانی : أن تعرف ما صنع بک.

والثالث : أن تعرف ما أراد منک.

والرابع : أن تعرف ما يخرجک من دينک ».

وممّا يخرج طالب العلم من الدين أمثال هذه الذنوب كغيبه العلماء ، مع أنّ لحم العالم مسـموم ، كما يقال فی المثل ، وهذا يعنی أنّ من يأكل لحم العالم فی استغابته ، فإنّه سرعان ما يموت قلبه ، ويسلب منه التوفيق والتسديد. والحياه الروحيّه والقلبيّه ، ويكون حينئذ ميّت يمشی بين الأحياء ، وتكون بطن الأرض خيرٌ له من ظهرها ، لأنّه يزداد إثماً وذنباً ، يوماً بعد يوم.

وإذا كـان مسـجد قُبا يُعظّم عنـد الله وخلقه من يومه الأوّل ، لأنّه اُسّـِس من اليوم الأوّل على التقوى ، وأمّا مسـجد ضـرار فإنّه يعدّ وكر التآمر وبيت النفاق ، فإنّه

لا بـدّ من أن يهـدم ويزول ، وهـذا يعنى أنّ ظاهرهما من حيث البناء والشـكل والمظهر واحـد ، إلاّ أنّ ملكوتهما وباطنهما باعتبار النوايا والأهداف يختلفان ، فأحدهما مظهر الحقّ ومظهر الرحمان ، والآخر مظهر الباطل ومظهر الشيطان.

وهذا فى كلّ شـىء ما سوى الله سـبحانه ، فإنّ الإنسان إنّما يكون مظهراً لأسـماء الله وصـفاته ، ويصل إلى مقام الشهود والكشف ومقام الفناء فى الله سـبحانه ، لو أسّـس بنيانه على التقوى من اليوم الأوّل ، فعنـدما يـدخل الحوزه العلميه ، عليه أن يهـذّب نفسـه بتقوى الله وترك المعاصـى والآثام ، وإلاّ فإنّه يكون باطلا ومظهراً للشـيطان ، ويكون صاحب بدعه وضلاله وانحراف فى العقيده والسلوك ، ويكون ضالا ومضلا ــ صان الله الحوزات من أمثال هؤلاء الشياطين علماء السوء ومظاهر الرذائل والذمائم ــ.

وكم قرأنا فى التأريـخ أصـحاب البـدع والمـذاهب الباطله إنّما كانوا فى بدايه أمرهم من أهل العلم ، ومن الحوزات الدينيّه. فهذا محمّد بن عبد الوهاب النجدى مؤسّـس الفرقه الوهابيّه بين السـنّه لتهديم السـنّه باسم السـنّه ، وهو وليد الاستعمار البريطانى ، إنّما كان من أهل العلم ، وهـذا على محمّد الشـيرازى المعروف بالباب ، مؤسّـس الفرقه البهائيّه بين الشـيعه باسم الشـيعه لتهديم كيان التشيّع ، وهو من أهل العلم ، وكان وليد الاسـتعمار البريطانى أيضاً فى ذلك العصـر ، وقد أوجدهما الاسـتعمار لزرع التفرقه بين المسلمين كما فى مخطّطهم الاستعمارى ــ فرّق تسد ــ كلّ ذلك نتيجه عدم التهذيب من اليوم الأوّل.

فلا بدّ لطالب العلم فى سيرته الأخلاقيه والسلوك العرفانى أن يترك المعاصى ويتّقى الله حقّ تقاته.

لقد سأل موسى (عليه السلام) الخضر (عليه السلام) : ماذا فعلت حتّى اُمرت أن أتعلّم منك؟

ص: ۴۵

بِمَ بلغتَ هذه المرتبه؟ فقال : بترك المعصيه (۱).

ثمّ صاحب الزمان (عليه السلام) تعرّض عليه أعمالنا عصر الاثنين والخميس ، فإنّه لو اطّلع على ذنوبنا فإنّه يتألّم من ذلک ـ كما جاء ذلک فی توقيعه الشريف ـ وحينئذ من أصاب قلب صاحب الأمر (عليه السلام) وألّمه وهو واسطه الفيض الإلهی ، فإنّه كيف يوفّق فی حياته العلميه والعمليه وفی دراساته الحوزويه ـ هيهات هيهات ـ إلاّ أن يتوب عاجلا غير آجل ، ويترک المعاصی بنيّه صادقه ، وإيمان وتقوى وإنابه وإخبات.

وكان شيخنا فی الأخلاق (قدس سره) يقول : أتعجّب من بعض الطلبه أنّه يسألنی كيف نترک الذنب ولا نعصى الله سبحانه ، والمفروض أن يفكّر كيف يكون سلمان زمانه وأويس دهره؟!

ولهذا كان علمائنا فی السلف يتركون المباح والمكروهات فضلا عن الشبهات ، يقول الشهيد الأوّل فی قواعده : « ومن الخسران صرف الزمان فی المباح وإن قلّ ».

وقالوا فی المقدّس الأردبيلی (قدس سره) أنّه لم يصدر عنه فی أربعين سنه فعلٌ مباح فضلا عن الحرام والمكروه.

ويقول المحدّث القمی (رحمه الله) : لم يصدر من الميرداماد الفيلسوف الإسلامی فعلٌ مباح طيله عشرين عاماً.

ويقول الملاّ عبد الله الشوشتری الذی هو من تلامذه المحقّق الأردبيلی فی موعظته لابنه : يا بنی ، إنّی بعدما أمرنی مشايخی (رحمهم الله) بالعمل برأيی ما ارتكبت

ص: ۴۶

---

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۸۸.

مباحاً ولا مكروهاً إلى الآن ، حتّى الأكل والشرب والنوم.

فكلّ هذه يمكن الإنسان أن ينويها لله سبحانه فتكون مستحبّه ونافله ، وإنّ العبد ليقرّب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض ، حتّى يحبّه الله سبحانه ، فإذا أحبّه يكون سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويديه التى يبطش بها ، فيكون مظهراً لعلم الله وقدرته.

يقول العارف بالله الشيخ محمد البهارى : الثانى (من شروط السالك) : أن يجتنب المكروهات مهما أمكن وينشغل بالمستحبّات ، ولا يحقّرن شيئاً من المكروهات فيقول : (كلّ مكروه جائز) فكثيراً ما يكون ترك المكروه أو فعل مستحبّ صغير أشدّ أثراً فى القرب من المولى من كلّ ما عداه ، ويتّضح هذا من التأمّل فى العرفيات.

الثالث : ترك المباحات فى مقدار اللزوم والضروره ، صحيح أنّ الشارع المقدّس أباح اُموراً كثيره ، ولكن حيث أنّه فى الباطن لا يرغب لعبده أن ينشغل بغيره وينصرف إلى اُمور الدنيا ، فمن المستحسن للعبد أن يستجيب لرغبه المولى ، فيترك هذه الزخرفات ، حتّى وإن لم يكن ارتكابها حراماً ، إقتداءً بالنبيّين وتأسّياً بالأئمه الطاهرين.

والمرحوم الملاّ محمد صالح البرغانى أخو الشهيد الثالث من علماء القرن الثالث عشر رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى المنام وسأله عدّه أسئله أحدها : ما هو السبب فى أنّ العلماء فى السابق كانوا أصحاب كرامات ومكاشفات ، وفى هذا الزمان _ هذا قبل أكثر من مئه عام ، فكيف بزماننا هذا _ سدّ باب المكاشفات؟

فأجابه (صلى الله عليه وآله) : السبب أنّ العلماء فى الماضى قسّموا الأحكام فى أعمالهم وسلوكهم إلى قسمين : واجب وحرام ، وكانوا يتركون الحرام ويضمّون إليه

المكروه والمباح فيتركونها ، ويأتون بالمستحبّات مع الواجبات ولكنّكم طبقه المتأخّرين ، قسّمتم الأحكام عملياً إلى خمسه أقسام ، وتتركون المستحبّات وتفعلون المكروهات والمباحات ، ولهذا سدّت دونكم أبواب الكرامات والمكاشفات (۱).

ثمّ هنا نقطه مهمّه جدّاً ، وهی : کما جاء مضمون ذلک فی منیه المرید للشهید الثانی (قدس سره) : إنّ عامّه الناس أدنی من أهل العلم بدرجه فی سلوکهم وأخلاقهم ، فإذا کان أهل العلم یأتون بالمستحبّات والنوافل فضلا عن الواجبات والفرائض ، فإنّ الناس یکتفون بالواجبات ، وإذا اشتغل أهل العلم بالمباحات فإنّ الناس یفعلون المکروهات ، وإذا دخل فی الشبهات فإنّ العامی یدخل فی المحرّمات ، والمصیبه فیما لو دخل رجل الدین فی الحرام ــ والعیاذ بالله ــ فإنّ العامی یکفر بالله سبحانه ، وهذا ما یشاهد بالعیان ، فلا یحتاج إلی نقل وبرهان.

والناس إذا رأوا الخطیئه من العالِم فإنّهم یسیئون الظنّ بالعلماء ، وحتّی الدین ، لا بالشخص نفسه ، ولیتهم أنصفوا ویسیئوا الظنّ بالشخص الخاطئ نفسه.

الله الله یا طالب العلم فی ترک المعاصی والذنوب ، وإن غلبت علیک شقوتک وشهوتک وتلوّثت بالمعاصی والآثام ولم توفّق للتوبه النصوحه (۲) ، فاخرج ولا تزی‍د فی ذنب‍ک وتضلّ الناس من حولک ، وتلوّث حوزه العلم والتقی والکرامه.



---

۱- ۱. سیماء الصالحین : ۹۲.

۲- ۲. لقد تعرّضت للتوبه وشرائطها بالتفصیل فی کتاب « التوبه والتائبون علی ضوء القرآن والسنّه » ، فراجع.

وعليک أن تخلص فی نيّتک وتسلّم وجهک لله ، وتقتدی فی حياتک بسلفک الصالح ، فما أروع ما فعله آيه الله السيّد حسين كوه كمری (رحمه الله) أحد تلامذه صاحب الجواهر ، وكان من المعروفين له حوزه دراسيه كبيره فی أحد مساجد النجف الأشرف ، ويوماً مّا دخل المسجد قبل أوان الدرس ، فوجد فی زاويه المسجد مدرّساً حوله مجموعه صغيره من الطلاّب ، فسمع درسه فأُعجب به ، وكرّر المجیء حتّی تيقّن أنّه أفضل منه فی العلم والبيان والإبداع ، فجمع طلاّبه واشترک معهم فی درس الشيخ الجديد ، ولم يكن سوی الشيخ الأعظم شيخنا الأنصاری (قدس سره).

وهذا آيه الله ملاّ عبد الله التستری (رحمه الله) ، إنّه ولمدّه ثلاثين عاماً لم يمتثل غير الواجبات الشرعيّه والمستحبّات الدينيّه ، دخل يوماً علی الشيخ البهائی قبيل الظهر ، فحين صلاه الظهر طلب منه الشيخ البهائی أن يتقدّم لإمامه الجماعه ، فلمّا استعدّ للصلاه خرج مسرعاً ، ولمّا استفسروا عن ذلک أجابهم ، شعرت فی نفسی العُجب بأنّ مثل الشيخ البهائی يقتدی بی ، فعلمت بعدم الإخلاص ، فتركت الجماعه.

وما أجمل ما فعله المقدّس الأردبيلی لمّا اجتمع مع هذا الرجل فی مجلس عامّ ، فسأله الملاّ عبد الله التستری ، فقال له المقدّس : سوف أُجيبک فيما بعد ، ولمّا انتهی المجلس مشی معه صوب الصحراء وأجابه السؤال بالتفصيل ، فتعجّب الملاّ وسأله أنّه لماذا لم يجبه فی المجلس؟ فقال له : لو أجبتک وكان النقاش بينی وبينک لكنّا معرّضين لهوی النفس ، لأنّ كلّ واحد منّا يريد أن ينتصر لرأيه ، فربما نقع فی العجب والجدال المذموم وحبّ الظهور ، وهذا يتنافی مع الإخلاص ، أمّا فی الصحراء فلا مجال للشيطان ولا الرياء ولا وسوسه النفس.

ص: ۴۹

وهذا شيخنا القمىّ عباس صاحب مفاتيح الجنان ، لمّا كتب كتابه « منازل الآخره » كان يقرأ الشيخ عبد الرزّاق فى حرم السيّده المعصومه (عليها السلام) بقم فى جمع من الناس ، وكان منهم والد الشيخ عبّاس القمىّ ، فاستحسن ما كان يفعله الشيخ عبد الرزّاق ، وذات يوم قال لولده : يا ليت أنّك مثل هذا الشيخ الذى يصعد المنبر ويقرأ من كتاب « منازل الآخره » تقرأ منه أيضاً. ويقول الشيخ عبّاس القمىّ : أردت أن أقول لأبى : إنّ هذا الكتاب الذى يقرأه من مؤلّفاتى ، ولكن امتنعت من ذلك ، وقلت لوالدى : تكرّم علَىَّ بالدعاء حتّى يوفّقنى الله.

وأخيراً من كان لله كان الله له.

بعد رحله صاحب الجواهر (قدس سره) إلى جوار ربّه ، انتقلت المرجعيّه إلى تلميذه البارع شيخنا الأعظم الشيخ الأنصارى ، إلاّ أنّه من شدّه ورعه واحتياطه امتنع فى بدايه الأمر وقال : إنّ سعيد العلماء فى إيران كان زميلى فى الدراسه ، وكان آنذاك أعلم منىّ وأكثر استيعاباً ، فكتب إليه رساله يدعوه ليتحمّل مسؤوليّه المرجعيّه ، فأجابه سعيد العلماء (قدس سره) : لقد بقيت أنت خلال المدّه الماضيه فى الحوزه مشتغلا بالتدريس والمباحثه ، بينما انشغلت أنا بأُمور الناس ، ولهذا فأنت أحقّ منىّ بهذا الأمر.

بعد وصول الجواب تشرّف الشيخ الأنصارى بزياره حرم أمير المؤمنين (عليه السلام) وطلب من ذلك الإمام العظيم أن يعينه بإذن الله تعالى فى هذا الأمر الخطير ويسدّد خطاه.

وحول الميرزا الشيرازى الكبير جاء إنّ طلاّب الشيخ الأنصارى بعد وفاه الشيخ اختاروه للمرجعيّه وأصرّوا عليه إصراراً كبيراً حتّى أقنعوه بقبول هذه المسؤوليه ، فجرت دموعه على خدّيه ولحيته المباركه ، ثمّ أقسم أنّه لم يخطر فى ذهنى

أبداً أنّی أحمل عبء هذه المسؤولیّه العظیمه (۱).

وهـذا آیه الله السیّد محمّـد الفشارکی من أبرز تلامـذه المیرزا الشیرازی الکبیر ، بعـد رحله اُستاذه إلی جوار ربّه ، طلبوا منه أن یتصدّی للمرجعیّه ، فأبی عن ذلک ، وقال : لست أهلا لذلک ، لأنّ الرئاسه الشرعیّه تحتاج إلی اُمور غیر العلم بالفقه والأحکام ، من السیاسات ومعرفه واقع الاُمور ، وأنا رجل وسواسی فی هذه الاُمور ، فإذا دخلت فی هذا المجال اُفسد ولا اُصلح ، ولا یسوغ لی غیر التدریس ، فأرجع الناس إلی المیرزا محمّد تقی الشیرازی.

ویقول آیه الله السیّد أحمـد الزنجانی فی کتابه (الکلام یجرّ الکلام) : إنّ ابن المرحوم السیّد محمّـد الفشارکی (رحمه الله) بعد وفاه المیرزا الشیرازی الکبیر أرسلنی والدی إلی المرحوم المیرزا محمّد تقی الشیرازی ـ المیرزا الصغیر ـ لأقول له : إذا کنت تعتبر نفسک أعلم منیّ فتفضّل قل ذلک حتّی اُرجع زوجتی وأولادی إلیک فی التقلید ، وإذا کنت تعتبرنی أعلم فارجع أنت عائلتک إلیَّ فی التقلید.

وعنـدما نقلت هـذه الرساله الشفویّه إلی المیرزا فکّر کثیراً وقال : قل لسماحته هو ما رأیه؟ فنقلت هـذا السؤال إلی والدی فقال : إذهب وقل له أی شیء تراه أنت میزاناً للأعلمیّه ، إذا کان المیزان دقّه النظر فأنت أعلم ، وإذا کان المیزان الفهم العرفی فأنا أعلم. وذهبت ثانیهً إلی المیرزا وأبلغته بذلک ، ففکّر قلیلا أیضاً وقال : سماحته أیّ الإثنین یعتبره میزاناً؟ وأبلغت هذا الجواب ـ السؤال ـ ففکّر والدی قلیلا وقال بسرور : لا یبعد أنّ دقّه النظر فی میزان الأعلمیّه وملاکها ، ثمّ قال : فلنقلّد جمیعنا المیرزا الشیرازی.

ص: ۵۱

---

۱- ۱. سیماء الصالحین : ۱۱۱.

أجل هكـذا عظمائنا الأعلام ، يبقون أكبر من الرئاسه والمقام ، فلا تغرّهم الـدنيا الـدنيّه ، ومنذ اليوم الأوّل هذّبوا أنفسـهم وطهّروا قلـوبهم ، وصـدقوا فى نوايـاهم ، فبلغـوا القمّه فى الكمـال والجمـال ، وصـاروا بـدور العلم وشـموس الحوزات ، يسـتضاء بنورهم المشرق.

فما أعظم مواقف أُولئک الأفذاذ والعباقره فى التقوى والعلم؟!

فهذا الشيخ عباس القمى فى صلاه الليل عندما يقرأ سوره (يس) ويصل إلى هذه الآيه الشريفه :

( هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتى كُنْتُمْ توعَدونَ ) .

يكرّرهـا حتّى يتغيّر حـاله ويتعـوّذ من النـار ، ولم يتمكّن من إكمـال السـوره حتّى صـلاه الصـبح ، ومع هـذه المرتبه من التقوى والخشوع عندما يتقدّم لصـلاه الجماعه فى گوهرشاد ، وبعد أيّام يكتضّ المسـجد بالمصلّين ، وإذا بالشيخ بعد صلاه الظهر يخرج من المسـجد ، وحينما يُسأل عن سبب ذلک ، يجيب : إنّى فى ركوع الركعه الرابعه من صلاه الظهر سمعت أحد المصلّين يقول : يـا الله ، إنّ الله مـع الصـابرين ، ويريـد أن يلتحق بالجمـاعه وكـان صوته من بعيـد فتبـادر إلى ذهنى كـثره المصـلّين ممّـا أوجب الاضطراب فى نيّتى ، فخفت أن لا أكون مخلصاً فى صلاتى فتركت الجماعه.

وأحد تلامذه العلّامه الطباطبائى أربعين عاماً يطلب منه أن يصلّى خلفه جماعه فكان العلّامه يأبى ويمتنع عن ذلک.

وهذا شريف العلماء أُستاذ الشيخ الأنصارى لم يكن يرضى أن يصلىّ إماماً ، ولكن عندما أصرّ عليه الناس ذات مرّه وافق وصلّى ، وأثناء الصلاه انصرف ذهنه لا إراديّاً إلى حلّ مسأله علميّه ، فلم يصلّ بعد تلک الصلاه ، إذ أنّه لم يرَ نفسه أهلا لذلک.

وهذا آیه الله السیّد صدر الدین الصدر کان مع آیه الله الفیض وآیه الله الحجّه الکوه کمری قدّس أسرارهم الزکیّه یتولّون إداره الحوزه العلمیّه بقم بعد آیه الله العظمی مؤسّس الحوزه الشیخ عبد الکریم الحائری ، فمن أجل توحید المرجعیّه عند دخول آیه الله العظمی السیّد البروجردی (قدس سره) ، فوّض کلّ واحد من الثلاثه ما کان عنده من المسؤولیه والوجاهه الاجتماعیه إلی السیّد ، فترک السیّد صدر محلّ إقامته صلاه الجماعه واعتزل اُمور الرئاسه إلی حدٍّ کبیر ، وقال فی بیان سبب ذلک :

( تِلْکَ الدَّارُ الآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذینَ لا یُریدونَ عَلُوّاً فی الأرْضِ وَلا فَساداً وَالعاقِبَهُ لِلْمُتَّقینَ ) .

فمن تواضعه لله قدّم ما عنده إلی السیّد لتوحید الزعامه الدینیّه.

فطالب العلم لا بدّ أن یخلص فی نیّته وعمله وقوله ، ویتحرّر من أیّ نوع من أنواع التظاهر سواء کان بالعلم أو غیره ، بل یکون دائماً محرّکه هو العمل المخلص ، وحصول رضا الله سبحانه (أخلص العمل فإنّ الناقد بصیر).

وهذا الشیخ جواد البلاغی المدافع عن الإسلام من شدّه إخلاصه طبع مؤلّفاته باسم مجهول.

وصاحب الذریعه الشیخ آقا بزرک الطهرانی حینما یری کتاب الغدیر وعظمته یطلب من الله أن یهب بقیّه عمره لصاحب الغدیر لینجز الغدیر.

والشیخ عباس القمی عندما کان یعظ الناس فی مسجد گوهر شاد وقع بصره علی المرحوم الشیخ عباس تربتی وهو من العلماء الأبرار ، فقال الشیخ عباس : أیّها الناس سماحه الشیخ موجود فی المجلس استفیدوا من علمه ، ثمّ نزل من المنبر ، وطلب من الشیخ أن یتولّی الحدیث.

یقول أمیر المؤمنین (علیه السلام) : « الدنیا کلّها جهل إلاّ مواضع العلم ، والعلم کلّه

حجّه إلّا ما عمل به ، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصاً ، والإخلاص على خطر حتّى ينظر العبد بما يختم له » (1).

( فَمَنْ كانَ يَرْجو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْـيَعْمَلْ عَمَلا صالِحاً وَلا يُشْرِكُ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحَداً ) (2).



---

١- ١. بحار الأنوار ٧٠ : ٢٤٢.

٢- ٢. الكهف : ١١٠.

## الدرس الثالث

### اشاره

فی الفصل السابق تحدّثنا عن الأمر الأوّل الـذی یـذکره الشـهید الثانی فی منیه المرید من الآداب التی یجب علی طالب العلم أن یراعیها ، وإلیک تتمّه الموضوع ، وهو بیان الأمر الثانی وما یلیه :

### الأمر الثانی : اغتنام الفرصه

أن یغتنم التحصـیل فی الفراغ والنشاط وحاله الشباب وقوّه البدن ونباهه الخاطر وسلامه الحواسّ وقلّه الشواغل وتراکم العوارض ، سیّما قبل ارتفاع المنزله والاتّسام بالفضل والعلم ، فإنّه أعظم صادٍّ عن درک الکمال ، بل سبب تامّ فی النقصان والاختلال.

هذا ما یقوله الشهید الثانی وإنّه الرجل العالم الحکیم العارف بحقائق الاُمور والمجرّب لما یبتلی به طلّاب الحوزه.

وقد قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) لأبی ذرّ الغفاری : اغتنم خمساً قبل خمس : شبابک

ص: ۵۵

قبل هرمک ، وصحّتک قبل سقمک ، ودنیاک قبل آخرتک ، وحیاتک قبل مماتک ، وفراغک قبل شغلک.

والعلم فی الصغر کالنقش فی الحجر ، ومثل الذی یتعلّم فی کبره کالذی یکتب علی البحر ، وما اُوتی عالم علماً إلاّ وهو شابّ ، فیلزم طالب العلم أن یستغلّ وقته ، منذ الصغر ، وفی بدایه أمره وتعلّمه « ینبغی لطالب العلم أن یکون مستفیداً فی کلّ وقت حتّی یحصل له الفضل ، وطریق الاستفاده أن یکون معه فی کلّ وقت (قلم وقرطاس) حتّی یکتب ما یسمع من الفوائد ، قیل : (ما حفظ فرّ ، وما کتب قرّ) ، قیل : (العلم ما یؤخذ من أفواه الرجال ، لأنّهم یحفظون أحسن ما یسمعون ، ویقولون أحسن ما یحفظون) ، ووصّی شخص لابنه بأن یحفظ کلّ یوم شقصاً من العلم ، فإنّه یسیر وعن قریب یصیر کثیراً ، فالعلم کثیر والعمر قصیر ، فینبغی أن لا یضیّع الطالب له الأوقات والساعات ، ویغتنم اللیالی والخلوات ، قیل : (اللیل طویل فلا تقصّره بمنامک ، والنهار مضیء فلا تکدّره بآثامک).

وینبغی لطالب العلم أن یغتنم الشیوخ ویستفید منهم ، ولا یتحسّر لکلّ ما فات ، بل یغتنم ما حصل له فی الحال والاستقبال من تحمیل المشاقّ والمذلّه فی طلب العلم والتملّق مذموم ، إلاّ فی طلب العلم ، فإنّه لا بدّ له من التملّق للاُستاذ والشرکاء وغیرهم للاستفاده ، وقیل : (العلم عزّ لا ذلّ فیه ، ولا یدرک إلاّ بذلٍّ لا عزّ فیه) » (1).

« قیل : وقت التعلّم من المهد إلی اللحد ، وأفضل أوقاته شرع الشباب ، ووقت السحر وما بین العشائین ، وینبغی أن یستغرق جمیع أوقاته ، فإذا ملّ من علم



---

۱- ۱. آداب المتعلّمین ، جامع المقدّمات ۲ : ۵۷.

يشتغل بعلم آخر ، وكان محمّد بن الحسن لا ينام الليل ، وكان يضع عنده دفاتر إذا ملّ من نوع ينظر إلى نوع آخر ، وكان يضع عنده الماء ويزيل نومه بالماء ، وكان يقول : النوم من الحراره » (١).

وبنظرى على طالب العلم أن يطالع كثيراً ، ليل نهار ، والمطالعه كباقى الصفات والأعمال من قسم العاده ، فإذا اعتاد الإنسان عليها ، فإنّه من الصعب تبديل العاده ، فإنّها طبيعه ثانويّه فى الإنسان ، فلا بدّ أن يعوّد نفسه على المطالعه مع مراعاه شرائطها وآدابها ، وثمرتها أنّ سماء ذهن المطالع تمتلئ من الأسحبه المختلفه والمتفاوته ، وهذا يعنى أنّه يطالع كلّ شىء حتّى القصص البوليسيّه ، ونتيجه المطالعات الكثيره والمختلفه ، أنّها فى سماء الذهن تصطدم بعضها مع بعض فيتولّد منها الرعد والبرق ، ثمّ المطر والوابل ــ كما فى سماء الطبيعه ــ وهى التى تسمّى بالرشحات الفكريّه ، والنتائج العقلائيه ، ويأتى للمجتمع بشىء جديد ، وموضوع لم يسمع من قبل ، ويقال : فلان العالم منظّر وأنّه صاحب نظريه جديده ، وفكر عملاق ، وما شابه ذلك من الكلمات التى تنبئ عن أمر مبتكر جديد.

ثمّ على طالب العلم أن يتأمّل فيما يقرأه ويطالعه ويدرسه (ينبغى لطالب العلم أن يكون متأمّلا فى جميع الأوقات فى دقائق العلوم ، ويعتاد ذلك ، فإنّما يدرك الدقائق بالتأمّل ، ولهذا قيل : « تأمّل تدرك » ، ولا بدّ من التأمّل قبل الكلام حتّى يكون صواباً ، فإنّ الكلام كالسهم ، فلا بدّ من تقديمه بالتأمّل قبل الكلام ، حتّى يكون ذكره مصيباً فى اُصول الفقه ، هذا أصل كبير ، وهو أن يكون كلام الفقيه المناظر بالتأمّل ، ويكون مستفيداً فى جميع الأحوال والأوقات ، وعن جميع الأشخاص ، قال



---

١- ١. آداب المتعلّمين ، جامع المقدّمات ٢ : ٥٧.

رسول الله (صلی الله علیه وآله) : « الحکمه ضالّه المؤمن ، أینما وجدها أخذها » ، وقیل : « خذ ما صفی ، ودع ما کدر » ، ولیس لصحیح البدن والعقل عذر فی ترک العلم) (۱).

(ثمّ لا بدّ لطالب العلم من الجدّ والمواظبه والملازمه قیل : « من طلب شیئاً وجَدَّ وَجَد ، ومن قرع باباً ولَجَّ وَلَج » ، وقیل : « بقدر ما یسعی ینال ما یتمنّی ».

قیل یحتاج فی التعلّم إلی جدّ الثلاثه : المتعلّم والاُستاذ والأب إن کان فی الحیاه.

ولا بدّ لطالب العلم من المواظبه علی الدرس والتکرار فی أوّل اللیل وآخره وما بین العشائین ، ووقت السحر وقت مبارک ، قیل : « من أسحر نفسه باللیل فقد فرح قلبه بالنهار » ، ویغتنم أیّام الحداثه وعنفوان الشباب ، ولا یجتهد نفسه جهداً یضعف النفس ، وینقطع عن العمل ، بل یستعمل الرفق فی ذلک ، والرفق أصل عظیم فی جمیع الأشیاء.

ولا بدّ لطالب العلم من الهمّه العالیه فی العلم ، فإنّ المرء یطیر بهمّته ، کالطیر یطیر بجناحیه ، فلا بدّ أن تکون همّته علی حفظ جمیع الکتب حتّی یحصل البعض ، فأمّا إذا کان له همّه عالیه ولم یکن له جدّ ، أو کان له جدّ ولم یکن له همّه عالیه ، لا یحصل له إلّا قلیلٌ من العلم ، وینبغی أن یتعب نفسه علی الجدّ والتحصیل والمواظبه بالتأمّل فی فضائل العلوم ودقائقها ، فإنّ العلم یبقی ، وغیره یفنی ، فإنّه حیاه أبدیّه ، قیل : « العالمون أحیاء وإن ماتوا » ، « العلماء باقون ، أعیانهم مفقوده ، ومحبّتهم فی القلوب » ، وکفی بلذّه العلم داعیاً إلی التحصیل للعاقل) (۲).



---

۱- ۱. آداب المتعلّمین ــ جامع المقدّمات ۲ : ۵۴.

۲- ۲. المصدر : ۵۳.

فلا بدّ من النشاط الدائم فى تحصيل العلم ، والتفقّه فى الدين ، قيل : تفقّهوا قبل أن تسوّدوا ، أى تصيروا ساده ، فتأنفوا من التعلّم او تستحيوا منه بسبب المنزله ، فيفوتكم العلم. وقال آخر : تفقّه قبل أن تترأّس ، فإذا رئست فلا سبيل إلى التفقّه. وعن ابن عباس : ما اُوتى عالم علماً إلّا وهو شابّ ، وقد نبّه الله تعالى ذلک بقوله :

( وَآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا ) (۱).

وهـذا باعتبـار الغـالب ، وإلاّ ـ فمن كبر لا ـ ينبغى له أن يحجم عن الطلب ، فـإنّ الفضـل واسع والكرم وافر ، والله المعين ، وأبواب الرحمه مفتّحه ، وإذا كان المحلّ قابلا تمّت النعمه وحصل المطلوب ، والله سبحانه يقول :

( وَاتَّقوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ ) (۲).

( وَلَمَّـا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوى آتَيْناهُ حَكْماً وَعِلْـماً ) (۳).

وقد اشـتغل جماعه من السـلف فى حال كبرهم حتّى فاقوا الشـباب ، فتفقّهوا وصاروا أساطين فى الدين وعلماء مصنّفين فى الفقه وغيره ، فليغتنم العاقل عمره ، وليحرز شبابه عن التضييع ، فإنّ بقيّه العمر لا ثمن لها (۴).

فاطلب العلم من المهد إلى اللحد ، وليغتنم العاقل عمره الثمين ، وليحرز شبابه عن البطاله والتضييع.

وإذا رجعنا إلى سيره فطاحل العلم وعباقره الفنّ والأدب رأينا أنّ الغالب



---

۱- ۱. مريم : ۱۲.

۲- ۲. البقره : ۲۸۲.

۳- ۳. القصص : ۱۴.

۴- ۴. منيه المريد : ۲۲۶.

فيهم إنّما نال درجات العلى ، وفاق الأقران وحاز السبق ، من اتّبع نفسه فى صباه وأيّام شبابه ، ولهذا يقال : من أتعب نفسه فى شبابه استراح فى شيبته.

وقال بعض السلف : لا يطلب أحد هذا العلم بعزّ النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمه العلماء أفلح.

وقال آخر : ولا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتّى يضرّ به الفقر ، ويؤثره على كلّ شىء.

وقال بعضهم : لا ينال هذا العلم إلّا من عطّل دكّانه ، وخرّب بستانه ، وهجر إخوانه ، ومات أقرب أهله ، فلم يشهد جنازته.

كما حدث ذلك لصاحب جامع السعادات المحقّق النراقى (قدس سره).

وهذا كلّه وإن كان فيه مبالغه ، فالمقصود أنّه لا بدّ فيه من جمع القلب واجتماع الفكر ، وأن يقطع من العوائق الشاغله والعلائق المانعه من تحصيل العلوم والفنون.

ص: ۶۰

## الأمر الثالث : قطع العلائق المانعه من تحصيل العلم

أن يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغله ، والعلائق المانعه عن تمام الطلب وكمال الاجتهاد ، وقوّه الجدّ فى التحصيل ، ويرضى ما تيسّر من القوت وإن كان يسيراً وبما يستر مثله من اللباس وإن كان خلقاً ، فبالصبر على ضيق العيش تنال سعه العلم ، والعلم لا يعطيك بعضه حتّى تعطيه كلّك.

أكتفى بقصّه واحده من حياه المحقّق العالم الربّانى الملّا محمّد مهدى النراقى صاحب (جامع السعادات) من خيره المصنّفات فى علم الأخلاق.

« كان فى بدايه تحصيله فى غايه الفقر والفاقه بحيث لم يكن قادراً على إشعال قنديل للمطالعه ، فكان يستفيد من قنديل بيت الخلاء للمطالعه ، وإذا جاء أحد إلى بيت الخلاء ، كان يتنحنح إشاره منه إلى أنّه مشتغل بقضاء الحاجه ، فلا يعرف أحد بالأمر ويخجل.

هذا الرجل العظيم ــ وهكذا كلّ العظماء ــ قطع كلّ ما يشغله عن دراسته ، حتّى الرسائل التى كانت ترسل إليه من أهله ووالده ، كان يبقيها مقفله لا ينظر إليها حتّى لا يوجب ذلك شرود ذهنه ، ويضع الرسائل تحت الفراش ، وعندما قُتل والده فبأمر من اُستاذه وبمعيّته ذهب إلى نراق ، وبعد ثلاثه أيّام رجع إلى مدرسته وهو شديد الشوق لتحصيل العلوم العقليّه والنقليّه ، ولمّا أكمل دراسته وسكن فى كاشان وكانت خاليه من العلماء ، وببركته مُلئت من العلماء والفضلاء ، وصار مرجع ومحطّ رحال الرجال الكُمّل الأفاضل ، وظهر الكثير من العلماء من تلامذته » (۱).



---

۱- ۱. قصص العلماء للتنكابنى : ۱۴۶.

## الأمر الرابع : عدم الزواج المبكّر

أن يترك التزويج حتّى يقضى وطَرَه من العلم ، فإنّه أكبر شاغل وأعظم مانع ، حتّى قيل : ذبح العلم فى فروج النساء ، ومن احبّ أفخاذ _ اتّخاذ _ النساء لم يفلح.

ثمّ يقول الشهيد الثانى (قدس سره) : ولا ـ يغترّ طالب العلم بما ورد فى النكاح من الترغيب ، فإنّ ذلك حيث لا يعارضه واجب أولى منه ، ولا شيء أولى ولا أفضل ولا واجب أضيق من العلم ، سيّما فى زماننا هذا ...

أقول : إنّما يترك الزواج لمن تمكّن من حفظ نفسه أن لا ـ يقع فى اللذائذ المحرّمه ، وإلاّ فإنّه يكون واجباً من مقدّمه الواجب واجب ، ولا يصحّ ترك الواجب من أجل عمل مندوب ، وطلب العلم أكثر من المسائل المبتلى بها مستحبّ فى نفسه ، فتدبّر.

كان اُستاذى فى الأخلاق فى مقام النصيحه يقول : إذا كان بإمكان طالب العلم أن لا يتزوّج مبكّراً فليفعل ، فإنّ من يقدر على حفظ نفسه من التلوّث بالذنوب ، فعدم الزواج أفضل له ، لأنّ المرأه والأولاد بمنزله القيود والسلاسل لطالب العلم ، فكثيراً ما تمنعه عن مواصله الدراسه والتحقيق والتدقيق ، وينشغل ذهنه بأُمور المعاش والمأكل والملبس والمسكن ، لا سيّما فى عصرنا هذا ، فإنّ الحياه لطالب العلم من دون دغدغه صعبه جدّاً ، فمن أراد أن يتوفّق فى تحصيل العلوم والفنون ويفوق فيها الأقران ، فعليه أن يكمل درسه فى مرحلتى المقدّمات والسطوح ويدخل فى درس خارج الاُصول والفقه لسنتين وما يزيد ، فحينئذ يقدم على الزواج ، وقد تزوّج الإمام الخمينى وعمره خمسه وعشرون سنه ، وقد ألّف وصنّف فى الفقه والاُصول والفلسفه والعرفان وعمره ثلاث وعشرون سنه ، فاعتبروا يا اُولى الأبصار.

## الدرس الرابع

### اشاره

لقـد عرفنا فى المقدّمه والفصول التى مرّت أهميّه الأخلاق فى حياه طالب العلوم الدينيّه ، وبعض الآداب التى لا بدّ من مراعاتها ، حتّى يتوفّق فى طلب العلم النافع والعمل الصالح. وبقيت الآداب والأخلاق الحميده الاُخرى ، وهى كما يلى :

### الأمر الخامس : ترک العِشره

أن يترك العِشـره مع من يشـغله عن مطلوبه ، فـإنّ تركهـا من أهمّ مـا ينبغى لطالب العلم ، وأعظم آفات العِشـره ضـياع العمر بغير فائده ، وذهاب العرض والدين إذا كانت لغير أهل.

والـذى ينبغى لطـالب الحوزه العلميه أن لا يخالط إلاّ لمن يفيـده أو يسـتفيد منه ، أى يغـدو إمّا عالماً ربّانياً ، أو متعلّماً على سبيل النجاه ، ولا يكن الثالث همجٌ رعاع ،

ص: ۶۳

وإن احتـاج إلى صاحب وصـديق وزميل فليختر الصاحب الصالـح (۱) ، الـديّن التقى الـذكى الورع ، الـذى يعين على اُمور دينه ودنياه وآخرته ، إن نسى ذكّره ، وإن ذكر أعانه ، وإن احتاج واساه ، وإن ضجر صبّره. فيستفيد من خلقه ملكه صالحه ، فإنّ المرء يكسب من قرينه أخلاقه وملكاته ، وإن لم يتّفق مثل هـذا العبـد الصالـح ، فإنّ الوحـده خيرٌ له من قرين السوء ، وإنّ الصبر على الوحده فى مثل هذه المواقف من قوّه العقل ، وقطعيّه الجاهل تعدل صله العاقل.

وقـد حثّ علماء الأخلاق على ترك العشـره المانعه من تحصـيل العلم ، بل لا بـدّ لمن آثر الله على من سواه من العزله فى ابتدائه توحّشـاً من غير الله ، ومن الخلوه فى انتهـائه اُنسـاً بـالله ، وقـد ورد فى الخبر الشـريف عن الإمـام العسـكرى (عليه السـلام) : « من استأنس بالله استوحش من الناس » (۲).

والسيّد الإمام الخمينى فى كتابه « الجهاد الأكبر » يرى أنّه من الحرىّ لطالب العلم أن يبقى فى الحوزه فى مقام تهذيب نفسه ولو كان يستلزم ذلك خمسون سنه ، ثمّ بعد ذلك يخرج إلى المجتمع ، حتّى لا يتلوّث قبل تكميل نفسه بأوساخ المجتمع ، ولا يتغيّر بأهوائهم والأجواء التى يخلقونها ، بل يكون هو صاحب التصـميم والقرار وهو الذى يلوّن المجتمع بصبغه الله ، لا أنّه يتلوّن بألوانه وينجرف مع سيله ، حتّى يفقد دينه ــ والعياذ بالله ــ.

ص: ۶۴

---

۱ - ۱. لقـد تعرّضت لمواصـفات الصـديق وواجبات الصداقه فى كتاب « معالم الصديق والصداقه فى رحاب أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) » ، فراجع.

۲ - ۲. لقـد ذكرت مقامات عديـده تلزم مقام الأنس بالله فى رساله « مقام الاُنس بالله » شـرحاً وبياناً لهـذه الروايه الشـريفه ، وهى مطبوعه ، فراجع.

وروايـات العزله على نحوين ، كمـا فى كتـاب « المحـاسن والمساوئ » ، منها تـذمّ العزله ، ومنها تمـدح ، والجمع بينها ، كما هو واضـح أنّ التى تحثّ على الاتّصال مع الناس لهـدايتهم على أنّ هدف الأنبياء ذلك ، والعلماء ورثه الأنبياء ، إنّما ناضـره إلى من أكمـل نفسه وهـذّبها ، ووهبه الله قـدره إمـامه النـاس وسوقهم وهـدايتهم إلى وادى السـعاده والهنـاء ، وأمّا طالب العلم فى بـدايه مسـيرته العلميّه والاجتماعيّه ، فإنّه بحاجه ماسّه إلى العزله الممـدوحه ، التى يسـتتبعها العلم والتقوى وجهاد النفس ورجاحه العقل وكمال الأدب.

اُنظر إلى مدح الله أصحاب الكهف فى قوله تعالى :

( وَإذِ اعْتَزَلـْتُموهُمْ وَما يَعْبُدونَ إلاّ اللهَ فَأوُوا إلى الكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئ لَكُمْ مِنْ أمْرِكُمْ مِرْفقاً ) (١).

( وَأعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعونَ مِنْ دونِ اللهِ وَأدْعو رَبيِّ عَسى أنْ أكونَ بِدُعاءِ شَقِيّاً فَلَمّا اعْتَزَلَهُمْ وَما يَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ وَهَبْنا لَهُ إسْحاقَ وَيَعْقوبَ وَكُلاّ جَعَلـْنا نَبِيّاً ) (٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« العزله عباده ».

« قال الله عزّوجلّ : إنّ من أغبط أوليائى عندى رجلا خفيف الحال ذا خطر أحسن عباده ربّه فى الغيب ، وكان غامضاً بين الناس ، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه ، مات فقلّ تراثه وقلّ بواكيه ».

« إنّ أغبط أولياء الله عبدٌ مؤمنٌ خفيف الحال ذو حظٍّ من الصلاه أحسن



---

١- ١. الكهف : ١۶.

٢- ٢. مريم : ۴٨ ـ ۴٩.

عباده ربّه وأطاعه فی السرّ ، وکان غامضاً فی الناس لا یُشار إلیه بالأصابع ».

قال أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) :

« العزله أفضل شیم الأکیاس ».

« فی اعتزال أبناء الدنیا جماع الصلاح ».

« الوصله بالله فی الانقطاع عن الناس ».

« من انفرد عن الناس أنس بالله سبحانه ».

« لا سلامه لمن أکثر مخالطه الناس ».

« ملازمه الخلوه دأب الصلحاء ».

« سلامه الدین فی اعتزال الناس ».

« من اعتزل الناس سلم من شرّهم ».

« مداومه الوحده أسلم من خلطه الناس ».

« کان لقمان (علیه السلام) یطیل الجلوس وحده ، وکان یمرّ به مولاه فیقول : یا لقمان ، إنّک تدیم الجلوس وحدک ، فلو جلست مع الناس کان آنس لک. فیقول لقمان : إنّ طول الوحده أفهم للفکره ، وطول الفکره دلیل علی طریق الجنّه ».

« من حدیث الإمام الکاظم (علیه السلام) لهشام بن حکم ، قال (علیه السلام) : الصبر علی الوحده علامه علی قوّه العقل ، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنیا والراغبین فیها ، ورغب فیما عند الله ، وکان الله أنیسه فی الوحشه ، وصاحبه فی الوحده ، وغناه فی العیله ومعزّه من غیر عشیره ».

« قال الإمام الصادق (علیه السلام) : إن قدرت أن لا تخرج من بیتک فافعل ، فإنّ علیک فی خروجک أن لا تغتاب ولا تکذب ولا تحسد ولا ترائی ولا تتصنّع ولا تداهن ».

« كـان شـخص يبكى عنـد قبر النبىّ (صـلى الله عليه وآله) فقيـل له : ما يبكيك؟ فقال : سـمعت رسول الله (صـلى الله عليه وآله) يقول : إنّ اليسـير من الرياء شـرك ، وإنّ الله سـحبّ الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا ، وإن حضـروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ».

« يقول الإمام العسكرى (عليه السلام) : الوحشه من الناس على قدر الفطنه بهم ».

« قال الإمام الصادق (عليه السلام) : خالط الناس تخبرهم ، ومتى تخبرهم تقلّهم ».

« قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : من عرف الله توحّد ، من عرف الناس تفرّد ».

« ولمّـا سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن علّه اعتزاله؟ قال : فسد الزمان وتغيّر الإخوان ، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد » (١).

ولنا روايات كثيره تمدح العزله بشرطها ، كما أنّ العرفاء حثّوا طلّاب السير والسلوك فى بدايه أمرهم على ذلك.

فقيـل : مـا اختـار الخلوه على الصـحبه فينبغى أن يكون خاليـاً عن جميع الأذكـار إلاّ ذكره ، وعن جميع الإرادات إلاّ أمره ، وعن جميع مطالبات النفس إلاّ حكمه.

الوحـده جليس الصـديقين وأنيس الصادقين ، ليكن خدنك الخلوه وطعامك الجوع وحديثك المناجاه ، فإمّا أن تموت وإمّا أن تصل.

وكان بعض العارفين يصيح : الإفلاس الإفلاس! فقيل : وما الإفلاس؟ قال : الاستيناس بالناس.

ودخـل تلميـذ على شـيخه وكـان وحيـداً فى داره ، فقـال : أمـا تسـتوحش فى هـذه الـدار وحيـداً؟ فقال : ما كنت أظنّ أنّ أحـداً استوحش مع الله ، وقال آخر فى الجواب ، لمّـا دخلت صرت وحيداً ، فإنّى كنت مشغولا ومستأنساً بربىّ.



---

١- ١. ميزان الحكمه ، كلمه « العزله » ٣ : ١٩٦٤ ، الطبعه الجديده.

إرضَ بالله صاحباً وذر الناس جانباً ، كفى بالله محبّاً وبالقرآن مؤنساً وبالموت واعظاً.

صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخره ، وفرّ من الناس فرارك من الأسد ، واتّخذ الله مؤنساً.

قال بعض الحكماء : إنّما يستوحش الإنسان بالوحده لخلاء ذاته وعدم الفضيله من نفسه ، فيتكثّر حينئذ بملاقاه الناس ويطرد الوحشه عن نفسه بالكون معهم ، فإذا كانت ذاته فاضله ونفسه كامله طلب الوحده ليستعين بها على الفكره ، ويتفرّغ لاستخراج العلم والحكمه.

وفى بعض الآثار : وجدنا خير الدنيا والآخره فى الخلوه والقلّه ، وشرّهما فى الكثره والخلطه.

وفى بعضها : إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذلّ المعصيه إلى عزّ الطاعه آنسه بالوحده ، وأغناه بالقناعه ، وبصّره عيوب نفسه ، ومن أُعطى ذلك أُعطى خير الدارين.

ومن فوائد العزله : السلامه من الآفات ، وترك النظر إلى زينه الدنيا وزهرتها ، ومنع النفس من التطلّع إليها ومنافسه الناس عليها. قال الله تعالى :

( وَلا تُمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلى ما مَتَّعْنا بِهِ أَزْواجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ ) (١).

وإنّها خالعه عنك ذلّ الإحسان ، وقاطعه رقّ الأطماع ، ومفيده عزّ الناس عن الناس ، ومن آثر العزله حصل العزّ له ، ومعاشره الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار.



---

١- ١. طه : ١٣١.

العزله تستر الفاقه ، وتكفّ جلباب التجمّل ، إنّها معينهٌ لمن أراد نظراً فی علم ، أو إثاره لدفين رأی ، واستنباطاً لحكمه ، لأنّ شيئاً منها لا يتمّ إلّا مع خلاء الذرع وفراغ القلب ، ومخالطه الناس ملغاه ومشغله.

وقال بعض الحكماء : من الطيور من جعل راحته فی اعتزال العمران ، وآثر المواضع النائيه عن الناس ، فليتشبّه به من أراد النظر فی كتب الحكمه.

وقال بعض الأخيار : لا يتمكّن أحد من الخلوه إلّا بالتمسّک بكتاب الله ، والمتمسّکون بكتاب الله هم الذين استراحوا من الدنيا بذكر الله ، الذاكرون الله بالله ، عاشوا بذكر الله وماتوا بذكر الله ، ولقوا الله بذكر الله.

وقيل لبعض العبّاد ، ما أصبرک علی الوحده! فقال : ما أنا وحدی ، أنا جليس الله جلّ وعزّ! إذا شئت أن يناجينی قرأت كتابه ، وإذا أردت أن اُناجيه صلّيت.

وكان بعضهم يلزم الدفاتر والمقابر ، فقيل له فی ذلک ، فقال : لم أرَ أسلم من وحده ، ولا صاحباً أوعظ من قبر ، ولا جليساً أمنع من دفتر.

كان بعض العارفين يقول : مكابده العزله أيسر من مداراه الخلطه. وكان يقول : من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه ، فليعتزل الناس ويستوحش من الأغنياء وليجانب السلطان كما يجانب الرجل السباع الضاريه والهوام العاديه.

وعن بعض الحكماء حين قيل له : لماذا رفضت الناس؟ فقال : لم أرَ إلّا عدوّاً يداجينی بعداوته ، وصديقاً يعدّ علیّ معايبی فی أيام صداقته.

وطالب العلم إنّما يستأنس بكتبه ، وإنّ الكتب بساتين العلماء.

وكتبک حولی لا تفارق مضجعی ***وفيها شفاء للذی أنا كاتم

كأنّی سقيمٌ قد اُصيب فؤاده ***وهنّ حوالیَّ الرقا والتمائم

وقـال بعض العرفـاء : العزله فى الحقيقه اعتزال الخصـال المـذمومه ، لاـ الانقطـاع عن الإـخوان والتنـائى عن الأوطان ، فلهـذا قيل للعـارف : (كـائن بـائن) أى كـائن مع الخلق ، بائن عنهم بالسـرّ ، كما ورد فى الأثر : (كن مع الناس ، ولا تكن معهم) ، أى : كن معهم بالأجساد ، ولا تكن بالأرواح ، فإنّ المؤمن تعلّقت روحه بالملأ الأعلى ، فإنّه يستأنس بالله ويطمئنّ قلبه بذكر الله سبحانه.

والعقلاـء إنّما يختارون العزله لفوائـدها الجمّه ، ولقلّه إخوان الصـفا وخُلّان الوفاء ، وقـد علموا أنّ المعاشـره مع الأبرار الصالحين والأخيـار المتّقين ، أفضـل من الوحـده والاـنفراد والعزله ، ومن يترك الأخيار اختياراً ابتلى بالأشـرار اضـطراراً ، فإن لم نجـد من يتحلّى بالعقـل ، ولم يتجمّـل بـالعلم والفضـل والأدب ، لزمنا زوايا البيوت والمـدارس ، وتوكّلنا على الحىّ الـذى لا يموت (۱) ، ونعمل بما قاله الإمام الكاظم (عليه السلام) : « قطيعه الجاهل تعدل صلّه العاقل ».

هذا وكبار علمائنا الأعلام فى وصاياهم لأولادهم وتلامذتهم ، كانوا يحثّونهم على اختيار العزله ، عند فساد الزمان.

ومن وصايا سـيّدنا الاُسـتاذ السـيّد النجفى المرعشى (قدس سره) : وبتقليل المعاشره ، فإنّ المعاشره والدخول فى نوادى الناس فى هذه الأعصار محظور مخطور ، قلّما يرى ناد يخلو عن البهت والغيبه فى حقّ المؤمنين والإرزاء بهم ، وتضييع حقوقهم واُخوّتهم.



---

۱- ۱. آداب النفس : ۴۱ _ ۶۳.

## الدرس الخامس

### اشاره

من الآداب والأخلاق الطيّبه التی لا بدّ لطالب العلم فی سیرته الأخلاقیّه من مراعاتها ، هی کما یلی ــ عطفاً علی ما سبق ــ :

### الأمر السادس : الحرص علی التعلّم

أن یکون حریصاً علی التعلّم مواظباً فی جمیع أوقاته لیلا ونهاراً سفراً وحضراً ، فلا یشتغل بغیر طلب العلم أو ما هو ضروری فی الحیاه من أکل ونوم وما شابه ذلک ، وإنّ من استوی یوماه فهو مغبون ، ومن کان یومه خیرٌ من أمسه فبطن الأرض خیرٌ له من ظهرها ــ کنابه عن الموت ، وأنّ الحیاه حینئذ لا قیمه لها ــ ولا یستطاع العلم براحه الجسد ، وإنّ الجنّه دار النعیم التی فیها ما لم یخطر علی قلب بشر ، إنّما حُفّت بالمکاره والصعاب ، وإنّ من طلب العلی سهر اللیالی.

وما أکثر الخواطر والقصص من حیاه علمائنا الأعلام فی هذا الباب ، کان سیّدنا الاُستاذ آیه الله العظمی السیّد الگلپایگانی یقول : وکم من لیله غرقت فی

المطالعه فلم أنتبه على نفسى إلاّ بصوت مؤذّن صلاه الصبح. وكم من مرّه وضعت زوجه آيه الله العظمى السيّد البروجردى (قدس سره) العشاء من أوّل الليل فى غرفه زوجها ، فتأتى صباحاً وترى الأكل لا يزال على ما كان ، وكان السيّد مشغولا بالمطالعه حتّى الصباح.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« من لم يصبر على ذلّ التعلّم ساعه بقى فى ذلّ الجهل أبداً ».

« ما من متعلّم يختلف إلى باب العالم إلاّ كتب الله له بكلّ قدم عباده سنه ».

قال أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) :

« لا يستحينّ أحد إذا لم يعلم الشىء أن يتعلّمه ».

« تعلّموا العلم فإنّ تعلّمه حسنه ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه ، وهو أنيس فى الوحشه ، وصاحب فى الوحده ، وسلاح على الأعداء ، وزين الأخلاّء ، يرفع الله به أقواماً يجعلهم فى الخير أئمّه يقتدى بهم ، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم ».

« فى صفه المتّقين : من علامه أحدهم أنّك ترى له قوّه فى دين وحزماً فى لين ، وإيماناً فى يقين ، وحرصاً فى علم ، وعلماً فى حلم ».

قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« كان فيما وعظ لقمان ابنه ، أنّه قال له : يا بنى ، اجعل فى أيّامك ولياليك نصيباً لك فى طلب العلم ، فإنّك لن تجد تضييعاً مثل تركه ».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « العلم رأس الخير كلّه ، والجهل رأس الشرّ كلّه ».

« العلم حياه الإسلام وعماد الدين » ، أقرب الناس إلى درجه النبوّه أهل العلم والجهاد ، مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء ...

## الأمر السابع : علوّ الهمّه

أن يكون عالى الهمّه ، بعيـد النظر ، كما قال أمير المؤمنين لولده محمّد بن الحنفيّه فى ساحه الوغى : « أُنظر إلى أقصـى القوم » ، وإنّ من ينظر إلى قمّه الجبل فإنّه يهون عليه صـعوده ، ولا يتهيّب من وعره وصـعوبه طريقه ، فلا يرضى باليسير مع إمكان الكثير ، ولا يؤجّل عمل اليوم إلى غـد ، ولا عمل الساعه إلى بعـدها ، فإنّ فى التأخير آفات ، وخير البرّ عاجله ، وإنّ للساعه الثانيه عملها ، فلاـ بـدّ من السـير الـدؤوب المتواصل ، ولا يخافه قول حـذار ، ولا تعيقه فى السـير عوائق ، بل يتجاوز العقبات والموانع والقواطع بحزم وعزم وصبر ومثابره ، والوقت سيف فإن قطعته وإلاّ قطعك ، والليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما.

واعلم أنّ أنفس شىء وأعظم شىء فى الحياه هو العلم ، فإنّ الإمام السجّاد (عليه السلام) يقول : « لو علم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج » ، فمثل هذا الأمر الخطير يحتاج إلى أعلى مراتب الهمّه وأقوى درجات الإراده ، وغايه الشوق ونهايه العشق ، ولِمَ لا يكون كذلك وسبحانه وتعالى يقول :

( هَلْ يَسْتَوى الَّذينَ يَعْلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمونَ إنَّما يَتَذَكَّرُ اُولو الألـْبابِ ) (١).

( يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَالَّذينَ اُوتوا العِلـْمَ دَرَجات ) (٢).



١- ١. الزمر : ٩.

٢- ٢. المجادله : ١١.

## الأمر الثامن : رعايه ترتّب العلوم

أن يأخذ فى ترتيب التعلّم بما هو اولى ، ويبدأ فى مقام التزاحم فى الامتثال بالأهمّ فالأهمّ ، ولا يشتغل فى النتائج قبل المقدّمات ، كما لا يطفر من كتاب إلى آخر قبل إتمامه ودراسته. فليحذر من التنقّل من كتاب إلى آخر ومن فنّ إلى غيره من غير موجب ، فإنّ ذلك علامه الضجر وعدم الفلاح ، ومن ضجر وكسل فإنّه يفوت منه الحقّ ، ويقصّر فيه. كما لا يختلف فى كلّ برهه قصيره وأيام معدوده عند عالم وآخر ، وبين ليله وضحاها ، تجده قد ختم الكتب العقليه والفلسفيه ، ويدّعى الربوبيه فى علمه ، وينتظر من الناس أن يقدّسونه ويلقّبونه بآيه الله وإنّه العظمى ــ كما ابتلينا فى عصرنا وحوزتنا بمثل هذه النماذج الضعيفه فى الشخصيه الفارغه من المحتوى والأخلاق الإسلاميه ، تراهم سرعان ما يتلهّفون إلى جمع المرده وفتح المكاتب والبرّانيات ، وطبع الرسائل العمليه أو دونها ، ويحبّون جمع المال حبّاً جمّاً ، ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ــ بل لطالب العلم الذى يفكّر فى تهذيب نفسه أن يتريّث ويتمهّل ويسعى بكلّ طاقته أن يصلح نفسه أوّلا ، ولو كان ذلك يستلزم سنين بل (وعلى حدّ تعبير الإمام الخمينى (قدس سره) فى كتابه « الجهاد الأكبر ») لو كان ذلك إلى خمسين سنه ، فلا يتقبّل المسؤوليات الاجتماعيه قبل أن يكمل نفسه ، ولماذا هذه العجله؟! فإنّه إن كنت من أهل الرئاسه الصالحه التى تنفعك فى دينك ، فإنّها تأتيك ذليلةً حقيره ، وحينئذ لا يُبال لو خرجت منه ، كما لا يرتكب المحرّمات من أجل حدوثها وبقائها ، فإنّه :

كلّ من أخذ البلاد بغير حرب ***يهون عليه تسليم البلادِ

وأمّا من همّ بالرئاسه فهو ملعون ، بعيد عن رحمه الله سبحانه ، كما ورد فى الروايات الشريفه ، وهلك من يخفق خلفه النعال.

وهناك من المعمّمين من علماء السوء من يطيل لحيته ويزيد فى قطر عمامته ، ويسطّر الألقاب قبل اسمه ، ليغرّ بها عوامّ الناس ، وليكسب المال منهم ، ويحضى باحترامهم ، وتقبيل يده الأثيمه. وقد غفل أنّ الزبد يذهب جفاء ، وأمّا ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض.

واعلم أنّ العمر لا يتّسع لجميع العلوم ، فالحزم أن يأخذ من كلّ علم أحسنه ، ويصرف جمام قوّته فى العلم الذى هو أشرف العلوم ، وهو العلم النافع فى الآخره ، ممّا يوجب كمال النفس وتزكيتها بالأخلاق الفاضله والصفات الحميده والأعمال الصالحه والأفعال الطيّبه ، ومرجعه إلى معرفه الكتاب الكريم ، كتاب الله الحكيم ، والسنّه الشريفه المتمثّله بقول المعصوم (عليه السلام) وفعله وتقريره ، وعلم مكارم الأخلاق وما ناسبه (١).

واعلم أنّ لكلّ علم من هذه العلوم مرتبه من التعلّم ، لا بدّ لطالبه من مراعاتها لئلّا يضيع سعيه أو يعسر عليه طلبه ، وليصل إلى بُغيته بسرعه ، وكم قد رأينا طلّاباً للعلم سنين كثيره ، لم يحصلوا منه إلّا على القليل ، وآخرون حصّلوا منه كثيراً فى مدّه قليله ، بسبب مراعاه ترتيبه ونظامه.

ثمّ الغرض الأوفى من هذه العلوم ليس مجرّد العلم بها ، بل المقصود موافقه



---

١- ١. هذا ما قاله الشهيد الثانى فى منيته من آداب المتعلّم فى نفسه ، ثمّ يذكر آدابه مع شيخه أربعين أدباً ، ثمّ آدابه فى درسه وقراءته ثلاثون أدباً ، فراجع.

مراد الله تعالى منها والتقرّب إليه بها ، إمّا بالآليه ، أو بالعلم ، أو بالعمل ، أو بإقامه نظام الوجود ، أو إرشاد عباده إلى ما يراد منهم ، أو غير ذلک ، من المطالب الستّيه الدينيه والدنيويه ، وبسبب ذلک يختلف ترتيب التعلّم وتقدمه بعض العلم على بعض من حيث المدارسه والمطالعه ، ومن حيث الكمّ والكيف ، كما يذكر ذلک بالتفصيل الشهيد الثانى (قدس سره) فى المطلب الثالث فى ترتيب العلوم بالنظر إلى المتعلّم ، فراجع (١).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« أكثر الناس قيمهً أكثرهم علماً ، وأقلّ الناس قيمهً أقلّهم علماً ».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) :

« يا مؤمن ، إنّ هذا العلم والأدب ثمن نفسک ، فاجتهد فى تعلّمهما ، فما يزيد من علمک وأدبک يزيد فى ثمنک وقدرک ، فإنّ بالعلم تهتدى إلى ربّک ، وبالأدب تحسن خدمه ربّک ، بأدب الخدمه يستوجب العبد ولايته وقربه ».

عن زيد الزرّاد ، عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : قال أبو جعفر (عليه السلام) : يا بنى إعرف منازل الشيعه على قدر روايتهم ومعرفتهم ، فإنّ المعرفه هى الدرايه للروايه ، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان ، إنّى نظرت فى كتاب لعلىّ (عليه السلام) فوجدت فى الكتاب : أنّ قيمه كلّ امرئ وقدره معرفته.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا ، فإنّا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتّى يكون محدّثاً ، فقيل له : أوَ يكون المؤمن محدّثاً؟ قال : يكون مفهّماً ، والمفهّم محدَّث.

عن المسيح (عليه السلام) : من عَلِمَ وعمل وعَلَّم عُدّ فى الملكوت الأعظم عظيماً.



---

١- ١. منيه المريد : ٣٨٧ ، تحقيق رضا المختارى.

## الدرس السادس

### اشاره

لقد ذكرنا في الفصول الماضيه الأُمور الثمانيه التي ذكرها الشهيد الثاني في منيته حول ما يجب على طالب العلم مراعاته ، وأمّا الأُمور الأُخرى التي لا بدّ من رعايتها أيضاً ، فهي كما يلي عطفاً على ما سبق :

### الأمر التاسع : اختيار المعلّم الصالح

ذكره الشهيد باعتبار الآداب التي يلزم المتعلّم أن يراعيها مع أُستاذه وشيخه ، إلاّ أنّي أذكره ضمن الآداب العامّه لطالب الحوزه الذي يفكّر في سيرته الأخلاقيه وإصلاحها وهو : أن ينظر إلى المعلّم الذي يأخذ علمه منه ، فإنّ من استمع إلى ناطق فقد عبده ـ كما ورد في الخبر ـ فإن تكلّم عن الله فقد عبد الله سبحانه ، وإن تكلّم عن الشيطان أو هوى النفس ، فإنّه قد عبد الشيطان واتّخذ إلهه هواه ، وقد ورد في الخبر الشريف : إذا رأيتَ العالم مقبلاً على دنياه فاتّهمه في دينه ، أي لا يحقّ لكم أن تأخذوا دينكم وسلوككم ممّن كان مقبلا على دنياه ، فكيف المتلبّس بها

والغاطّ فی بحرها.

فیقول الشـهید الثانی (قدس سـره) : أهمّ الاُمور التی یجب علی المتعلّم أن یراعیها مع شیخه ، أن یقدّم النظر فیمن یأخذ عنه العلم ، ویکتسب حسن الأخلاق والآداب منه ، فإنّ تربیه الشـیخ لتلمیـذه ونسـبه إخراجه لأخلاقه الـذمیمه ، وجعل مکانها خلقاً حسـناً ، کفعل الفلاّح الذی یقلع الشوک من الأرض ، ویخرج منها النباتات الخبیثه من بین الزرع ، لیحسن نباته ویکمل ریعه.

ولیس کـلّ شـیخ یتّصف بهـذا الوصف ، بـل ما أقلّ ذلک ، فإنّه فی الحقیقه نائب عن الرسول (صـلی الله علیه وآله) ، ولیس کلّ عـالم یصـلح للنیـابه ، فلیختر مـن کملت أهلیّته ، وظهرت دیـانته ، تحقّقت معرفته ، وعرفت عفّته ، واشـتهرت صـیانته وسـیادته ، وظهرت مروّته وحسن تعلیمه ، وجاد تفهیمه.

ولا یغترّ الطالب بمن زاد علمه ، مع نقص فی ورعه أو دینه أو خُلقه ، فإنّ ضـرره فی خُلق المتعلّم ودینه أصـعب من الجهل الذی یطلب زواله ، وأشدّ ضرراً. وعن جماعه من السلف : هذا العلم دین فانظروا عمّن تأخذون دینکم.

وفی ذیل الآیه الشریفه :

( فَلــْیَنْظُرِ الإنْسانُ إلی طَعامِهِ ) (١).

قال الإمام الباقر (علیه السلام) : أی فلینظر إلی علمه ممّن یأخذ.

ثمّ قال الشـهید الثانی : ولیحترز ممّن أخذ علمه من بطون الکتب من غیر قراءه علی الشیوخ ـ کما نجد فی حوزتنا بعض الطلاّب من دون أن یحضر دروس الأساتذه یتصدّی للتدریس ، لا سیّما درس الخارج علی أنّه من النوابغ ولا بدّ أن



---

١- ١. عبس : ٢٤.

يكسر الأعراف والسنن التى كان عليها السلف الصالح فى الحوزه العلميه المباركه ، وهناك من يكتفى بأشرطه التسجيل ــ قال بعض السلف : من تفقّه من بطون الكتب ضيّع الأحكام. وقال آخر : إيّاكم والصحفيّون الذين يأخذون علمهم من الصحف ، فإنّ ما يفسدون أكثر ممّا يصلحون. وقد ورد فى الخبر الشريف : « هلك من لم يكن له حكيمٌ يرشده » ، فكلّ طالب يحتاج فى مقام التعلّم إلى اُستاذ ومعلّم ، لا سيّما فى علم الأخلاق ، فإنّه بأمسّ الحاجه إلى مربٍّ خلوق ، وحكيم مرشد ، واُستاذ قدير ، صاحب الأنفاس القدسيّه ، التى أتعب نفسه فى تهذيبها ومجاهدتها.

ثمّ قال الشهيد الثانى : وليحذر من التقييد بالمشهورين ــ كما نجد هذه الظاهره فى الحوزه فى العصر الراهن ، أنّه يحضر الطالب عند من كان مشهوراً ويتقيّد بذلك ــ وترك الأخذ بالخاملين ، فإنّ ذلك من الكِبر على العلم ، وهو عين الحماقه ، لأنّ العلم ضالّه المؤمن ، يلتقطها حيث وجدها ويغتنمها حيث ظفر بها ، ويتقلّد المنّه ممّن ساقها إليها ، وربّما يكون الخامل ممّن تُرجى بركته ، فيكون النفع به أعمّ والتحصيل من جهته أتمّ.

وإذا سبرت أحوال السلف والخَلَف لم تجد النفع غالباً ، إلّا إذا كان للشيخ من التقوى والنصح والشفقه للطلبه نصيب وآخر ، وكذلك إذا اعتبرت المصنّفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى أوفر ، والفلاح بالاشتغال به أكثر ، وبالعكس حال العالم المجرّد من التقوى والعمل الصالح ، وإنّما عنده من العلم بالمصطلحات يتبختر بها ، حتّى كاد أن يدّعى الربوبيّه ، لما يحمل من نفس فرعونيه ــ والعياذ بالله ، ونجّانا الله من شرور أنفسنا الأمّاره بالسوء ــ.

« فينبغى لطالب العلم أن يختار الاُستاذ الأعلم والأورع والأسنّ ، وينبغى أن يشاور فى طلب العلم ، أى علم يراد فى المشى إلى تحصيله ، فإذا دخل المتعلّم إلى بلد

يريـد أن يتعلّم فيه ، فليكن أن لا ـ يعجّل فى الاختلاف مع العلماء ، وأن يصبر شـهرين ، حتّى كان اختياره للُاسـتاذ ، ولم يؤدّ إلى تركه والرجوع إلى آخر ، فلا يبارك له ، فينبغى أن يثبت ويصبر على اُسـتاذ وكتاب حتّى لا يتركه أبتر ، وعلى فنّ لا يشـتغل بفنٍّ آخر ، قبـل أن يصـير ماهراً فيه ، وعلى بلـد حتّى لا ينقل إلى بلـد آخر من غير ضـروره ، فإنّ ذلك كلّه يفرق الاُمور المقرّبه إلى التحصيل ، ويشغل القلب ويضيّع الأوقات » (١).

كمـا على طـالب العلم أن يختـار شـريكاً فى الـدرس والمبـاحثه ، فيختار المجـدّ والأورع وصاحب الطبع المسـتقيم ، ويحترز عن الكسلان والمعطّل ومكثار الكلام والمفسد والفتّان ، قيل : يعرف المرء بخليله.

فاعتبروا الأرض بأسمائها ***واعتبر الصاحب بالصاحب

ثمّ العمـده لطـالب العلم أن يبحث عن اُسـتاذ فى الأخلاـق ، فـإنّ العلم لا ـ بـدّ من مقـارنته مع التربيه والتزكيه ، بل لأهميّه التزكيه قدّمت فى الآيه الشريفه : ( يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ ) على التعليم.

وقال الإمام السجّاد (عليه السلام) : « هلك من ليس له حكيم يرشده » (٢).

فزخرف الحيـاه وزبرجهـا ، ووسـاوس الشـياطين وأعوانهم ، وحـديث النفس الأمّاره بالسوء ، وكثره الأعـداء فى الظاهر والباطن ، ظلمات بعضـها فوق بعض ، ومن الصـعب أن ينجو الإنسان بنفسه من هذه المغريات والمهلكات ، بل لا بدّ له من خضر فى وادى الظلمات ، فصناعه الإنسان وتربيته من دون اُستاذ وبشكل تلقائى



---

١- ١. آداب المتعلّمين ــ جامع المقدّمات ٢ : ٥١.

٢- ٢. كشف الغمّه ٢ : ٣٢٥.

كأنّه يعدّ من المستحيلات ، ولا يمكن لأحد أن يدّعى الوصول وتهذيب النفس وصيقله القلب وتطهير الذات من الرذائل من دون مربٍّ ومعلّم ، فعلى طالب العلم فى بدايه مسيرته أن يبحث عن (اُستاذ الأخلاق) فيختار إنساناً متّقياً كاملا يتولّى تربيته منذ الأيّام الاُولى عند دخوله الحوزه العلميّه ، فهذا من الهمّ الأوّل لطلّاب العلوم الدينيّه.

ويقول الإمام الخمينى (قدس سره) : اختاروا أساتذه أخلاق لكم ، اعقدوا مجالس الوعظ والخطابه والنصيحه ، التهذيب تلقائياً (بدون اُستاذ) غير ممكن ، إنّ الحوزات محكومه بالفناء إذا خلت من مجالس الوعظ والنصيحه. كيف يعقل أن يكون علم الفقه والاُصول بحاجه إلى مدرّس ، بحاجه إلى درس وبحث؟! كيف يعقل أن يكون كلّ علم وصنعه فى الدنيا بحاجه إلى اُستاذ ولا تكون العلوم المعنويّه والأخلاقيّه بحاجه إلى تعلّم وتعليم ، ثمّ يحصل عليها الإنسان تلقائيّاً (أوتوماتيكيّاً) ويحصلها بدون معلّم ، لقد سمعت كراراً أنّ سيّداً جليلا كان معلّم الأخلاق للشيخ الأنصارى _ وهو السيّد على الشوشترى اُستاذ العرفان فى القرن الأخير _ (1).

يقول العارف الجليل آيه الله السيّد على القاضى اُستاذ العلّامه الطباطبائى فى العرفان والسير والسلوك : أهمّ ما يلزم فى هذا الطريق الاُستاذ الخبير البصير الخارج عن أسر الهوى ، الواصل إلى المعرفه الإلهيّه ، والإنسان الكامل الذى سافر _ بالإضافه إلى السير إلى الله _ الأسفار الثلاثه الاُخرى ، شرط أن يكون تجوّله وتفرّجه فى عالم الخلق (بالحقّ) إذا أمضى الإنسان الذى يطلب طريق الله وسلوك طريق الله ، نصف عمره يبحث عن اُستاذ هذا الطريق ، ويفتّش عنه فإنّه يكون



---

١- ١. سيماء الصالحين : ٣٨.

مصيباً ، لأنّ الأمر يستحقّ هذا الاهتمام ، من وصل إلى الاُستاذ ، وحصل عليه ، فقد قطع نصف الطريق.

أجل : لا بدّ من الاُستاذ في السير والسلوک ، وينبغي الاهتمام به جيّداً في اختيار الاُستاذ ، فيلزم على الطالب أن يکون دقيقاً جدّاً ومحتاطاً ، فلا يسلّم نفسه ودينه لأيّ مدّع ، حتّى يطمئنّ إلى صحّه دعواه.

إسمع إلى ما يقوله العلاّمه السيّد بحر العلوم في هذا المجال : وأمّا الاُستاذ العامّ ــ وهو غير المعصوم (عليه السلام) ــ فلا يعرف إلاّ بصحبته في السرّ والعلن ، ومعاشرته الباطنيّه ، وملاحظه اکتمال إيمان جوارحه وإيمان نفسه ، والحذر من أن يقع الانخداع بظهور خوارق العادات منه وبيانه لدقائق النکات ، وإخباره بالخفايا الآفاقيّه ، وخبايا الأنفس ، تبدّل بعض حالاتک نتيجه الاقتداء به ، لأنّ الإشراف على الخواطر والاطّلاع على الدقائق والعبور على الماء والنار ، وطيّ الأرض والهواء ، والإخبار بما يأتي وأمثال ذلک ، إنّما يحصل في مرتبه المکاشفه الروحيّه ، وبين هذه المرحله والهدف المطلوب مسافه لا تتناهى. وکثير من المنازل والمراحل ، وما أکثر السالکين الذين يجتازون هذه المرحله ، ثمّ يدخلون بعدها في وادي اللصوص والأبالسه ، ومن هنا يستطيع کثير من الکفّار أن يأتوا بکثير من الاُمور الغريبه (1).

ومن أراد الاُستاذ في الأخلاق ، لا سيّما من يدخل الحوزه وهو لا يعرف أحداً ، فعليه أن يدعو الله کثيراً في ذلک ، ويتوسّل بالرسول الأکرم (صلى الله عليه وآله) وبالأئمه الأطهار (عليهم السلام) وبفاطمه الزهراء (عليها السلام) ، وحتّى بأولاد الأئمه وبأرواح علمائنا الکبار



---

١- ١. المصدر : ٤٠.

الماضـين قـدّس الله أسـرارهم الزكيه ، فـإنّ ذلـك يعـدّ من مفاتيـح هـذه الأبواب ، ومن المعـدّات للوصول إلى الحلقات التربويّه الروحيّه لهؤلاء الأساتـذه الكاملين والاسـتفاده منهم ، فمن كان متعطّشاً واقعاً من صـميم القلب فإنّ الله تعالى يأخذ بيده ، ويضـعه فى يد إنسان آخر.

أعرف شـخصاً من أهل العلم فى بدايه سـيره السلوكى ، كان يدعو الله بالبكاء والتضرّع ويطلب منه اُستاذاً فى الأخلاق والعرفان ، وفى يوم من الأيام كان مسـتلقياً وبين السِّنَه والنوم ، وإذا به يسـمع صـرير الباب ، ويسـمع هاتفاً يقول : هذا اُستاذ أخلاقك ، وإذا بشـخص يدخل الغرفه ، فيقوم لاحترامه وتقديره ، فلم يرَ أحداً ، ثمّ التقى به وبقى عنده سنين يأخذ منه المعارف ، ثمّ تعرّف على شيخه واُستاذه ، فحضر عند ذلك خمس سنوات أيضاً.

وهذا العلاّمه الطباطبائى (قدس سره) يحدّثنا عن حياته قائلا : عندما كنت فى طريقى من تبريز إلى النجف الأشرف للدراسه ، لم أكن أعرف شـيئاً عن النجـف ، ولم أكن أعرف أين أذهب ، ومـاذا أفعـل؟ كنت فى الطريق اُفكّر دائمـاً أىّ درس أدرس؟ وعلى مَن أتتلمذ؟ وأىّ طريقه أختار ويكون فيها رضا الله تعالى؟ عندما وصـلت إلى النجف الأشـرف وحين الدخول توجّهت إلى حرم أمير المؤمنين (عليه السـلام) وقلت : سـيّدى ، تشـرّفت بمحضـرك لمواصـله الـدراسه ، ولكنّى لا أعرف أىّ نهـج أسـلك ، وأىّ برنامج أختار ، اُريد منك أن ترشدنى إلى ما فيه صـلاحى. استأجرت منزلا وسكنته ، وفى الأيام الاُولى ، وقبل أن أبدأ أىّ درس ، كنت جالساً فى البيت اُفكّر فى مسـتقبلى ، فجأهً طرق الباب ، فتحت الباب ، فرأيت أحد العلماء الكبار ، سلّم ودخل ، جلس فى الغرفه ورحّب بى ، كـانت له طلعه جـذّابه ونورانيّه جـدّاً ، حـادثنى بكامـل الصـفاء والصـميميّه والاُنس ، وخلال أحاديثه قرأ لى أشعاراً ، وقال لى ما مضمونه :

الشـخص الذی یأتی إلی النجف بهدف الدراسه من الجیّد أن یفکّر بالإضافه إلی الدراسه بتهذیب نفسه وتکمیلها ، وأن لا یغفل عن نفسه ، قال هذا ومضی ...

وفی ذلک المجلس أسـرتنی أخلاقه وتصـرّفاته ، وقـد أثّرت فی قلبی کلماته القصار والأخّاذه إلی حـدّ أنّی عرفت منها برنامجی المسـتقبلی ، وطیله الفتره التی کنت فیها فی النجف لم أترک محضر ذلک العالم التقی ، اشترکت فی درسه الأخلاقی واستفدت من سماحته ، ذلک العالم الکبیر هو المرحوم آیه الله الحاجّ المیرزا علی القاضی رضوان الله علیه (۱).

فیا طالب العلم ، لا تیأس من روح الله واطلب الاُستاذ منه ، وفّقک الله للعلم النافع والعمل الصالح.

قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) :

« العلم دین ، الصلاه دین ، فانظروا عمّن تأخذون هذا العلم ».

قال الإمام الحسن (علیه السلام) :

« عجبت لمن یتفکّر فی مأکوله کیف لا یتفکّر فی معقوله؟! فیجنّب بطنه ما یؤذیه ویودع ما یردیه ».

قال الإمام الکاظم (علیه السلام) :

« لا علم إلّا من عالم ربّانی ، ومعرفه العالم بالعقل ».

من وصیّه ذی القرنین :

« لا تتعلّم العلم ممّن لا ینتفع به ، فإنّ من لم ینفعه علمه لا ینفعک » (۲).



---

۱- ۱. سیماء الصالحین : ۸۲.

۲- ۲. میزان الحکمه ۶ : ۴۸۴.

## الأمر العاشر : تعظيم المعلّم والتواضع له

آيه الحقّ الشـهيد الثانى أعلى الله مقامه الشريف فى منيته يذكر آداباً يختصّ بها المعلّم ، وإنّها تنقسم إلى ثلاثه أقسام : آدابه فى نفسه ، وآدابه مع طلبته ، وآدابه فى مجلس درسه.

فمن الأوّل ــ أى آدابه فى نفسه ــ فاُمور :

١-أن لا ينتصب للتدريس حتّى تكمل أهليّته ويظهر استحقاقه لذلك.

٢-أن لا يذلّ العلم فيبذله لغير أهله.

٣-أن يكون عاملا بعلمه.

۴-زياده حسن الخلق والتواضع وتمام الرفق وبذل الوسع فى تكميل النفس.

۵-أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النيّه.

۶-بذل العلم عند وجود المستحقّ وعدم البخل به.

٧-أن يحترز من مخالفه أفعاله لأقواله.

٨-إظهار الحقّ بحسب الطاقه من غير مجامله لأحد من خلق الله تعالى.

ومن الثانى ــ أى آدابه مع طلبته ــ فاُمور :

١-أن يؤدّبهم على التدريج بالآداب السنّيه والشيم المرضيه ورياضه النفس بالآداب الدينيّه والدقائق الخفيّه.

٢-أن يرغّبهم فى العلم ويذكّرهم بفضائله وفضائل العلماء وأنّهم ورثه الأنبياء (عليهم السلام).

٣-أن يحبّ لهم ما يحبّ لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشرّ.

٤-أن يزجره عن سوء الأخلاق وارتكاب المحرّمات والمكروهات أو ما يؤدّى إلى فساد حال أو ترك اشتغال أو إساءه أدب ، أو كثره كلام من غير فائده ، أو معاشره من لا تليق معاشرته.

٥-أن لا يتعاظم على المتعلّمين ، بل يلين لهم ويتواضع.

٦-إذا غاب أحد منهم أو من ملازمى الحلقه زائداً على العاده يسأل عنه وعن أحواله.

٧-أن يستعلم أسماء طلبته وحاضرى مجلسه وأنسابهم وكناهم ومواطنهم وأحوالهم.

٨-أن يكون سمحاً ببذل ما حصله من العلم.

٩-صدّ المتعلّم أن يشتغل بغير الواجب قبله.

١٠-أن يكون حريصاً على تعليمهم ، باذلا وسعه فى تفهيمهم وتقريب الفائده إلى أذهانهم.

١١-أن يذكر فى تضاعيف الكلام ما يناسبه من قواعد الفنّ.

١٢-أن يحرّضهم على الاشتغال فى كلّ وقت ، ويطالبهم فى أوقات بإعاده محفوظاتهم.

١٣-أن يطرح على أصحابه ما يراه من مستفاد المسائل الدقيقه والنكت الغريبه ، يختبر بذلك أفهامهم ويظهر فضل الفاضل.

١٤-أن ينصفهم فى البحث.

١٥-أن لا يظهر للطلبه تفضيل بعضهم على بعض عنده فى مودّه أو اعتناء مع تساويهم فى الصفات.

ص: ٨٦

١٦–أن يقدّم فى تعليمهم إذا ازدحموا الأسبق فالأسبق.

١٧–إذا سلك الطالب فى التحصيل فوق ما يقتضيه حاله ، أوصاه بالرفق بنفسه.

١٨–إذا كان متكفّلا ببعض العلوم لا غير ، لا ينبغى له أن يقبّح فى نفس الطالب العلوم التى وراءه.

١٩–أن لا يتأذّى ممّن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره أيضاً لمصلحه راجعه إلى المتعلّم.

٢٠–إذا تكمّل الطالب وتأهّل للاستقلال بالتعليم واستغنى عن التعلّم فينبغى أن يقوم المعلّم بنظام أمره فى ذلك ، ويمدحه فى المحافل ويأمر الناس بالاشتغال عليه والأخذ عنه.

ومن الثالث ــ أى آدابه فى درسه ــ فأُمور :

١–أن لا يخرج إلى الدرس إلاّ كامل الأُهبه ، وما يوجب له الوقار والهيبه فى اللباس والهيئه والنظافه فى الثوب والبدن.

٢–أن يدعو عند خروجه مريداً للدرس.

٣–أن يسلّم على من حضر إذا وصل إلى المجلس ، ويصلّى ركعتين تحيّه المسجد إذا كان فى المسجد ، وإلاّ نوى بهما الشكر لله تعالى.

٤–أن يجلس بسكينه ووقار وتواضع وخشوع وإطراق.

٥–قيل : يجلس مستقبل القبله.

٦–أن ينوى قبل شروعه ، بل حين خروجه من منزله تعليم العلم ونشره.

٧–أن يستقرّ على سمت واحد مع الإمكان ، ويتّقى كثره المزاح والضحك.

٨–أن يجلس فى موضع يبرز وجهه فيه لجميع الحاضرين.

٩-أن يحسن خُلقه مع جلسائه زياده على غيرهم.

١٠-أن يقدّم على الشروع فى البحث والتدريس تلاوه ما تيسّر من القرآن الكريم تيمّناً وتبرّكاً.

١١-أن يتحرّى تفهيم الدرس بأيسر الطرق ، وأعذب ما يمكنه من الألفاظ.

١٢-إذا تعدّدت الدروس ، فليقدّم منها الأشرف فالأشرف ، والأهمّ فالأهمّ.

١٣-أن لا يطوّل مجلسه تطويلا يملّهم ، أو يمنعهم فهم الدرس أو ضبطه.

١٤-أن لا يشتغل بالدرس وبه ما يزعجه ويشوّش فكره من مرض أو جوع أو مدافعه حدث أو ما شابه ذلك.

١٥-أن لا يكون فى مجلسه ما يؤذى الحاضرين من دخان أو غبار أو صوت مزعج وغير ذلك.

١٦-مراعاه مصلحه الجماعه فى تقديم وقت الحضور وتأخيره فى النهار.

١٧-أن لا يرفع صوته زياده على الحاجه ، ولا يخفضه خفضاً يمنع بعضهم من كمال فهمه.

١٨-أن يصون مجلسه عن اللغط.

١٩-أن يزجر من تعدّى فى بحثه ، أو ظهر منه لَدَد أو سوء أدب ، أو ترك إنصاف بعد ظهور الحقّ.

٢٠-أن يلازم الإرفاق بهم فى خطابهم وسماع سؤالهم.

٢١-أن يتودّد لغريب حضر عنده وينبسط له لينشرح صدره.

٢٢-إذا أقبل بعض الفضلاء وقد شرع فى مسأله أمسك عنها حتّى يجلس ، وأعادها.

٢٣-إذا سُئل عن شىء لا يعرفه ، فليقل : لا أعرفه ، فإنّ لا أدرى نصف

العلم ، حتّى يراجع ويرى المسأله.

۲۴-إنّه إذا اتّفق له تقرير أو جواب توهّمه صواباً ، يبادر إلى التنبيه على فساده وتبيّن خطأه قبل تفرّق الحاضرين ، ولا يمنعه الحياء أو غيره من المبادره.

۲۵-التنبيه عند فراغ الدرس أو إرادته بما يدلّ عليه إن لم يعرفه القارئ.

۲۶-أن يختم الدرس بذكر شيء من الرقائق والحكم والمواعظ وتطهير الباطن ، ليتفرّقوا على الخشوع والخضوع والإخلاص.

۲۷-أن يختم المجلس بالدعاء كما بدأ به.

۲۸-أن يمكث قليلا بعد قيام الجماعه ، فإنّ فيه فوائد وآداباً له ولهم.

۲۹-أن ينصب لهم نقيباً فطناً كيّساً يرتّب الحاضرين.

۳۰-أن يقول إذا قام من مجلسه : سبحانك اللهمّ وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلّا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، سبحان ربّك ربّ العزّه عمّـا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين.

هذه خلاصه ما ذكره الشهيد الثاني عليه الرحمه بالنسبه إلى آداب المعلّم (۱) ، إنّما ذكرتها في هذا الفصل المنعقد لبيان آداب المتعلّم مع اُستاذه وتعظيمه والتواضع له استطراداً ولتعميم الفائده.

وأمّا آداب الطالب والتلميذ مع شيخه واُستاذه ، وما يجب عليه من تعظيم حرمته ، فقد ورد ذلك في الآيات والروايات الكثيره ، منها :

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول : إنّ من حقّ العالم أن لا تكثر عليه السؤال ، ولا تأخذ بثوبه ، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلّم



---

۱- ۱. منيه المريد : ۱۷۹ _ ۲۲۱.

عليهم جميعاً وخصّه بـالتحيّه دونهم ، واجلس بين يـديه ، ولاـ تجلس خلفه ، ولاـ تغمز بعينـك ، ولا تشـر بيـدك ، ولا تكثر من القول : قال فلان وقال فلان ، خلافاً لقوله ، ولا تضجر لطول صحبته ، وإنّما مثل العالم مثل النخله تنتظرها حتّى يسقط عليك منها شىء ، والعالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازى فى سبيل الله.

وفى حديث الحقوق الطويل المروىّ عن سيّد الساجدين الإمام زين العابدين على بن الحسين (عليهما السلام) : « وحقّ سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع إليه والإقبال عليه ، وألاّ ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب أحداً يسأله عن شىء حتّى يكون هو الـذى يجيب ، ولا تحـدّث فى مجلسه أحـداً ، ولا تغتاب عنـده أحداً ، وأن تدفع عنه إذا ذُكر عندك بسوء ، وأن تستر عيوبه وتظهر منـاقبه ، ولاـ تجـالس له عـدوّاً ولاـ تعـادى له وليّاً ، فإذا فعلت ذلك شـهدت لك ملائكه الله جلّ وعزّ بأ نّك قصدته ، وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس.

وهـذا الشـهيد الثـانى عليه الرحمه يـذكر وجوهـاً لطيفه وآدابـاً ظريفه تسـتفاد من ثلاـث آيات فى قصّه موسـى والخضـر (عليهما السلام) فى قوله تعالى :

( هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلی أنْ تُعَلِّمَنی مِمّـا عُلِّمْتَ رُشْداً ) (١).

وقوله عزّوجلّ :

( سَتَجِدُنی إنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أعْصی لَکَ أمْراً ) (٢).

وقوله تعالى :

( إنَّکَ لَنْ تَسْتَطیعَ مَعِیَ صَبْراً ) (٣) ، فراجع.

ص: ٩٠

---

١- ١. الكهف : ٦۶.

٢- ٢. الكهف : ۶٩.

٣- ٣. الكهف : ۶٧.

ثمّ يقول : إذا تقرّر ذلک فلنعد إلی ذکر الآداب المختصّه بالمتعلّم مع شیخه ، حسب ما قرّره العلماء ، تفریعاً علی المنصوص منها ، وهی اُمور :

۱-أن یقدّم النظر فیمن یأخذ عنه العلم ، ویکتسب حسن الأخلاق والآداب منه ، وقد مرّ بیان ذلک ، بأنّ الطالب لا بدّ أن یختار المعلّم الصالح ، العامل بعلمه.

۲-أن یعتقد فی شیخه أنّه الأب الحقیقی والوالد الروحانی ، وهو أعظم من الوالد الجسمانی. وقد ورد فی الخبر الشریف : الآباء ثلاثه : أب ولّدک ، وأب زوّجک ، وأب علّمک ، وهو أفضلهم ، فیؤدّی حقّ الاُبوّه ولا یکون عاقّاً لوالده ، وقد سئل الاسکندر : ما بالک توقّر معلّمک أکثر من والدک؟ فقال : لأنّ المعلّم سبب لحیاتی الباقیه ، ووالدی سبب لحیاتی الفانیه.

وما أروع ما ینقل عن الشریف الرضی ، أنّه کان أبیّ النفس لم یقبل الهدایا ، فوهبه اُستاذه داراً ، فأبی قائلا : لا أقبل الهدیّه حتّی من أبی. فقال له اُستاذه : ولکنّی اُستاذک وأباک الروحانی ، فقبل منه الهدیّه.

وحکی عن السیّد موسی الصدر فی أیّام زعامته ، دخل قم المقدّسه ، وفی طریقه رأی شیخاً کبیر السنّ فانحنی لیقبّل رکبتیه ، فتعجّب من کان معه وسألوه عن سبب ذلک؟ فقال : لقد قرأت ألفیّه ابن مالک عند هذا الشیخ ، فهو اُستاذی ، ولا بدّ لی من تقدیره واحترامه.

فاحترام الأساتذه والعلماء وتوقیرهم یعنی توقیر الله سبحانه ، وأنّه من أسباب التوفیق وهو أمر واجب علی کلّ مسلم ، لا سیّما طلّاب العلوم الدینیه.

فعدم احترامهم ذنب لا یغتفر وسبب للشقاء والهلاک ، وقصر العمر والحرمان من تحصیل العلم والعمل الصالح.

فلاـ تردّ على أهل العلم إلاّ ـ عن علم واطّلاـع ورجوع إلى المصادر ، فتعظيم علماء الدين وأهل التقوى وأصحاب الورع من المؤمنين وتكريمهم ، منشأ البركات وصلاح الدين والدنيا ، ونجاه العقبى.

ولمّـا سئل المحقّق الوحيد البهبهانى (قدس سره) : كيف بلغت هذا المقام العلمى والعزّه والشرف والإذعان من الآخرين؟ فكتب فى الجواب : أنا لا أعتبر نفسى شيئاً أبداً ، ولا أعدّ نفسى فى مستوى العلماء الموجودين ... ولعلّ الذى أوصلنى إلى هذا المقام ، وهو أنّنى لم أكفّ أبداً عن تعظيم العلماء وإجلالهم ، وذكر أسمائهم بالخير ... وإنّى لم أترك الدراسه فى أىّ وقت ما استطعت ذلك ، وكنت اُقدّمها دائماً على سائر الأعمال.

كان المحدّث الجليل الشيخ عباس القمى (قدس سره) شديد الاحترام لأهل العلم ، وخصوصاً السادات وأولاد رسول الله ، وإذا وجد سيّداً فى المجلس لم يكن يتقدّم عليه ولا يمدّ رجله باتّجاهه.

وكان نصير الدين الطوسى (رحمه الله) إذا جرى ذكر السيّد المرتضى علم الهدى يقول : صلوات الله عليه ، ويلتفت إلى القضاه والمدرّسين الحاضرين درسه ، ويقول : كيف لا يُصلّى على المرتضى.

عندما جاء آيه الله الكلباسى إلى مدينه قم المقدّسه وذهب إلى مزارها الشريف ، كان يمشى فى طريقه إلى المزار حافياً ، وقال : هذا المزار وطريقه ملىء بالعلماء ورواه الحديث لذا ورعايهً للآداب لا اُريد أن أسير على قبورهم منتعلا.

يقول آيه الله الشهيد دستغيب (قدس سره) : ورد الوعيد بالعقوبه الشديده على كفران نعمه وجود العلماء ، منها ما ورد عن النبىّ الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) : « سيأتى زمان على الناس يفرّون من العلماء كما يفرّ الغنم من الذئب ، فإذا كان ذلك ابتلاهم الله بثلاثه أشياء : الأوّل : يرفع البركه من أموالهم ، والثانى : سلّط الله عليهم سلطاناً جائراً ،

والثالث : يخرجون من الدنيا بلا إيمان » (١).

ويقول العلاّمه الشعرانى (قدس سره) : والنصيحه الأخيره أن لا يعتبروا أنّ العلم بدون التقوى والورع ذا قيمه أبداً ، وأن لا يستخفّوا بكلام علماء الدين ، وأن يعلموا أنّ تعظيمهم أحياءً وأمواتاً يوجب مزيد التوفيق.

وأنا أغتنم هذه الفرصه هنا وأُحذّر طلّاب العلوم الدينيه الذين هم مثلى لم يصلوا إلى كمال العلم ، أن لا يسيئوا الظنّ أبداً بكبار علماء الدين ، إذ أنّ أقلّ جزاء لهذا العمل هو الحرمان من فيض علومهم.

هذا بالنسبه إلى تعظيم العلماء ورجال الدين ، ومن وقّر عالماً فقد وقّر ربّه ، وأمّا تعظيم الأُستاذ فله امتياز خاصّ ، فإنّ يشتدّ الاحترام بالنسبه إليه ، فإنّ من لم يحترم أُستاذه سلب منه بركه العلم ، ولا يوفّق فى الدراسه.

فهذا الآخوند الخراسانى صاحب الكفايه المحقّق الكبير لم يرتقِ المنبر للتدريس طيله حياه أُستاذه الميرزا الكبير الشيرازى مع أنّ عمر الآخوند كان قد جاوز الخمسين ، وكان مجتهداً ويدرّس طلّابه جالساً على الأرض.

وفى أوّل درس بعد وفاه الميرزا فى سامراء ارتقى الآخوند المنبر وجلس فى صدره وقال : قال الأُستاذ رحمه الله ، وأقول.

قالوا : وقد كان لهذه ال (أقول) دوىّ فى المحافل العلميّه فى النجف الأشرف.

وكان بعد وفاه أُستاذه يقدّم ولده الميرزا على على نفسه ، فلمّا سُئل عن سبب ذلك؟ قال : هذا ابن أُستاذى واحترامه واجب علىّ ــ وذلك من باب يحفظ المرء فى ولده ــ.



---

١- ١. الذنوب الكبيره ٢ : ٣٥.

ویحدّثنا آیه الله العظمی الشیخ مرتضی الحائری عن والده مؤسّس الحوزه العلمیّه بقم أنّه قال : التوفیقات التی کانت من نصیبی واستطعت فی ظلّها أن أؤسس الحوزه کلّها رهن الخدمات التی قدّمتها لاُستاذی المرحوم السیّد محمّد الفشارکی ، فی الفتره التی ابتلی بها سماحته بمرض شدید ، بلغ به إلی حدّ أنّی کنت طیله ستّه أشهر اُقدّم له الإناء لقضاء الحاجه ... وکنت أفتخر بذلک.

وکثیر من علمائنا الأعلام حینما یذکرون اسم أساتذتهم یتبعونه بقولهم : (روحی فداه).

هذا فی مقام التعظیم والاحترام ، وأمّا سوء الأدب مع الاُستاذ فتلک الشقاوه والهلاک.

یقول المحدّث الجلیل آیه الله العظمی السیّد نعمه الله الجزائری (قدس سره) : وکان فی إصفهان رجلٌ عالم من مجتهدینا رأیناه ، وقرأنا علیه ، وقد کان فی أوّل تحصیله یقرأ عند مجتهد آخر ، فلمّـا نشأ ذلک التلمیذ ، أنکر قراءته علی ذلک الشیخ ، ولم یقرّ له بالفضل ، فبلغ الاُستاذ قوله ، فدعا علیه وقال : اللهمّ اسلبه کلّ ما قرأه عندی وأخذه عنّی ، فسلبه الله الحافظه بعدما کان مشهوراً بالحفظ ، فصار لا یحفظ مسأله علی خاطره ، بل لا بدّ له فی کلّ مسأله من مراجعه کتبه ومؤلفاته ، وهو الآن موجود فی إصفهان ، ونحن نحمد الله علی توفیقه لنا لبرّ المشایخ ، والقیام بوظائف خدمتهم ، والاستغفار لهم أحیاءً وأمواتاً ورضاهم عنّا (1).

وجاء فی هامش الأنوار النعمانیّه : کان فی النجف رجل فاضل له خبره بالعبارات الغامضه والمطالب المعقّده فی مختلف الکتب ، وکان یبحث عن مثل هذه



۱- ۱. الأنوار النعمانیّه ۳ : ۹۱.

المسائل ويستخرجها من الكتب ويطرحها على العالم الجليل الشيخ محمّد حسن المامقانى _ الذى كان من المراجع الكبار وتوفّى سنه ١٣٢٣ ه _ يطرحها عليه فى المجالس العامّه ومجالس العلماء والطلاب ، ولم يكن له هدف إلّا إهانه ذلك الرجل العظيم وتحقيره وإظهار عجزه أمام الآخرين. وعندما تنبّه العلماء لنيّته ، نهوه عن هذه العاده القبيحه ، ونصحه أصدقاءه ، ولكنّه لم يكن يتقبّل النصيحه ، وسرعان ما مات ، إذ ابتلى بمرض عضال ، وقضى فى شبابه ، ولم يشكّ أحد أنّ السبب فى مرضه وقصر عمره إساءته الأدب مع الشيخ المامقانى.

وأخيراً : كان الشيخ الأنصارى (قدس سره) عائداً من كربلاء إلى النجف ومعه جمع من العلماء ، منهم العارف الكبير السيّد على الشوشترى وصى الشيخ ، فعندما ركبوا السفينه وقع حذاء الشيخ سهواً على بساط أحد مشايخ العرب ، وكان يبغض الشيخ ويحسده ، فقال بوقاحه : العجم لا ـ أدب لهم ولا ـ معرفه ، خصوصاً أهل شوشتر ، فلم يقل الشيخ شيئاً ، وطلب السيّد على الشوشترى من الشيخ أن يجيبه على وقاحته ، إلّا أنّ الشيخ بقى ساكتاً ، وعصر ذلك اليوم ابتلى الشيخ العراقى بالقولنج ، وبعد قليل أخرجوا جنازته من السفينه للدفن (١).

الله الله فى تعظيم واحترام العلماء والاُستاذ ، وإيّاكم وسوء الأدب ، فإنّ فيه الهلاك والحرمان ، وأمّا حسن الأدب ففيه البركه والتوفيق والإحسان.

٣-أن يعتقد الطالب أنّه مريض النفس واُستاذه هو الطبيب ، ولا يصحّ فى مقام المعالجه مخالفه الطبيب.

٤-أن يحترم اُستاذه ، فإنّ بركه العلم فى تعظيم الاُستاذ ، فيضرب صفحاً عن



---

١- ١. نقلت القصص من الكتاب القيّم والمفيد « سيماء الصالحين » : ٢٠٩ _ ٢٢٨ ، فراجع.

عیوبه إن کانت ، فإنّ ذلک أقرب إلی انتفاعه به ، ولقد کان بعض السلف إذا ذهب إلی شیخه تصدّق بشیء وقال : اللهمّ استر عیب معلّمی عنّی ، ولا تذهب ببرکه علمه منّی.

وقال آخر : والله ما اجترأت أن أشرب الماء وشیخی ینظر إلیَّ هیبهً له.

وقال حمدان الإصفهانی : کنت عند شریک ، فأتاه بعض أولاد الخلیفه المهدی ، فاستند إلی الحائط وسأله عن حدیث ، فلم یلتفت إلیه وأقبل علینا ، ثمّ عاد ، فعاد شریک لمثل ذلک ، فقال : أتستخفّ بأولاد الخلفاء؟ قال : لا ، ولکنّ العلم أجلّ عند الله من أن اُضیّعه ، فجثا علی رکبتیه ، فقال شریک : هکذا یطلب العلم.

وقد ذکرنا تفصیل هذا الأدب فی ما مرّ ، وأتینا بشواهد من حیاه علمائنا الأعلام.

۵-أن یتواضع للاُستاذ زیاده علی ما اُمر به من التواضع للعلماء وغیرهم ، ویعلم أنّ ذلّه لشیخه عزّ ، وخضوعه له فخر ، وتواضعه له رفعه ، وتعظیم حرمته مثوبه ، وخدمته شرف.

قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) : من علّم أحداً مسأله ملک رقّه. قیل : أیبیعه ویشتریه؟ قال : بل یأمره وینهاه.

۶-أن لا ینکر علیه ، ولا یتآمر ولا یشر علیه بخلاف رأیه ، فیری أنّه أعلم بالصواب منه ، بل ینقاد إلیه فی اُموره کلّها.

۷-أن یبجّله فی خطابه وجوابه ، فی حضوره وغیبته ، ولا یخطابه بتاء الخطاب وکافه ولا ینادیه من بعد ، بل یقول : یا سیّدی ، ویا مولای ، وما شابه ذلک ، ویخاطبه بصیغ الجمع تعظیماً ، نحو : « ما تقولون فی کذا » ، ولا یسمّیه فی غیبته باسمه إلاّ مقروناً بما یشعر بتعظیمه.

۸-تعظیم حرمته فی نفسه واقتداؤه به ، ومراعاه سیرته فی حضوره وغیبته وبعد موته ، فیدعو له مدّه حیاته ویردّ من یستغیبه ، زیاده عمّـا یجب رعایته مع غیره ، ویرعی ذرّیته وأقاربه ومحبّیه فی حیاته وبعد موته ، ویتعاهد زیاره قبره والاستغفار له ، کما رأیت ذلک تکراراً ومراراً ، بل ما کان یدخل الحرم الشریف للسیّده المعصومه (علیها السلام) شیخنا فی الروایه آیه الله العظمی الشیخ محمّد علی الأراکی إلاّ وکان یجلس علی قبر آیه الله العظمی السیّد الخوانساری (قدس سره) ویزوره ، وسیّدنا الاُستاذ آیه الله العظمی السیّد الگلپایگانی ما کان یبدأ بالدرس إلاّ ویقرأ سوره الحمد لیهدی ثوابها علی روح أساتذته.

۹-أن یشکر الشیخ علی توفیقه له علی ما فیه فضیله ، وعلی توبیخه له علی ما فیه نقیصه أو کسل یعتریه ، أو قصور یعانیه ، أو غیر ذلک.

۱۰-أن یصبر علی جفوه تصدر من شیخه واُستاذه ، أو سوء خلق ، ولا یصدّه ذلک علی ملازمته وحسن عقیدته واعتقاد کماله ، ویتأوّل أفعاله علی أحسن تأویل وأصحّه ، ویعتذر منه ، ومن لم یصبر علی بذل التعلیم ، بقی عمره فی عمایه الجهاله ، ومن صبر علیه آل أمره إلی عزّ الدنیا والآخره ، فلا بدّ من الصبر الجمیل مع الاُستاذ.

۱۱-أن یجتهد علی أن یسبق بالحضور إلی المجلس قبل حضور الشیخ ، ویحترز أن یدع الشیخ جالساً بانتظاره.

۱۲-أن لا یدخل علی الشیخ فی غیر المجلس العامّ بغیر إذنه ، سواء کان الشیخ وحده أم معه غیره.

۱۳-أن یدخل علی الشیخ کامل الهیئه ، فارغ القلب من الشواغل ، نشیطاً منشرح الصدر ، صافی الذهن ، متطهّراً متنظّفاً.

۱۴-أن لا يقرأ على الشيخ عند شغل قلبه وملله ونعاسه وما شابه ذلك ، ممّـا يشقّ عليه فيه البحث.

۱۵-إذا دخل على الشيخ ووجده مشغولا ويريد انصرافه فليسلّم ، ويخرج سريعاً ، إلاّ إذا طلب الشيخ مكثه فيستجيب.

۱۶-إذا حضر مكان الشيخ فلم يجده انتظره ، ولا يفوّت على نفسه درسه.

۱۷-أن لا يطلب من الشيخ إقراءً فى وقت يشقّ عليه فيه ، أو لم تجرِ عادته بالإقراء فيه.

۱۸-أن يجلس بين يديه جلسه الأدب بسكون وخضوع وإطراق رأس وتواضع وخشوع.

۱۹-أن لا يستند بحضره الشيخ إلى حائط أو وساده ونحو ذلك ، ولا يعطى الشيخ جنبه أو ظهره.

۲۰-أن يصغى إلى الشيخ ناظراً إليه ، ويقبل بكلّيته عليه ، متعقّلا ـ وفاهماً لقوله ، ولا يلتفت إلى الجهات من غير ضروره ، ولا يتمطّى ولا يكثر التثاؤب ، ولا يلفظ النخامه من فيه بل يأخذها منه بمنديل ونحوه ، ولا يتجشّأ ، وإذا عطس حفظ صوته جهده ، وستر وجهه بمنديل وغيره ، وذلك كلّه ممّـا يقتضيه النظر المستقيم والذوق السليم.

۲۱-أن لا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجه ، ولا يسار فى مجلسه ، ولا يغمز أحداً ولا يغتاب عنده ولا ينمّ وما شابه ذلك.

۲۲-أن يحسن خطابه مع الشيخ بقدر الإمكان ، ولا يقول له : لِمَ؟ ولا نسلّم ولا (من نقل هذا؟) ولا (أين موضعه) وما شابه ذلك ، فيراعى آداب الكلام وعفّه اللسان مع اُستاذه.

۲۳-إذا ذكر الشيخ تعليلا وعليه تعقّب ولم يتعقّبه أو بحثاً وفيه إشكال ولم يستشكله ، أو إشكالا وعنه جواب ولم يذكره ، فلا يبادر إلى ذكر ذلك ، بل يشير إليه بألطف إشاره.

۲۴-أن يتحفّظ من مخاطبه الشيخ بما يعتاده بعض الناس فى كلامه ولا يليق خطابه به مثل : أيش بك؟ وفهمت؟ وما شابه ذلك.

۲۵-إذا خطأ الشيخ فى كلامه فلا يضحك ولا يستهزئ ويعيدها ، أو يلفت الطلاب إليه ، فإنّ هذا ممّا يوجب مقت الله والحرمان من بركات العلم.

۲۶-أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسأله أو جواب سؤال منه أو من غيره ، إلّا إذا علم من الشيخ أنّه يودّ أن يجيب هو فلا بأس به.

۲۷-أن لا يقطع كلامه على الشيخ أىّ كلام كان ، ولا يسابقه فيه ولا يساوقه به بل يصير حتّى يتمّ الشيخ كلامه فيتكلّم.

۲۸-أن يصغى إلى كلام الشيخ حتّى فيما لو عرف كلام أو حفظ الشعر الذى يقرأه الشيخ أو ما شابه ذلك ، بل إذا سأله الشيخ هل يعرف ذلك ، فليقل : اُحبّ أن أستفيده من الشيخ أو أسمعه منه.

۲۹-لا ينبغى له أن يكرّر سؤال ما يعلمه ، ولا استفهام ما يفهمه ، فإنّه يضيّع الزمان وربما يوجب ضجر الاُستاذ ، فإنّ إعاده الحديث أثقل من نقل الصخر كما قيل.

۳۰-أن لا يسأل عن شىء فى غير موضعه ، ففاعل ذلك لا يستحقّ جواباً ، والعاقل الذى يضع الأشياء فى مواضعها.

۳۱-أن يغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه ، ويتلطّف فى سؤاله ويحسن فى جوابه.

۳۲-أن لا يستحيى من السؤال عمّــا أشكل عليه ، بل يستوضحه أكمل استيضاح ، فمن رقّ وجهه رقّ علمه ، وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : إنّ هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسأله.

۳۳-إذا قال له الشيخ : أفهمت؟ فلا يقول : نعم. قبل أن يتّضح له المقصود اتّضاحاً جليّاً ، لئلّا يكذب ويفوته الفهم ، ولا يستحى من قول : لم أفهم.

۳۴-أن يكون ذهنه حاضراً فى جهه الشيخ ، بحيث إذا أمره بشىء أو سأله عن شىء أو أشار إليه ، لم يحوجه إلى إعادته ثانياً.

۳۵-إذا ناوله الشيخ الاُستاذ شيئاً تناوله باليمنى ، وكذلك العكس ، ولا يرمى إليه شيئاً من كتاب أو ورقه أو غيرهما.

۳۶-إذا ناوله قلماً ليكتب به فليعده قبل إعطائه إيّاه للكتابه.

۳۷-إذا ناوله سجّاده ليصلّى عليها نشرها أوّلا ، وأولى منه أن يفرشها هو عند قصد ذلك ، وبعباره اُخرى يكون دائماً بخدمه اُستاذه.

۳۸-إذا قام الشيخ بادر القوم إلى أخذ السجّاده إن كانت ممّــا تنقل له ، وإلى الأخذ بيده أو عضده إن احتاج إليه ، وإلى تقديم نعله إن لم يشقّ ذلك على الشيخ ، ويقصد بذلك كلّه التقرّب إلى الله تعالى بخدمته والقيام بحاجته ، وقيل : أربعه لا يأنف الشريف منهنّ ، وإن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته للعالم الذى يتعلّم منه ، والسؤال عمّــا لا يعلم ، وخدمته للضيف.

۳۹-أن يقوم لقيام الشيخ ، ولا يجلس وهو قائم ، ولا يضطجع بحضرته مطلقاً ، إلّا أن يكون فى وقت نوم ويأذن له.

۴۰-إذا مشى مع شيخه ، فليكن أمامه بالليل ووراءه بالنهار ، إلّا أن يقتضى الحال خلاف ذلك لزحمه أو غيرها ، أو يأمره الشيخ بحاله فيتمثّلها.

فهـذه جمله من الآداب التى على طالب العلم أن يراعيها مع أُستاذه ومعلّمه ، وهناك آداب كثيره أُخرى يستنبط ممّا قدّمناه ، يقف عليها الألمعىّ الذكى ، والله خير ناصر ومعين ، ومنه التوفيق والسداد.

ص: ١٠١

## الأمر الحادى عشر : رعايه آداب محفل الدرس

عندما كنت أكتب عن وظائف طالب العلم مع اُستاذه ، وكنت أعيش مع الشهيد الثانى وبستانه الفتّان ، ذات الأشجار اليانعه والأغصان المثمره ، قلت فى نفسى ، وكلّها شوق وسرور ، حقّاً ما أروع تلك المدرسه والحوزه التى يحكمها مثل هذه الأخلاق العاليه والآداب الرفيعه ، وإنّها هى الجنّه ، وعرفت مغزى زهد سلفنا الصالح ، وأنّهم زهدوا فى الدنيا لمثل هذه المكارم والأخلاق الساميه ، ولا ريب من يستلذّ بالعلم النافع والعمل الصالح ، يترك الدنيا وما فيها لأهلها ، بل يهتف صارخاً : أين الملوک وأبناء الملوک من هذه اللذائذ الروحيّه والمستلذّات المعنويّه والعقليّه.

فيصبر على الغربه والفقر لطلب العلم ولا يشبع منه ، وقد قيل : لا يأتى العلم إلّا بالغربه والفقر ، وفى الخبر الشريف : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا.

ومن أسعد الناس ذلک العالم الذى عمل بعلمه ، فإنّه فاز بخير الدنيا والآخره ، وأنت يا طالب العلم ، إنّما توفّق فى حياتک العلميّه والعمليّه ، لو تخلّقت بأخلاق الله ، وبأخلاق أنبيائه والأئمه الأطهار (عليهم السلام) ، لو راعيت الآداب حقّ المراعاه ، فمن واجبک أن تحفظ حقوق وآداب الدرس ، وهى ــ كما يذكرها الشهيد الثانى (قدس سره) فى منيته ــ كما يلى :

۱-بدايه أمرک أن تحفظ كتاب الله الكريم حفظاً متقناً ، فهو أصل العلوم وأهمّها ، وكان السلف لا يعلّمون الحديث والفقه إلّا لمن حفظ القرآن المجيد ، وعليه

أن يتعهّد دراسته حتّى لا ينساه.

۲-أن تقتصر على المطالعه على ما يحتمله فهمك وينساق إليه ذهنك ، واحذر من الاشتغال بما يبدّد الفكر ، ويضيع الذهن ، وليتقن الكتاب الذى يقرأه.

۳-عليك بالاعتناء التام بتصحيحك درسك تصحيحاً متقناً ، ثمّ تحفظه حفظاً محكماً ، ثمّ تكرّره تكراراً جيّداً.

وكان والدى العلاّمه السيّد على بن الحسين العلوى (قدس سره) فى مقام النصيحه يقول : إذا أردت أن تحفظ مادّه الدرس فعليك بالأُمور الأربعه التاليه : أن تقرأ الدرس قبل حضوره ، ثمّ تحضر عند الأُستاذ وتتوجّه إليه أكثر فى ذلك الموضع الذى لم تفهمه حين المطالعه ، ثمّ تطالعه مرّةً أُخرى ، ثمّ تتباحث فيه مع مباحثك ، ولا بدّ لك من زميل تتباحث معه الدرس ، بمعنى أن يكون يوماً هو الأُستاذ ، وأنت تناقشه ، وفى اليوم الآخر تكون أنت الأُستاذ وهو يناقشك ، وبهذا لا تنسى الدرس.

۴-أن تحضر معك القلم والقرطاس للتصحيح وضبط النكات واللطائف التى يذكرها الأُستاذ.

۵-على طالب العلم أن يرتّب الأهمّ فالأهمّ فى الحفظ والتصحيح والمطالعه ، وليذاكر بمحفوظاته ويديم الفكر فيها ، ويعتنى بما يحصل فيها من الفوائد.

۶-أن يقسّم أوقات ليله ونهاره على ما يحصّله ، ويغتنم ما بقى من عمره ، وأجود الأوقات للحفظ الأسحار ، وللبحث الأبكار ، وللكتابه وسط النهار ، وللمطالعه والمذاكره الليل وبقايا النهار.

۷-أن يبكّر بدرسه ، كما ورد فى الخبر الشريف : « بورك لأُمّتى فى بكورها » ، ولخبر : « اغدوا فى طلب العلم ، فإنّى سألت ربّى أن يبارك لأُمّتى فى بكورها ».

۸-أن يبكّر بسماع الحديث ولا يهمل الاشتغال به وبعلومه ، فإنّه أحد

جناحی العالم بالشریعه ، والجناح الآخر القرآن الکریم.

۹-أن یعتنی بروایه کتبه التی قرأها أو طالعها سیّما محفوظاته ، فإنّ الأسانید أنساب الکتب.

۱۰-إذا حفظ وفهم المختصرات ، فلینتقل إلی المبسوطات والمطوّلات مع الفهم الدقیق والعنایه التامّه ، ویقیّد فوائد العلم بالکتابه ، وقیل : العلم وحشی إن ترکته یمشی ، فقیّدوا العلم بالکتابه.

۱۱-أن یبالغ فی الجدّ والطلب والتشمیر ، ولا یقنع من إرث الأنبیاء بالیسیر ، ویغتنم وقت الشباب ، ولا یری فی نفسه أنّه استغنی عن المشایخ.

۱۲-أن یلازم محفل اُستاذه فإنّه لا یزیده إلّا خیراً وتحصیلا وعلماً وأدباً ، فلا یملّ من طول صحبته.

۱۳-إذا حضر مجلس اُستاذه ، فلیسلّم علی الحاضرین بصوت یسمعهم ، ویخصّ الاُستاذ بزیاده التحیّه والإکرام.

۱۴-إذا سلّم لا یتخطّی رقاب الحاضرین إلی قرب الاُستاذ ، وإن لم یکن منزلته کذلک ، بل یجلس حیث ینتهی به المجلس کما ورد فی الحدیث ، فإنّ تخطّی الرقاب سخافه.

۱۵-أن یحرص علی قربه من الشیخ حیث یکون منزلته ، لیفهم کلامه فهماً کاملا بلا مشقّه.

۱۶-أن یتأدّب مع زملائه فی الدرس ، فإنّ التأدّب معهم تأدّب مع الاُستاذ ومن احترامه.

۱۷-أن لا یزاحم أحداً فی مجلسه ، ولا یؤثر قیام أحد له من محلّه.

۱۸-أن لا یجلس فی وسط حلقه الدرس ، ولا قدّام أحد لغیر ضروره ، فقد

روى أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لعن من جلس وسط الحلقه.

۱۹-أن لا يجلس بين أخوين أو أب وابن أو قريبين أو متصاحبين إلّا برضاهما معاً.

۲۰-ينبغى للحاضرين إذا جاء القادم أن يرحّبوا به ويفسحوا المجلس له ، ولا يضايقهم.

۲۱-أن لا يتكلّم فى أثناء الدرس إلّا بإذن من الاُستاذ.

۲۲-أن لا يشارك أحدٌ من الجماعه أحداً فى حديثه مع الشيخ والاُستاذ.

۲۳-إذا أساء أحد الطلبه أدباً ، لم ينهه غير الاُستاذ ، إلّا بإشاره منه.

۲۴-إذا أراد القراءه على الشيخ فليراعِ نوبته تقديماً وتأخيراً ، ويراعى النوبه فى كلّ شىء ، حتّى لا يكون ظالماً للغير. وهذا من العداله الاجتماعيه ، كما أنّ حرّيه الفرد ممدوحه ما لم تتجاوز حقوق الآخرين.

۲۵-أن يكون جلوسه مع الاُستاذ فى كمال الأدب.

۲۶-أن لا يقرأ حتّى يستأذن الاُستاذ ، فإن أذن له استعاذ بالله ثمّ سمّى الله وحمده وصلّى على النبىّ وآله ، ثمّ يدعو للاُستاذ ولوالديه ولمشايخه وللعلماء ولنفسه ثمّ يقرأ.

۲۷-ينبغى أن يباحث ويذاكر من يرافعه من زملاء الدرس ومواظبى مجلس الشيخ بما وقع فيه من الفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك.

۲۸-أن تكون المذاكره والمباحثه المذكوره فى غير مجلس الاُستاذ ، أو فيه بعد انصرافه.

۲۹-على الطلبه مراعاه الأدب المتقدّم أو قريباً منه مع كبيرهم ومعيد درسهم ، فإنّه بمنزله الاُستاذ.

۳۰-یجب علی من علم منهم بنوع من العلم وضرب من الکمال أن یرشد رفقته وزملائه ، ویرغّبهم فی الاجتماع والتذاکر والتحصیل ، وإنّ زکاه العلم نشره ، فلا یبخل علیهم ما داموا من أهل العلم ، ولا یحتقرهم ولا یحسدهم ، ولا یعجب بفهمه وسبقه لهم ، ولیحمد الله علی ما أنعم علیه ، فإنّه کان مثلهم ، والله ولیّ التوفیق (۱).

ص: ۱۰۶

---

۱- ۱. منیه المرید : ۲۶۳ _ ۲۷۶.

## الدرس السابع

### الأمر الثاني عشر : حسن الخلق والحلم

من أهمّ فلسفه البعثه النبويّه نشر الخلق الحسن فی المجتمع ، والعلماء ورثه الأنبياء ، فهم أولی من غيرهم بحسن الخلق والتحلّی به ، ونشره سلوكاً وعملاً وقولا ، فإنّ سوء الخلق ممّـا ينفّر الطباع ويوجب فرار الناس ، ورجل العلم والدين هدفه السامی هدايه الناس كالأنبياء (عليهم السلام) ، وهذا يعنی أنّه لا بدّ أن يحتكّ بالناس بعد أن يهذّب نفسه ويزكّی قلبه ، وينشرح صدره ، ويتزيّن بالعلم والحلم والوقار والسكينه ، فيحتاج فی مقام الإرشاد والتبليغ وأداء المسؤوليّه إلی خلق رفيع وحسن حتّی يجذب الناس إليه ، كما يشهد بذلك سيره نبيّنا المصطفی حبيب القلوب وطبيب النفوس رسول الله محمّد (صلی الله عليه وآله).

وعلماء الآخره يتّصفون بصفات الله سبحانه ، ولهم علامات ودلائل ، أهمّها خمسه يفهم من خمس آيات ، وهی : الخشيه والخشوع والتواضع وحسن الخلق والزهد ، أی إيثار الآخره علی الدنيا الدنيّه.

ص: ۱۰۷

أمّا الخشيه ، فيدلّ عليها قوله تعالى :

( إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ) (١).

وأمّا الخشوع ، فمن قوله تعالى :

( خاشِعينَ للهِ لا يَشْتَرونَ بِآياتِ اللهِ ثَمَناً قَليلا ) (٢).

وأمّا التواضع ، فشاهده قوله تعالى :

( وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ ) (٣).

وأمّا حسن الخلق ، فمن قوله تعالى :

( فَبِما رَحْمَه مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ) (۴).

وأمّا الزهد ، فمن قوله عزّوجلّ :

( وَقالَ الَّذينَ اُوتوا العِلـْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ ) (۵).

فلين الجـانب وحسن الخلق الـذى هو مظهر رحمه الله سـبحانه وتعالى اتّصف بها نبىّ الله محمّـد الـذى كان رحمةً للعالمين ، وقد ورث العلماء صـفات الأنبياء وعلومهم وأخلاقهم الحسـنه ، فعاشـروا الناس برفق وحلم ولين ورحمه ومـداراه ، وتجرّعوا الغصـص والأـحزان من أيـدى النـاس ، وتحمّلوا جهلهم وعـداءهم وحتّى اتّهامـاتهم وإشاعـاتهم من أجـل إعلاء كلمه الحقّ ، والـذى كان يطيّب خاطرهم

ص: ۱۰۸

---

١- ١. فاطر : ٢٨.

٢- ٢. آل عمران : ١٩٩.

٣- ٣. الشعراء : ٢١۵.

۴- ۴. آل عمران : ١۵٩.

۵- ۵. القصص : ٨٠.

ويخفّف من آلامهم أنّه كان بعين الله سبحانه.

فحسن الخلق من أهمّ العوامل فى تعليم الناس وتربيتهم وتهذيبهم ، وإصلاح المجتمع وإدارته.

وما أروع ما يقوله سماحه المجدّد الشيرازى الكبير (قدس سره) قائد ثوره التبغ فى إيران سنه (۱۸۹۱ م) : إنّ للمرجعيّه مئه شروط ومواصفات ، أوّلها : العلم. والثانيه : التقوى ، والبقيّه فنّ الإداره لشؤون المجتمع ومداراه الناس والنظر فى حوائجهم وفق مقتضيات العصر الذى يعيشونه (۱).

ومن روائع قصص علمائنا الأعلام فى حسن الخلق ومداراه الناس وآيات الحلم ما ينقل عن المحقّق خواجه نصير الدين الطوسى عليه الرحمه لمّا شتمه شخص فى رساله قائلا : يا كلب. فأجابه بحلم وهدوء وسكينه : أمّا قولك : يا كلب ، فغير صحيح ، فإنّ الكلب من ذوات الأربع وهو نابح طويل الأظفار ، وأنا منتصب القامه بادى البشره عريض الأظفار ، ناطق ضاحك ، فهذه الفصول والخواصّ غير فصول وخواصّ الكلب.

ويقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم ، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت ، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه.

وهذا الآيه العظمى الشيخ الأكبر الشيخ جعفر كاشف الغطاء (قدس سره) لمّا كان جالساً فى محراب الصلاه ، جاءه سيّد فقير وطالبه مالا ، ولم يكن عند الشيخ شيئاً ، فغضب السيّد وبصق فى وجه الشيخ ، فقام الشيخ وأخذ طرف ردائه أو عمامته ودار بين صفوف المصلّين ، وهو يقول : من كان يحبّ لحيه الشيخ فليساعد



---

۱- ۱. قصص وخواطر : ۶۵۵.

هذا السيّد ، وملأ الناس طرف رداء الشيخ بالمال فأعطاه الشيخ للسيّد ثمّ وقف يصلّى.

وبمثل هـذا الحلم والخلق الحسن كان يتعامل مراجعنا العظام مع عوامّ الناس.

قال الشهيد الثانى فى منيته فى بيان ما يلزم المعلّم والمتعلّم وآدابهما فى أنفسهما :

فالأوّل : ما يجب عليهما إخلاص النيّه لله تعالى فى طلبه وبذله ، فإنّ مدار الأعمال على النيّات ــ ثمّ يذكر الإخلاص من خلال القرآن الكريم والروايات الشريفه ــ.

ثمّ يتعرّض للأمر الثانى : وهو استعمال العلم.

ثمّ الأمر الثالث : التوكّل على الله سبحانه.

والرابع : حسن الخلق زياده على غيرهما من الناس والتواضع وتمام الرفق وبذل الوسع فى تكميل النفس. روى معاويه بن وهب ، قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : اطلبوا العلم وتزيّنوا معه بالحلم والوقار ، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبّارين ، فيذهب باطلكم بحقّكم. وروى الحلبى فى الصحيح عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : ألا أُخبركم بالفقيه حقّ الفقيه؟ من لم يقنّط الناس من رحمه الله ، ولم يؤمّنهم من عذاب الله ، ولم يرخّص لهم فى معاصى الله ، ولم يترك القرآن رغبةً عنه فى غيره ، ألا لا خير فى علم ليس فيه تفهّم ، ألا لا خير فى قراءه ليس فيها تدبّر ، ألا لا خير فى عباده ليس فيها تفكّر.

واعلم أنّ المتلبّس بالعلم منظور إليه ، ومتأسّى بفعله وقوله وهيئته ، فإذا

حسن سمته وصلحت أحواله وتواضعت نفسه ، وأخلص لله تعالى عمله ، انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعيّه ، وفشا الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم ، ومتى لم يكن كذلك كان الناس دونه فى المرتبه التى هو عليها فضلا عن مساواته ، فكان مع فساد نفسه منشأً لفساد النوع وخلله ، وناهيك بذلك ذنباً وطرداً عن الحقّ وبعداً ، ويا ليته إذا هلك انقطع عمله ، وبطل وزره ، بل هو باق ما بقى من تأسّى به واستنّ بسنّته.

وقد قال بعض العارفين : إنّ عامّه الناس أبداً دون المتلبّس بالعلم بمرتبه ، فإذا كان ورعاً تقيّاً تلبّست العامّه بالمباحات ، وإذا اشتغل بالمباح ، تلبّست العامّه بالشبهات ، فإن دخل فى الشبهات تعلّق العامى بالحرام ، فإن تناول الحرام كفر العامى ، وكفى شاهداً على صدق هذه العيان وعدول الوجدان ، فضلا عن نقل الأعيان (۱).

فعلى طالب العلم فى سيرته الأخلاقيّه أن يراعى حسن الخلق غايه المراعاه ، ويحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام ، كإقامه الصلوات فى مساجد الجماعات محافظاً على شريف الأوقات ، وإفشاء السلام للخاصّ والعامّ مبتدئاً ومجيباً ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على الأذى بسبب ذلك ، صادعاً بالحقّ ، باذلا نفسه لله ، لا يخاف لومه لائم ، متأسّياً فى ذلك بالنبيّ (صلى الله عليه وآله) وغيره من الأنبياء ، فإنّ العلماء ورثه الأنبياء ، متذكّراً ما نزل بهم من المحن عند القيام بأوامر الله تعالى.

ولا يرضى من أفعاله الظاهره والباطنه بالجائز ، بل يأخذ نفسه بأحسنها



---

۱- ۱. منيه المريد : ۱۶۲.

وأكملها ، فإنّ العلماء هم القدوه وإليهم المرجع ، وهم حجّه الله تعالى على العوامّ ، وقد يراقبهم للأخذ منهم ، من لا ينظرون إليه ، ويقتدى بهم من لا يعملون به ، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه ، فغيره أبعد من الانتفاع به ، ولهذا عظمت زلّه العالم لما يترتّب عليها من المفاسد.

ويتخلّق بالمحاسن التى ورد بها الشرع وحثّ عليها ، والخلال الحميده والشيم المرضيه ، من السخاء والجود وطلاقه الوجه من غير خروج عن الاعتدال وكظم الغيظ وكفّ الأذى واحتماله والصبر والمروّه والتنزّه عن دنىّ الاكتساب والإيثار وترك الاستئسار والإنصاف وترك الاستنصاف وشكر المتفضّل والسعى فى قضاء الحاجات وبذل الجاه والشفاعات والتلطّف بالفقراء والتحبّب إلى الجيران والأقرباء ، والإحسان إلى ما ملكت الأيمان ومجانبه الإكثار من الضحك والمزاح والتزام الخوف والحزن والانكسار والإطراق والصمت بحيث يظهر أثر الخشيه على هيئته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته ، لا ينظر إليه ناظر إلاّ وكان نظره مذكّراً لله تعالى ، وصورته دليلا على علمه.

وملازمه الآداب الشرعيّه القوليّه والفعليّه الظاهره والخفيّه ، كتلاوه القرآن الكريم متفكّراً فى معانيه ، ممتثلا لأوامره ، منزجراً عند زواجره ، واقفاً عند وعده ووعيده ، قائماً بوظائفه وحدوده ، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار فى آناء الليل والنهار ونوافل العبادات من الصلاه والصيام وحجّ البيت الحرام ، ولا يقتصر من العبادات على مجرّد العلم ، فيقسو قلبه ، ويظلم نوره ، كما تقدّم التنبيه عليه ــ وسيأتى أيضاً ــ.

وزياده التنظيف بإزاله الأوساخ ، وقصّ الأظفار وإزاله الشعور المطلوب زوالها ، واجتناب الروائح الكريهه ، وتسريح اللحيه ، مجتهداً فى الاقتداء بالسنّه

الشريفه والأخلاق الحميده المنيفه.

ويطهّر نفسه من مساوئ الأخلاق وذميم الأوصاف : من الحسد والرياء والعجب واحتقار الناس ، وإن كانوا دونه بدرجات ، والغِلّ والبغي والغضب لغير الله ، والغش والبخل والخبث والبَطَر والطمع والفخر والخيلاء والتنافس فى الدنيا والمباهاه بها والمداهنه والتزيّن للناس وحبّ المدح بما لم يفعل ، والعمى عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الناس ، والحميّه والعصبيّه لغير الله ، والرغبه والرهبه لغيره ، والغيبه والنميمه والبهتان والكذب والفحش فى القول.

ولهذه الأوصاف تفصيل وأدويه وترغيب وترهيب ، محرّر فى مواضع تخصّه _ كجامع السعادات والمحجّه البيضاء وآداب النفس ومرآه الرشاد _ والغرض من ذكرها هنا تنبيه العالم والمتعلّم على أُصولها ، ليتنبّه لها ارتكاباً واجتناباً على الجمله ، وهى وإن اشتركت بين الجميع ، إلاّ أنّها بهما أولى ، فلذلك جعلناها من وظائفهما ، لأنّ العلم _ كما قال بعض الأكابر _ عباده القلب وعمارته وصلاه السرّ ، وكما لا تصحّ الصلاه التى هى وظيفه الجوارح ، إلاّ بعد تطهّرها من الأحداث والأخباث ، فكذلك لا تصحّ عباده الباطن إلاّ بعد تطهيره من خبائث الأخلاق.

ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب المتنجّس بالكدورات النفسيّه والأخلاق الذميمه ، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« ليس العلم بكثره التعلّم ، وإنّما هو نورٌ يقذفه الله تعالى فى قلب من يريد الله أن يهديه ».

ونحوه قال ابن مسعود : « ليس العلم بكثره الروايه ، إنّما العلم نورٌ يقذف فى

القلب ».

وبهـذا يعلم أنّ العلم ليس هـو مجرّد استحضار المعلومـات الخـاصّه ، وإن كـانت هى العلم فى العرف العـامى ، وإنّمـا هـو النور المذكور الناشئ من ذلك العلم الموجب للبصيره والخشيه لله تعالى (۱).

قال الله تعالى : ( وَاللّهُ عَلیمٌ حَليمٌ ) ۲- ، ( إنَّ إبْراهيمَ لَحَليمٌ أوّاهٌ مُنيبٌ ) ۳-.

قـال رسول الله (صـلى الله عليه وآله) : فأمّـا الحلم فمنه ركوب الجميـل ، وصـحبه الأبرار ، ورفع الضـعه ، ورفع الخساسه ، تشـهى الخير ، ويقرب صاحبه من معالى الـدرجات والعفو والمهل والمعروف والصـمت ، فهذا ما يتشـعّب للعاقل بحلمه. ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لا بدّ من معاشرته. وما جمع شىء إلى شىء أفضل من حلم إلى علم.

قـال أمير المؤمنين (عليه السـلام) : الحلم سـجيّه فاضـله ، زينه ، غطـاء سـاتر ، فـاستر خلل خلقك بحلمك ، حجاب من الآفات ، رأس الرئاسه ، عشيره ، نور جوهره العقل ، تمام العقل ، نظام أمر المؤمن ، خليل المؤمن ووزيره ، أنصر من شجعان العرب ، زينه الأدب ، جمـال الرجـل ، وخير الحلم التحلّم ، ومن لم يتحلّم لم يحلم ، والحليم من احتمـل إخوانه ، وبوفور العقـل يتوفّر الحلم ، ولا يكون حليمـاً حتّى يكون وقوراً ، وعليـك بالحلم فإنّه ثمره العلم ، ومن حلم ساد ، ويظفر من حلم ، فكفى بالحلم ناصـراً وبه تكثر الأنصـار ، والحلم كظم الغيـظ وملـك النفس مع القـدره ، وكمال العلم الحلم ، وكمال الحلم كثره الاحتمال والكظم ، فلن يثمر العلم حتّى يقارنه الحلم ، والعلم أصل الحلم ، والحلم زينه العلم ...

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : عليك بالحلم فإنّه ركن العلم ، الحلم لباس العالم فلا تعرينّ منه ۴-.

ص: ۱۱۴

---

۱- ۱. منيه المريد : ۱۶۲ _ ۱۶۸. ۲- النساء : ۱۲. ۳- هود : ۷۵. ۴- ميزان الحكمه ۲ : ۵۱۱.

## الأمر الثالث عشر : عفّه النفس وعزّتها

من أهمّ الخصائل التی یحتاجها طالب العلم فی سیرته الأخلاقیه عفّه النفس ، وهی تعنی ضبط النفس عن اللذات المشترکه بین عامّه الحیوانات من المأکولات والملموسات ، والاعتدال فی تناولها واستعمالها من دون إفراط ، ولیس معنی ضبط النفس رفض کلّ الشهوات والملاذّ وقهرها وکبتها علی کلّ حال ، فإنّ هذا یتنافی مع أصل خلقها وتکوینها فی وجود الإنسان. فإنّ بقاء البدن بالمأکولات والمشروبات ، وفی المناکح بقاء النسل ، ولو کان یمکن الاستغناء عن الشهوه مثلا لکان خلقها فی أصل الترکیب الحیوانی عبثاً ، ووبالا علی صاحبها ، فمعنی عفّه النفس ضبطها بنحو معقول ، بأن یستعملها علی أربعه أنحاء : أن یتناول منها ما ینبغی ، وفی الوقت الذی ینبغی ، ومن المقدار الذی ینبغی ، ومن الوجه الذی ینبغی ، فتکون شهوته تحت طاعه عقله ، والعفّه جاریه فی کلّ الأخلاق فهی بمعنی الحدّ الوسط من دون إفراط ولا تفریط فی الصفات والسجایا الأخلاقیّه (۱).

قال الله تعالی :

( یَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِیاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ) (۲).



---

۱ - ۱. راجع فی ذلک جامع السعادات للمرحوم المحقّق النراقی (قدس سره) ، وکذلک المحجّه البیضاء للمحقّق الفیض الکاشانی (قدس سره).

۲- ۲. البقره : ۲۷۲.

( وَلْـيَسْتَعْفِفِ الَّذينَ لا يَجِدونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) (١).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« إنّ الله يحبّ الحييّ المتعفّف ، ويبغض البذىّ السائل الملحف ».

« من طالب حقّاً فليطلبه فى عفاف واف أو غير واف ».

« اللهمّ إنّى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ».

« لمّـا نفـذ المال حين تقسيمه عنـد رسول الله فسأله الأنصار ، فقال : ما يكون عندى من خير فلن أدّخره عنكم ، ومن يستعفف يعفّه الله ، ومن يستغنِ يغنه الله ».

« أحبّ العفاف إلى الله تعالى عفاف البطن والفرج ».

« أكثر ما تلج به اُمّتى النار الأجوفان : البطن والفرج ».

« ثلاثٌ أخافهنّ على اُمّتى من بعدى : الضلاله بعد المعرفه ، ومضلّات الفتن ، وشهوه البطن والفرج ».

« أمّا العفاف : فيتشعّب منه الرضا والاستكانه والحظّ والراحه والتفقّد والخشوع والتذكّر والتفكّر والجود والسخاء ، فهذا ما يتشعّب للعاقل بعفافه رضى بالله وبقسمه ».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« من سكن قلبه العلم بالله سكنه الغنى عن خلق الله ».

ويقول مولانا أمير المؤمنين على (عليه السلام) :

« أفضل العباده العفاف ».

« ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه ، ألا وإنّ إمامكم



---

١- ١. النور : ٦٠.

قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طُعمه بقرصيه ، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينونى بورع واجتهاد ، وعفّه وسداد ».

« ما المجاهد الشهيد فى سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قدر فعفّ ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكه ».

« العفّه شيمه الأكياس ، الشره سجيّه الأرجاس ».

« العفّه رأس كلّ خير ».

« العفّه أفضل الفتوّه ».

« العفاف يصون النفس وينزّهها عن الدنايا ».

« عليك بالعفاف فإنّه أفضل شيم الأشراف ».

« عليك بالعفّه فإنّها نعم القرين ».

« إذا أراد الله بعبد خيراً أعفّ بطنه وفرجه ».

« أصل العفاف القناعه ، وثمرتها قلّه الأحزان ».

« من قنعت نفسه أعانته على النزاهه والعفاف ».

« الرضا بالكفاف يؤدّى إلى العفاف ».

« قدر الرجل على قدر همّته ، وعفّته على قدر غيرته ».

« دليل غيره الرجل عفّته ».

« من عقل عفّ ».

« الصبر عن الشهوه عفّه ، وعن الغضب نجده ».

« الفضائل أربعه أجناس : أحدها الحكمه وقوامها فى الفكره ، والثانى : العفّه وقوامها فى الشهوه ، والثالث : القوّه وقوامها فى الغضب ، والرابع : العدل وقوامه فى اعتدال قوى النفس ».

« ثمره العفّه الصيانه ».

« من عفّ خفّ وزره وعظم عند الله قدره ».

« من عفّت أطرافه حسنت أوصافه ».

« النزاهه آيه العفّه ».

« من أُتحف العفّه والقناعه حالفه العزّ ».

قال الإمام الباقر (عليه السلام) :

« ما عبد الله بشيء أفضل من عفّه بطن وفرج ».

« وقال لرجل : أي الاجتهاد أفضل من عفّه بطن وفرج ».

وقال أمير المؤمنين في وصيّته لمحمّد بن أبي بكر لمّا ولّاه مصر :

« يا محمّد بن أبي بكر ، اعلم أنّ أفضل العفّه الورع في دين الله والعمل بطاعته ، وإنّي أُوصيك بتقوى الله في أمر سرّك وعلانيتك » (١).

فهذه نماذج من الأخبار الشريفه ، وحقّاً كلام الأئمه أئمه الكلام ، وإنّ كلامهم نور في الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، لا يستغني السائر إليه منه.

وطالب العلم لا بدّ له من العفاف بكلّ ما للكلمه من مغزى ومعنى ومصداق ، فإنّما ينال عزّه الدارين ، ويوفّق في حياته العلميّه والعمليّه ، لو تمثّلت العفّه في وجوده وحقيقته.

ولو عرف الدنيا لعفّ عنها وزهد فيها.

لقد سئل بعض العلماء عن رغبه الناس في دنياهم مع شدّه إتعابها إيّاهم ، فقال : ذلك لقلّه معرفتهم بها ، كالصبيّ الغِرّ أعجبه من لين الرقشاء ــ الحيّه ــ لونها



---

١- ١. ميزان الحكمه ٣ : ٢٠٠٦ ، الطبعه الجديده.

ومسّـِها ، فلم يبرح حتّى قتله نهشـها ، ولو أنّهم عرفوهـا حقّ معرفتهـا لنظروا إليهـا نظر المريض إلى وجوه العوّد ، نظر الجزور إلى أشفار الجازر ، فلا سماعه يطيق إن ذُكر بين يديه ، ولا إذا اُحضر أمكنه النظر إليه.

قال بعض الصالحين : من عرف عفّ ، ومن عفّ خفّ.

عجباً لقوم يعجبون برأيهم ***وأرى بعقلهم الضعيف قصورا

هدموا قصورهم بدار بقائهم ***وبنوا لعُمرهم القصير قصورا

أجـل إنّ عفّه النفس كرامه إنسـانيه ، وشـرف نبيـل ، وخلق رفيع ، وموهبه قدسيّه ، كـان ولاـ يزال يتحلّى بهـا علماؤنـا الأعلاـم ، فعلّمونا بسلوكهم وسيرتهم الحسنه كيف يكون طالب العلم عفيف النفس ، حتّى يحسبهم الجهّال أغنياء من التعفّف ، فيقارعون الفقر ويكابدون الحرمان ويصبرون على البؤس بعفّه نفس وسداد.

نقـل المرحوم الاُسـتاذ جلاـل همـائى خلاـل مقـابله إذاعيّه معه القصّه التاليه : كنت مع آيه الله الشـيخ هاشم القزوينى نـدرس فى إصـفهان فتره شـبابنا ، فذات يوم كنّا نتباحث فى الدرس ، وإذا بالشـيخ يغمى عليه ، فأتيت بالطبيب مسـرعاً ، فسقاه الماء المحلّى بالسـكّر ، فشـرب قليلا ففتح عينه فجلس وفتح كتابه مباشـرةً وهو يسألنى : أين وصـلنا فى البحث؟ وكأنّه لم يحدث له طارئ! ثمّ الطبيب أشار علىَّ أنّ إغماء الشيخ من شدّه الجوع ، ناوله طعاماً فى أسرع وقت ، فلمّـا حقّقت أمره وجدته لم يتذوّق طعاماً لمدّه يومين لشدّه الفقر وتعفّفه وعدم إخباره أحداً عن حاله وجوعه (١).

فلذّه العلم تغنى طالب العلم ، وتعلّمه الإباء وعزّه النفس وصرف النظر عن



---

١- ١. تعليم وتعلّم : ٧٦، قصص وخواطر : ٢٤۶.

مال هذا وذاک وثروته ، فیصون کرامته ویحفظ شخصیّته وعزّته ، ویبقی متحرّراً من قیود الرقّیه لفلان وفلان.

فمن یطمع بمال الآخرین وعطائهم ویتقبّل هدایاهم کیف یمکنه أن یأمر بالمعروف وینهی عن المنکر ویذبّ عن حیاض الإسلام ویقف فی وجه الظالمین بشجاعه.

وسلفنا الصالح من أخلاقهم الحسنه العفّه والسداد ، وکانوا یرفضون هدایا أصحاب المناصب والأثریاء التی تشکّل فی الحقیقه وثیقه عبودیّه ذلک العالم لصاحب تلک الهدیّه.

یقول الشهید الثانی فی منیته : فممّـا یلزم لکلّ واحد منهما (العالم والمتعلّم) بعد تطهیر نفسه من الرذائل المذکوره وغیرها ، توجیه نفسه إلی الله تعالی والاعتماد علیه فی اُموره وتلقّی الفیض الإلهی من عنده ، ولا یعتمد علی الأسباب فیتّکل إلیها وتکون وبالا علیه ، ولا علی أحد من خلق الله تعالی ، بل یلقی مقالید أمره إلی الله تعالی فی أمره ورزقه وغیرهما ، یظهر علیه من نفحات قدسه ولحظات اُنسه ما یقوم به أوده ویحصل مطلبه ، ویصلح به أمره ، وقد ورد فی الحدیث عن النبیّ (صلی الله علیه وآله) : إنّ الله تعالی قد تکفّل لطالب العلم برزقه خاصّه عمّـا ضمنه لغیره ، بمعنی أنّ غیره یحتاج إلی السعی ، وطالب العلم لا یکلّف بذلک ، إن أحسن النیّه وأخلص العزیمه.

وعندی فی ذلک من الوقائع والدقائق ما لو جمعته بلغ ما یعلمه الله من حسن صنع الله تعالی بی ، وجمیل معونته منذ اشتغلت بالعلم ... وبالجمله لیس الخبر کالعیان (١).



---

١- ١. منیه المرید : ٦١.

فعالم الـدين لا بدّ له من أن يترفّع عن السـفاسف ، مرفوع الهام محلّقاً فی سـماء العفّه والعزّه والإباء ، غنیّاً بقناعته وزهده وورعه ، وفی نفس الوقت الذی یحرص علی أن یکون متواضعاً ، فإنّه یکون أبیّ النفس عزیزاً عفیفاً قنوعاً ، ویدع الدنیا لأهلها.

اُنظر إلی قدوه العلماء شیخنا الأعظم الشیخ الأنصاری (قدس سره) لمّـا دفع إلیه أحد أثریاء إیران مالا لیبنی به بیتاً أو یشتری بیتاً لسـکنه ، فإنّه لعزّه نفسه لم یصـرف ذلک المبلغ فی شؤونه الخاصّه ، وإنّما صـرفه جمیعه فی شـراء أرض وبناء مسـجد علیها وهو أحد المساجد المعروفه فی النجف الأشرف باسم مسجد الشیخ الأنصاری.

وعندما رجع ذلک الثریّ من الحجّ أراه الشیخ الأنصاری ذلک المسجد وقال له : هذا هو منزلی الذی کنت أنت السبب فیه.

کان الشـریف الرضی (رحمه الله) شدید الالتزام بمبادئ الدین الحنیف وأحکام الشریعه ، فکان شدید الاجتناب للتملّق والمداهنه ، ولم یقبل الصِلات والهدایا من الملوک والسلاطین ، فکان عفیف النفس عالی الهمّه لم یقبل من أحد صله ولا جائزه.

یقول أحد الوزراء المعاصرین للسیّد الرضی (رحمه الله) :

وِلِد للسـیّد الرضـیّ مولود ، فأرسلت إلیه ألف دینار فی طبق علی ما هو المتعارف فی مثل ذلک ، فردّه الرضیّ قائلا : الوزیر یعلم أنّی لاـ أقبل من أحـد شـیئاً. أرسـلت ذلک الطبق ثانیهً وقلت : إنّ هـذا المبلغ للمولود ولا علاقه لک به ، فردّه ثانیهً وقال : أطفالنا أیضاً لا یقبلون من أحد شیئاً. أرسلته إلیه ثالثهً وقلت : إعطِ هذا المبلغ للقابله ، فردّه وقال : إنّنا أهل بیت لا نطلع علی أحوالنا قابلهً غریبه ، وإنّمـا عجائزنـا یتولّین هـذا الأـمر من نسائنـا ، ولسنَ ممّن یأخـذن اُجره ، ولاـ یقبلنَ صـله. أرسـلته إلیه رابعهً وقلت : هـذا للطلّاب الذین یدرسون عندک ، فقال السیّد الرضیّ :

ها هم الطلّاب جميعاً حاضرون ليأخذ كلّ منهم ما يريد. عندها قام أحد الطلّاب وتناول ديناراً واقتطع منه مقداراً احتفظ به ثمّ ردّ الباقى إلى الطبق. وسأله السيّد الرضى عن سبب ذلك فقال : احتجت البارحه شيئاً من الزيت للمصباح ولم يكن المتولّى لنفقه المدرسه موجوداً ، فاستدنت من البقّال حاجتى من الزيت ، وقد أخذت هذا المقدار من الدينار لأداء دينى هذا ، ثمّ ردّ الطبق.

بعد ذلك أمر السيّد بأن يكون مع كلّ طالب من طلّاب المدرسه مفتاح لصندوق ماليّه المدرسه ليأخذ حاجته عند الضروره ، ولا يضطرّ أحد لمراجعه المسؤول عن ذلك (١).

وهذا شيخنا القمى صاحب مفاتيح الجنان ، فى إحدى السنوات طلب أحد المحسنين من المحدّث القمّى أن يقبل التزامه بدفع مبلغ خمسين ديناراً عراقياً بإزاء مجلس وعظ المحدّث وخطابته ، وكان مصرف المحدّث آنذاك شهرياً ثلاثه دنانير ، إلاّ أنّه رغم ذلك قال لهذا المحسن : أنا أرتقى المنبر لأجل الإمام الحسين (عليه السلام) ، ورفض قبول ذلك المبلغ.

هكذا كان سلفنا الصالح ، إلاّ أنّه نسمع اليوم بين آونه وأُخرى ما يحزّ القلب ويقطع أنياطه ، بأنّ فلان خطيب معروف يتعامل مع صاحب المجلس على منبره ، وفى بعض الأحيان لا يتّفق معه ، لأنّ هناك من يعطيه أكثر منه.

يحكى أنّ العالم الشيخ رضا الاسترآبادى قال : أيّام إقامتى فى كربلاء والتشرّف بملازمه الوحيد البهبهانى ، جاء أحد التجّار للزياره وأحضر قطعه قماش ثمينه هديّه لسماحته ، وحيث إنّه كان قد سمع أنّه لا يقبل شيئاً من أحد ، فقد حاول أن



---

١- ١. سيماء الصالحين : ٣٣٧ ، وفيه قصص بديعه فى هذا المضمون ، فراجع.

يجد الطريقه المناسبه ليقبلها منه ، فقيل له : إذا توسّط لك فى قبول الهديّه الشيخ رضا الاسترآبادى فقد يقبلها الشيخ الوحيد لأنّه يكرمه ، فجائنى فلم أقبل وساطه ذلك لعلمى بعدم قبول الهديّه ، فقال التاجر : لو تمكّنت لأهديت له قطعةً أُخرى ، فرضيت فأتيت الشيخ ، وبعد أن فتح الباب وأخبرته بالواقعه ، قبل أن أُكمل كلامى أغلق الباب علىَّ وقال : تصوّرت أنّك أتيت فى هذا الحرّ الشديد لحلّ مشكله علميّه ، فطرقت الباب مرّه أُخرى وقلت له : لو قبلتها لأهدى إلىَّ قطعةً أُخرى فلا تجعلنى أخسرها ، فضحك الشيخ وقال : بُنى ، عليك بالدرس ولا تصرف وقتك فى هذه الاُمور العبثيّه ، ثمّ قبل الهديّه وقال : بشرط أن لا تتوسّط بعد فى مثل هذه الاُمور.

وأخيراً يقول العارف بالله الشيخ محمّد البهارى من تلامذه آيه الله الشيخ حسينقلى الهمدانى الكبار ، ومن الواصلين إلى حريم القرب الإلهى ، يتحدّث عن صفات العالم :

الثالث : لا بدّ أن يكون متوكّلا على مولاه ، آيساً عمّـا فى أيدى الناس ، فلا يتملّق لأحد من الأغنياء ، ويسمّى ذلك تواضعاً ، فإنّ تواضع الفقير هو التكبّر عليهم من حيث أنّهم أغنياء.

الرابع : أن لا يداهنهم بالخوض فى الباطل طمعاً بما فى أيديهم من حطام الدنيا ...

السابع : ما يعطيه إيّاه غيره من المال ، إن علم أنّه حرام وجب عليه الامتناع ، وإن علم أنّه مشتبه أو حلال فيه منّه فردّه له راجح ، وإن علم أنّه هديّه محلّله بغير منّه استحبّ له القبول تأسّياً بالنبىّ والأئمه (عليهم السلام) ، وإن كان من الصدقات وهو مستحقّ ، فإن علم أنّه يعطى رياءً وسمعةً يمكن أن يقال بعدم جواز الأخذ إذا صدق أنّه إعانه على الإثم.

وينبغى له التعفّف عن السؤال ما استطاع ، فإنّه فقر معجّل وحساب طويل لعدم خلوّه من الآفات غالباً ، إذ هو متضمّن للشكوى وذهاب ماء الوجه ، والذلّ عند غيرالله وإيذاء المسؤول ، وإعطائه استحياءً أو رياءً أو إلجاءً أمر يورث شتم السائل وإيذاءه ، إلى غير ذلك من الآفات ، ولذا روى : « أنّ مسأله الناس من الفواحش » ، نعم لو كان فى مقام الاضطرار ، فله ذلك ، بل قد يجب ، إلّا أنّ تشخيص درجات هذه المقامات فى غايه الإشكال والصعوبه (١).

هذه بعض النماذج والوصايا من سيره علمائنا الأعلام فى عفّه النفس وعزّتها ، والعفّه تعدّ من اُمّهات الأخلاق الحسنه ، كما جاء فى المحجّه البيضاء ، قال بعض الأعلام :

« كما أنّ حسن الصوره الظاهره مطلقاً لا يتمّ بحسن العينين دون الأنف والفم والخدّ ، بل لا بدّ من الحسن فى جميعها حتّى يتمّ حسن الخلق ، فإذا استوت الأركان الأربعه واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق ، وهى : قوّه العلم ، وقوّه الغضب ، وقوّه الشهوه ، وقوّه العدل بين هذه القوى الثلاث ، وحسن القوّه الغضبيّه واعتدالها يعبّر عنه بالعفّه ، فإن مالت قوّه الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزياده سمّى ذلك تهوّراً ، وإن مالت إلى الضعف والنقصان سمّى ذلك جُبناً وخوراً ، وإن مالت قوّه الشهوه إلى طرف الزياده سمّى شرهاً ، وإن مالت إلى النقصان سمّى خموداً ، والمحمود هو الوسط وهو الفضيله ، والطرفان مذمومتان. والعدل إذا فات فليس له طرفان زياده ونقصان ، بل له ضدّ واحد وهو الجور ، وأمّا الحكمه فيسمّى إفراطها عند الاستعمال فى الأغراض الفاسده خبّاً وجربزه ، ويسمّى تفريطها بلهاً ، والوسط هو



---

١- ١. سيماء الصالحين : ٣۴٩.

الذی یختصّ باسم الحکمه ، فإذن اُمّهات الأخلاق واُصولها أربعه : الحکمه والشـجاعه والعفّه والعدل ، فمن اعتدال هذه الاُصول الأربعه تصدر الأخلاق الجمیله کلّها (۱).

قال أمیر المؤمنین (علیه السلام) : لا تکمل المکارم إلّا بالعفاف والإیثار (۲).

ویقول الشهید الثانی فی منیته فی الآداب التی یشترک فیها المعلّم والمتعلّم :

الخامس : أن یکون عفیف النفس عالی الهمّه منقبضاً عن الملوک وأهل الـدنیا ، لا یدخل إلیهم طمعاً ، ما وجد إلی الفرار منهم سبیلا ، صیانه العلم عمّـا صانه السلف. فمن فعل ذلک ، فقد عرض نفسه وخان أمانته ، وکثیراً ما یثمر عدم الوصول إلی البُغْیه ، وإن وصل إلی بعضها لم یکن حاله کحال المتعفّف المنقبض ، وشاهده مع النقل والوجدان.

قال بعض الفضـلاء لبعض الأبـدال : ما بال کبراء زماننا وملوکها لا یقبلون ولا یجـدون للعلم مقداراً ، وقد کانوا فی سالف الزمان بخلاـف ذلک؟ فقال : إنّ علماء ذلک الزمان کان یأتیهم الملوک والأکابر وأهل الـدنیا ، فیبـذلون لهم دنیاهم ، ویلتمسون منهم علمهم ، فیبالغون فی دفعهم وردّ منّتهم عنهم ، فصـغرت الدنیا فی أعین أهلها ، وعظم قدر العلم عندهم ، نظراً منهم إلی أنّ العلم لولا جلالته ونفاسـته ما آثره هؤلاء الفضـلاء علی الدنیا ، ولولا حقاره الدنیا وانحطاطها لما ترکوها رغبهً عنها ، ولمّـا أقبل علماء زماننـا علی الملوک وأبنـاء الـدنیا ، وبـذلوا لهم علمهم التماساً لـدنیاهم ، عظمت الـدنیا فی أعینهم ، وصـغر العلم لـدیهم لعین ما تقدّم.



---

۱- ۱. میزان الحکمه ۳ : ۱۴۴.

۲- ۲. المصدر : ۱۴۷.

وقد سمعت جملةً من الأخبار فی ذلک سابقاً ، کقول النبیّ (صلی الله علیه وآله) : « الفقهاء اُمناء الرسل ، ما لم یدخلوا فی الدنیا. قیل : یا رسول الله ، وما دخولهم فی الدنیا؟ قال : اتّباع السلطان ، فإذا فعلوا ذلک فاحذروهم علی دینکم » ، وغیره من الأحادیث.

واعلم أنّ القدر المذموم من ذلک لیس هو مجرّد اتّباع السلطان کیف اتّفق ، بل اتّباعه لیکون توطئةً له ، ووسیله إلی ارتفاع الشأن ، والترفّع علی الأقران وعظم الجاه والمقدار ، وحبّ الدنیا والرئاسه ونحو ذلک ، أمّا لو اتّبعه لیجعله وصلةً إلی إقامه نظام النوع ، وإعلاء کلمه الدین ، وترویج الحقّ ، وقمع أهل البدع ، والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر ، ونحو ذلک ، فهو من أفضل الأعمال فضلا عن کونه مرخّصاً ، وبهذا یجمع بین ما ورد من الذمّ وما ورد أیضاً من الترخیص فی ذلک ، بل عن فعل جماعه من الأعیان کعلیّ بن یقطین وعبد الله النجاشی وأبی القاسم بن روح أحد الأبواب الأربعه الشریفه ، ومحمّد بن إسماعیل بن بزیغ ونوح بن درّاج وغیرهم من أصحاب الأئمّه ، ومن الفقهاء مثل السیّدین الأجلّین المرتضی والرضی وأبیهما والخواجه نصیر الدین الطوسی والعلّامه بحر العلوم جمال الدین بن المطهّر وغیرهم کالعلّامه المجلسی والشیخ البهائی قدّس الله أسرارهم الزکیه.

وأخیراً ، یا طالب العلم ــ زاد الله فی توفیقک ــ إجعل شعارک فی الحیاه قوله تعالی :

( یَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِیاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ) (۱).

ص: ۱۲۶

---

۱- ۱. البقره : ۲۷۲.

## الدرس الثامن

### الأمر الرابع عشر : الدعاء والتوسّل وصلاه الليل

قال الله تعالى :

( ادْعونی أسْتَجِبْ لَكُمْ ) (١).

( قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّی لَوْلا دُعاؤُكُمْ ) (٢).

( وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدونِ ) (٣).

ورد فی الحديث النبویّ الشريف :

« الدعاء مخّ العباده ».

« أفضل العباده الدعاء ».

ص: ١٢٧

---

١- ١. غافر : ٦٠.

٢- ٢. الفرقان : ٧٧.

٣- ٣. الذاريات : ٥٦.

« الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدين ونور السماوات والأرضين » (۱).

ونتيجه الآيه الكريمه والروايه الشريفه : أنّ فلسفه الحياه العباده ، وأصل العباده الدعاء. فمن حكمه الحياه الدعاء ، وما أكثر الآيات والأخبار التى تحثّ الإنسان على الدعاء وابتغاء الوسيله إلى الله سبحانه وتعالى ، وما أكثر فوائد الدعاء الفرديّه والاجتماعيّه ، فإنّ الدعاء قرآن صاعد ، وإنّه حلقه وصل بين العبد وربّه ، ومحضر اُنس وحديث العشّاق وكلام المحبّين.

وطالب العلم فى سيرته الأخلاقيه منذ البدايه وحتّى آخر لحظه من حياته العلميّه والعمليّه لا بدّ أن يستأنس بالأدعيه والأذكار والأوراد ، فإنّه بدعائه يشفع العلم ليكون نافعاً له ولغيره ، وإنّما تزداد بركات العلم وثمراته بمثل الدعاء والتوسّل بالله وبرسوله وأوليائه (عليهم السلام) ، وإنّه يفلح الطالب فى الحياه وفى تحصيل العلوم والفنون.

يقول أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) :

« الدعاء مقاليد الفلاح ومصابيح النجاح ».

« الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح ».

« الدعاء مفتاح الرحمه ومصباح الظلمه ».

« أحبّ الأعمال إلى الله فى الأرض الدعاء ».

وأخطر شىء على طالب العلم هو الشيطان ووساوسه وحبائله وحزبه وأعوانه ، ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : « أكثر من الدعاء تسلم من سوره الشيطان » ، وكان هو (عليه السلام) رجل دعّاء.

ص: ۱۲۸

---

۱- ۱. الروايات من ميزان الحكمه ۳ : ۲۴۵.

فالـدعاء سـلاح المؤمن وسـلاح الأنبيـاء (عليهم السـلام) ، وكلّمـا ازداد الإنسـان علمـاً ازداد دعـاءً ، قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « أعلم الناس بالله سبحانه أكثرهم له مسألةً ».

والجهل يُعدّ من أمرّ الداء ، ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) :

« عليك بالدعاء فإنّ فيه شفاء من كلّ داء ».

كما أنّه علينا أن نسأل الله فى كلّ الأشياء صغارها وكبارها ، حتّى شسع النعل ، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« سلوا الله عزّوجلّ ما بدا لكم من حوائجكم حتّى شسع النعل ، فإنّه إن لم ييسّره يتعسّر ».

« يا موسى سلنى كلّ ما تحتاج إليه حتّى علف شاتك وملح عجينك ».

وموسـى هذا من أنبياء أُولى العزم ، والعلماء ورثه الأنبياء ، وأولى الناس باتّباعهم والاقتداء بهم ، فلا بدّ أن يدعو الله فى كلّ شىء حتّى ملح الطعام.

وأمّا التوسّل وابتغاء الوسـيله بمحمّـد وآله الطاهرين ، فما أكثر النصوص الـدينيه والقضايا التأريخيه والحوادث الواقعيّه تـدلّ على أهميّه ذلك فى حياه المؤمن ، لا سيّما طالب العلوم الدينيّه.

كما إنّ الأذكار والأوراد والنوافل والأعمال المسـتحبّه ، لا سـيّما صـلاه الليل لها دور عظيم جـدّاً فى توفيق وسـعاده طالب العلم ، والانتفاع بعلمه المبارك ، وتكامله فى حياته العلميه والعمليّه.

ومن هذا المنطلق نجد حياه أسلافنا فى العلم والعمل مشحونه بالحكايات والخواطر ذات العبر والدروس ، كما إنّها مليئه بالوصايا والاهتمام البالغ بهذا الجانب الروحى الملكوتى.

يقول العلاّمه الطباطبائی صاحب المیزان فی تفسیر القرآن : کنت أیّام شبابی فی النجف الأشرف حین کسب علوم أهل البیت (علیهم السلام) أتردّد علی المرحوم آیه الله العارف بالله السیّد علی القاضی ، فذات یوم کنت واقفاً عند باب المدرسه ، فمرّ بی المرحوم القاضی ، فلمّا اقترب منّی وضع یده علی کتفی وقال : بنیّ ، إن کنت ترید الدنیا فعلیک بصلاه اللیل ، وإن کنت ترید الآخره فعلیک بصلاه اللیل. یقول السیّد : لقد أثّرت هذه المقوله الروحیّه فی نفسی غایه التأثیر ، فصرت اُلازم السیّد القاضی لیل نهار لاُدرک فیضه وکمالاته الروحیّه.

ویحدّثنا مؤسّس حوزه قم المبارکه آیه الله العظمی الشیخ عبد الکریم الحائری أنّه حین کان فی سامراء یتلقّی العلوم من اُستاذه آیه الله العظمی المجدّد الشیرازی ، دخل علیه فی یوم آیه الله السیّد محمّد الفشارکی منقبض الوجه قلقاً وکان مضطرباً من مرض الوباء الذی اجتاح العراق تلک الأیّام ، فقال المجدّد لتلامذته : هل ترونی مجتهداً؟ فقالوا : نعم. ثمّ قال : وهل ترونی عادلا؟ فقالوا : نعم. فلمّا أقرّوا باجتهاده وعدالته ، قال : آمر کلّ امرأه ورجل من الشیعه بأن یقرأوا زیاره عاشوراء نیابه عن اُمّ صاحب الزمان (علیه السلام) السیّده نرجس خاتون ، فیتوسّلون بها بحقّ ولدها عجّل الله فرجه الشریف أن یشفع عند الله بنجاه المسلمین من الوباء.

وبمجرّد صدور هذا الحکم التزم شیعه سامراء بالزیاره ، فدفع الله عنهم الوباء.

وفی عصرنا هذا حدث لنا مثل هذه الواقعه حیث کان صدّام الکافر یقصف مدن إیران ومنها قم المقدّسه ، فأمر آیه الله العظمی السیّد محمّد رضا الکلبایکانی أن یتوسّل الناس بسیّده نساء العالمین فاطمه الزهراء (علیها السلام) ، فدفع الله شرّ صدّام.

ص: ۱۳۰

« إنّ هـذه التوسّـلات تساعـد الإنسان مساعـدةً عظيمه جـدّاً فى تحصـيل العلم وكسب الإخلاص وتهذيب النفس وترك الذنوب والمعاصى ، وحتّى المكروهات والمباحات.

فهذا الإمام الخمينى قائد الثوره الإسـلاميه طيله إقامته فى النجف الأشـرف لم يترك زياره حرم أمير المؤمنين على (عليه السـلام) كلّ ليله ، كان يقصد ضـريح سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وكان يقرأ دائماً زياره عاشوراء مع تكرار الفقرات التى ينبغى تكرارها مئه مرّه.

كـان عابـداً متهجّـداً مستغفراً فى الأسـحار ، وابنه يقول : ذات ليله وقع فى العراق انقلاب عسـكرى ، وفرضت الأحكام العرفيّه ، وجاء وقت زياره الإمام ، فتبيّن أنّه ليس موجوداً فاضـطربت وفتّشت عنه الغرف فوجدته على السـطح أمام قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) مشغولا بالزياره ، كان يقرأ زياره الجامعه فى كلّ ليله إلّا عند الضروره.

وفى أواخر أيّامه فى طهران بعد انتصار ثورته كان كلّ يوم يتمشّـى ساعتين أو ثلاثه والسبحه بيده ، وهو مشغول بالذكر أو بزياره عاشوراء.

وكان بمجرّد أن يسمع كلمه (يا حسين) يبكى لعشقه بأهل البيت (عليهم السلام).

ذات يوم قال أحـد طلّاب مـدرسه الرفاه للإمام : لماذا لا تذكرون فى أحاديثكم الإمام المنتظر إلّا قليلا ، وبمجرّد أن سـمع الإمام ذلـك وقف وقـال : مـاذا تقول؟ ألاـ تعلم أنّ كـلّ ما عنـدنا هو من الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه ، وكلّ ما عنـدى هو من الإمام صاحب الزمان ، وكلّ ما عندنا من الثوره هو من الإمام صاحب الزمان (عليه السلام).

وهذا العلّامه الأمينى (قدس سره) صاحب الغدير ، من خصائصه العشق والولاء

ص: ١٣١

الكامل لآل محمّد (عليهم السلام) عشقاً كان مشهوراً تتناقله الألسن ، بحيث يمكن القول أنّ الغدير أثر من آثار العشق العارم ، ومن هنا كانت له علاقه خاصّه بسماع مصائب الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه الكرام والتأمّل فى مصائبهم ، وكان يبكى بصوت عال بكاءً مريراً ومتفجّعاً.

وهذا العبقرى العظيم الشيخ الوحيد البهبهانى صاحب مدرسه فى الاُصول ، كان عندما يتشرّف بحرم سيّد الشهداء (عليه السلام) للزياره يقبّل أوّلا عتبه الباب (الكفشداريّه) « محلّ نزع الأحذيه » ويمسح وجهه المبارك ولحيته الشريفه ، وبعد ذلك يتشرّف بدخول الحرم بخضوع وخشوع وبكاء ، ثمّ يقرأ الزياره.

يقول المحدّث القمّى : حيث إنّ السيّد نعمه الله الجزائرى لم يكن يستطيع فى بدء دراسته أن يشترى مصباحاً للمطالعه ، فقد كان يطالع فى ضوء القمر ، ونتيجه كثره المطالعه ، ضعف بصره ، ولذلك بدأ يمسح بتربه سيّد الشهداء وتربه سائر الأئمه (عليهم السلام) على عينيه ، ومن بركه تلك التربه كان نور بصره يزداد ويقوى.

ويضيف المحقّق القمّى : وليس هذا الأمر غريباً ، لأنّ الدميرى فى (حياه الحيوان) وغيره ، ينقلون أنّ الأفعى عندما تصاب بالعمى تمسح عينيها بنبات معيّن فتبصر ، وإذا كان الله تعالى يجعل تلك الخاصّيه فى نبته ما ، فما العجب فى أن يجعل مثلها فى تربه ابن النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، ويضيف قائلا : وهذا الحقير أيضاً كلّما ضعف بصرى بسبب كثره الكتابه أتبرّك بتراب مراقد الأئمه (عليهم السلام) ، وأحياناً بمسّ كتابه الأحاديث والأخبار ، وبحمد الله فإنّ يمينى فى غايه القوّه ، وأملى إن شاء الله أن تقرّ عينى ببركتهم فى الدنيا والآخره.

يقول ابن المحدّث القمّى : حينما كنّا فى النجف الأشرف سنه ١٣٥٧ ه قبل وفاه الوالد بسنتين استيقظ والدى وقال : اليوم تؤلمنى عيناى ولا أستطيع المطالعه

ص: ١٣٢

والکتابه ، فـذهبت إلى الدرس ، ولمّــا رجعت ظهراً وجدته يطالع ويکتب ، فسألته عن ذلک فقال : توضّأت وجلست تجاه القبله ومسحت کتاب الکافى على عينى فارتفع الألم ، والعجيب أنّه لم يبتلِ بعدها بألم العينين طيله عمره.

وقد کان الفقيه العادل المرحوم الشيخ جواد مشـکور مرجع تقليد قسم من الشيعه فى العراق ، وفى ليله ۲۶ صفر ۱۳۳۶ ه ق رأى فى منـامه فى النجف الأشـرف عزرائيـل سـلام الله عليه ، وبعـد السـلام سـأله من أين جئت؟ قـال : من شـيراز ، وقـد قبضت روح المرحوم الميرزا إبراهيم المحلّاتى. فسأله : ما حال روحه فى عالم البرزخ؟ فقال : فى أحسن الحالات وفى أحسن حـدائق البرزخ ، وقد وکّل الله به ألف ملک يطيعون أوامره. فقال : بأىّ سبب وصل إلى هذا المقام؟ فأجابه عزرائيل : بسبب قراءه عاشوراء. وفى اليوم التالى جاءت برقيه من شيراز إلى النجف تحمل نبأ وفاه الميرزا المحلّاتى ، وثبت صدق منام الشيخ.

کان آيه الله العظمى الشيخ عبد الکريم الحائرى مؤسـس الحوزه بقم قبل التدريس يأمر خطيباً أن يقرأ العزاء على سيّد الشـهداء (عليه السـلام) أوّلا ، ثمّ کان يدرّس ، وکان يشترک حافى الأقدام فى مواکب اللطم والعزاء ، وکان يقول : کلّ ما عندى فهو من الإمام الحسين (عليه السلام) ، وکيف نجّاه من الموت أيّام شبابه.

وهذا السيّد مير حامد حسين صاحب عبقات الأنوار ، کان يغشى عليه عندما يسمع مصائب سيّد الشهداء (عليه السلام).

کما امتاز العلّامه الطباطبائى صاحب تفسـير الميزان بولائه وعشـقه الخاصّ بأهل البيت (عليهم السـلام) ، وحينما کان يدخل حرم الإمام الرضا (عليه السـلام) کان يقبّل عتبه الباب ، وکان يشترک فى عزاء سـيّد الشـهداء (عليه السلام) ، وفى بعض الأحيان حتّى السحر وکان يبکى بکاءً مريراً وبصوت عال ، ولا شکّ أنّ کثير من توفيقاته وليده هذه الخصله.

فسيره علمائنا الكرام ــ رحم الله الماضين وحفظ الباقين ــ هى التوجّه والتوسّل بالأئمه الأطهار (عليهم السلام) وقراءه الأدعيه والأوراد والأذكار والزيارات (۱).

وهذا سيّدنا الاُستاذ يقول فى وصيّته (۲) :

واُوصيه بتهذيب النفس والمجاهدات الشرعيّه ، فإنّى نلت به ما نلت ، ورزقنى ربّى الكريم ما لم تره أعين أبناء العصر ، ولا طرقت أسماعهم ، ولا سمعت آذانهم ، فالحمد لله تعالى على هذه الموهبه العظيمه والفضل الجسيم.

واُوصيه ونفسى الخاطئه بتقوى الله فى السرّ والعلن والاهتمام فى الورع والزهد فى زخارف هذه الدنيا الدنيّه ، وأن لا يترك زياره أهل القبور والاعتبار بهم ، فإنّهم من كانوا بالأمس فما صاروا اليوم؟ وأين كانوا فإلى أين صاروا؟ وكيف كانوا فكيف صاروا؟ الأموال قد قسمت ، والأكفاء قد زوّجت ، والدور قد سكنت ، وما بقى لهم إلّا ما كانوا يفعلون ويعملون ، وأن لا يترك تلاوه القرآن ومطالعه الأحاديث والتدبّر فيهما والاستناره من أنوارهما ... وأن لا يترك صلاه الليل والتهجّد فى آنائه والاستغفار فى أسحاره ، فقد قال مولانا سيّد المظلومين أمير المؤمنين روحى له الفداء فى وصاياه : عليك بصلاه الليل ...

واُوصيه بمداومه قراءه زياره الجامعه الكبيره ولو فى الاُسبوع مرّه.

واُوصيه بقراءه سوره (يس) بعد فريضه الفجر كلّ يوم مرّه ، وبقراءه سوره (النبأ) بعد فريضه الظهر كذلك ، وبقراءه (العصر) بعد فريضه العصر كذلك ، وبقراءه سوره (الواقعه) بعد فريضه المغرب ، وبقراءه سوره (الملك) بعد فريضه العشاء كذلك ، واُؤكّد عليه بالمداومه على ما ذكرت ، فإنّى أروى هذه الطريقه عن



---

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۱۷۰.

۲- ۲. قبسات من حياه سيّدنا الاُستاذ : ۱۲۲ ــ ۱۳۱.

مشایخی الکرام وجرّبتها مراراً ...

واُوصیه بمداومه تسبیحات جدّتنا الزهراء البتول روحی لها الفداء.

واُوصیه بالتوسّل ومداومه الأدعیه والأذکار.

واُوصیه بالاستغفار فی آناء اللیل والنهار.

واُوصیه أن یجعل علی صدری فی کفنی المندیل الذی نشفت دمعاتی فی رثاء جدّی الحسین المظلوم وأهل بیته المکرمین سلام الله علیهم أجمعین.

واُوصیه بالمداومه علی السنن والمستحبّات وترک المرجوحات والمکروهات مهما أمکن.

واُوصیه بتلاوه القرآن الشریف وإهداء ثوابه إلی أرواح شیعه آل الرسول الذین لا وارث لهم أو لا متذکّر فی حقّهم ، فإنّی قد جرّبت هذه الحسنه مراراً ووفّقنی ربّی الکریم بما وفّقنی بسببها ، فالموفّقیه والرشد والتقدّم فی التضرّع والدعاء :

( وَإذا سَأَلَکَ عِبادی عَنِّی فَإِنِّی قَریبٌ اُجیبُ دَعْوَهَ الدَّاعِ إذا دَعانِ فَلـْیَسْتَجیبوا لی وَلـْیُؤْمِنوا بی لَعَلَّهُمْ یرْشُدونَ ) (۱).

وأمّا صلاه اللیل ، فإنّ القلم لیعجز عن بیان فضلها وتأثیرها فی حیاه طالب العلم ، فإنّها سرّ النجاح ومفتاح الفلاح ، ویکفی فی فضلها أنّها کانت واجبه علی رسول الله (صلی الله علیه وآله).

یا طویل الرقاء والغفلات ***کثره النوم تورث الحسرات

إنّ فی القبر إن نزلت إلیه ***لرقاداً یطول بعد الممات

ومهاداً ممهّداً لکَ فیه ***بذنوب عملت أو حسنات (۲)



۱- ۱. البقره : ۱۸۶.

۲- ۲. المحجّه البیضاء ۲ : ۲۹۷.

« من الاُمور التی یجب علی جمیع المسلمین ، لا سیّما طلّاب العلوم الدینیّه ورجال الدین أن یهتمّوا بها غایه الاهتمام قضیّه قیام الأسحار والتهجّد والتضرّع فیها.

وقد أشار القرآن الکریم فی أکثر من عشر مواضع علی هذا الأمر الخطیر ، وقد ورد الثناء والإطراء الإلهی علی المتهجّدین بالأسحار بعبارات مختلفه.

ویقول العارف بالله المیرزا جواد الملکی التبریزی صاحب (المراقبات) : إنّ الروایات فی فضیله صلاه اللیل وذمّ ترکها قد بلغت حدّ التواتر (۱).

یقول الإمام الصادق (علیه السلام) : لیس من شیعتنا من لم یصلّ صلاه اللیل.

ویری علماء الأخلاق أنّ من الواجبات الأخلاقیه علی الطلّاب أن یهتمّوا بهذا المستحبّ ویلتزموا به لإناره قلوبهم والاختلاء بالله حبیب القلوب.

یقول المرحوم الملکی التبریزی : وحکی لی شیخی فی العلوم الحقّه : أنّه ما وصل أحد من طلّاب الآخره إلی شیء من المقامات الدینیه إلّا إذا کان من المتهجّدین.

وکیف کان ، فإنّ من له أدنی تتبع فی أخبار أهل البیت (علیهم السلام) وأحوال السلف من مشایخنا العظام (رحمهم الله) ، لا یشکّ فی أنّ صلاه اللیل لیست ضدّ تحصیل العلم ، بل هی من أسبابه القریبه والقویّه ، وکثیراً ما رأینا من المحصّلین من کان من المتهجّدین وصار ذلک سبباً لاستقامه فهمه وجوده ذهنه فی الوصول إلی المطالب الحقّه فی المسائل العلمیّه ، وارتقی إلی المراتب العالیه فی العلم بخلاف الطلّاب المجدّین



---

۱ – ۱. أسرار الصلاه : ۲۹۳ ، وقد تناول المصنّف أهمیّه صلاه اللیل وکیفیّتها بالتفصیل ، فلیراجع. کما ذکرنا ذلک فی کتاب (التوبه والتائبون) ، فراجع.

فی مطالعه الکتب العلمیّه ـ غیر المتهجّدین ـ فقلّما خرج منهم صاحب ملکه مستقیمه ، نعم ، ربما یوجد فیهم مشکّک مدقّق ، ولکن لا یکون محقّقاً ، ولا یکون فی علمه برکه کامله ، بل یقلّ خیره ونوره ولا یوفّق لفوائد هذا العلم.

وهذه زینب الکبری ، الصدّیقه الصغری ، العالمه غیر المعلَّمه ، فی مثل لیله الحادی عشر من یوم الطفّ وتلک الرزیّه العظمی تصلّی صلاه اللیل من جلوس لانهیار طاقتها ، فلم تترک التهجّد.

وما ألذّ تلک السویعه الروحانیّه التی یقوم فیها طالب العلم لأداء صلاه اللیل ولیخلو بحبیبه ربّ العالمین.

وهذا السیّد الإمام الخمینی (قدس سره) منذ شبابه وحتّی آخر أیّامه لم یترک صلاه اللیل سواء فی حاله الصحّه أو المرض ، وفی السجن وغیره ، حتّی فی الطائره التی نقلته إلی إیران أیّام الثوره.

وهذا سیّدنا الاُستاذ آیه الله العظمی السیّد النجفی المرعشی یوصی ولده أن یدفن معه سجّادته التی صلّی علیها سبعین سنه صلاه اللیل.

وجاء فی ترجمه آیه الله الملکی التبریزی أنّه قبل أذان الصبح کان یقوم لصلاه اللیل بالبکاء والنحیب.

والمحدّث القمّی (قدس سره) کان فی کلّ أیّام السنه فی الفصول الأربعه یستیقظ قبل طلوع الفجر بساعه علی الأقلّ ، ویشتغل بالصلاه والتهجّد. یقول ابنه الکبیر : فی حدود ما أتذکّر لم یفته قیام آخر اللیل حتّی فی الأسفار ، کان ملتزماً بذلک.

کان الشیخ محمّد الأشرفی علیه الرحمه من تلامذه سعید العلماء ، یشتغل من منتصف اللیل حتّی الصباح بالتضرّع ومناجاه الله عزّ وعلا ، ویلطم علی صدره ورأسه ، وعندما یطلع الصباح یکون فی غایه الضعف ، بحیث أنّ من لا یعرفه کان

يتصوّر إذا رآه أنّه غادر فراش المرض الآن.

أجل ، كما يقول مولانا أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) : قد براهم الخوف بَرْى القداح ، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض (١).

كان آيه الله العظمى الشيخ جعفر كاشف الغطاء فى العباده وصفاء الباطن وحاله التضرّع والبكاء بين يدى الله تعالى والتهجّد وقيام الليل والدعاء والمناجاه أحد أوتاد الدهر ، وكان يبذل جهده مهما استطاع حتّى لا يفوته عمل مستحبّ.

وفى إحدى أسفاره زار (رشت) من مدن إيران فأُخبر أنّ أئمّه الجماعات لا يصلّون النوافل ، فقال : لا تقتدوا خلف من لا يصلّى النوافل ، وعندما سمع أئمه الجماعه ذلك التزموا بالنوافل.

ويقول ولده الشيخ حسن : كان من عاده والدى كلّ ليله قبل السحر أن يوقظ العيال والأطفال جميعاً لصلاه الليل ، وكان الجميع يستيقظون.

وآيه الله النجفى القوجانى صاحب (سياحه الشرق وسياحه الغرب) ، يقول عن أيّام دراسته فى إصفهان : فى هذه الغرفه الجديده التى كانت متّصله بغيرها من الغرف ، فتحنا فى وسط المشكاه ثقباً ، ومددنا منه حبلا ، كان أحد طرفيه فى غرفه صديقى ، وطرفه الآخر فى غرفتى ، كان صديقى وقت النوم يربط ذلك الطرف بيده ، وأربط أنا هذا الطرف بيدى ، حتّى إذا ما استيقظ أحدنا سحراً لصلاه الليل يستيقظ الآخر بواسطه هذا الحبل بدون أىّ صوت حذراً من أن يستيقظ طالب آخر على صوتنا ، ولا يكون راضياً بذلك.

كان بعض الأعلام يقرأ دعاء أبى حمزه الثمالى فى صلاه الليل.



---

١- ١. نهج البلاغه ، صبحى الصالح : ٣٠٤ ، خطبه همام ١٩٣.

هنيئاً لهذه الكواكب الدرّيه فی اللیالی المظلمه الذین کانوا مصداق قوله تعالی :

( کانوا قَلیلا مِنَ اللَّیْلِ ما یَهْجَعونَ وَبِالأسْحارِ هُمْ یَسْتَغْفِرونَ ) (۱).

یقول آیه الله الملکی التبریزی (رحمه الله) : کان لی شیخ جلیل عارف قدّس الله تربته _ المراد آیه الله الشیخ حسینقلی الهمدانی _ ما رأیت له نظیراً ، سألته عن عمل مجرّب یؤثّر فی إصلاح القلب وجلب المعارف ، فقال قدّس سرّه العزیز : ما رأیت عملا مؤثّراً فی ذلک مثل المداومه علی سجده طویله فی کلّ یوم ولیله مرّه واحده یقال فیها :

( لا إل_ه إلاّ أنْتَ سُبْحانَکَ إنِّی کُنْتُ مِنَ الظّالِمینَ ) .

یقوله وهو یری نفسه مسجونه فی سجن الطبیعه ، ومقیّد بقیود الأخلاق الرذیله مقرّاً بأ نّک یا إلهی لم تفعل ذلک بی ولم تظلمنی وإنّما أنا الذی ظلمت نفسی ، وأوقعتها فی هذه الهوّه ، بالإضافه إلی قراءه سوره القدر فی لیله الجمعه وفی عصرها مئه مرّه. انتهی کلامه رفع الله مقامه.

أقول : عن بعض مشایخی فی السیر والسلوک ، إنّ هذه الآیه والتی تسمّی بالذکر الیونسی من قالها کما وردت فإنّه یبتلی بالهمّ والغمّ ، بل لا بدّ من إکمالها إلی قوله تعالی :

( وَکَذلِکَ نُنْجی المُؤْمِنینَ ) .

ثمّ فیها أعداد خاصّه ، فمنها أربعمائه ، واُخری ألف وواحده ، وربما أربعه آلاف مرّه ، فیحتاج الذاکر إلی اُستاذ وحکیم یرشده ویجیزه ، فإنّ فی ذلک الأثر



---

۱- ۱. الذاریات : ۱۷.

البالغ ، يقف عليه من كان من أهله.

يقول العلاّمه الطباطبائى (قدس سره) ضمن تعداد الاُمور التى يجب أن يلتزم بها السالك :

الثانى والعشرون : الورد هو عباره عن الأذكار والأوراد اللسانيّه ، وكيفيّتها وكمّيتها منوطتان برأى الاُستاذ ، لأنّ لها حكم الدواء الذى ينفع البعض ويضرّ الآخرين ، وأحياناً قد يشتغل السالك بذكرين أحدهما يوجّهه إلى الكثره والآخر إلى الوحده ، وفى حاله اجتماعهما تبطل نتيجه كلّ منهما ولا ينتفع بشىء طبعاً ، إذن الاُستاذ شرط فى الأوراد التى لم يرد فيها إذن عامّ ، وأمّا ما ورد فيه إذن عامّ فلا مانع منه.

فلا بدّ لطالب العلم فى سيرته الأخلاقيه أن يواظب المواظبه التامّه على التهجّد وقيام السحر والاشتغال بنافله الليل مع كمال حضور القلب والإقبال والاشتغال بالتعقيب وقراءه القرآن إلى طلوع الشمس والاستغفار لا سيّما سبعين مرّه أو مئه مرّه صباحاً ومساءاً والتهليل والتسبيح والتحميد والتكبير والصلاه على محمّد وآله الطاهرين.

هذا وقد كتب آيه الله التبريزى رساله إلى الفيلسوف والاُصولى المشهور الشيخ محمّد حسين الاصفهانى ، نقل فيها تعليمات عن اُستاذه المرحوم العارف بالله الهمدانى (قدس سرهما) ، جاء فيها :

يجب أن يقلّل الإنسان الطعام والنوم أكثر من المتعارف قليلا ، ليضعف البعد الحيوانى فيه ويقوى البعد الروحى ، وميزان ذلك كما بيّنه سماحته هو :

أوّلاـ : أن لاـ يتناول الإنسان الطعام فى اليوم والليله إلاّ مرّتين ـ كما ورد فى الأخبار ـ ويترك حتّى المتفرّقات التى يتناولها بين الطعامين.

ثانياً : عنـدما يأكل يجب أن يكون ذلک بعد الجوع بساعه مثلا ، ثمّ يأكل بحيث لا يشـبع تمام الشـبع ، هذا فی كمّ الطعام ، وأمّا كيفيّته ، فبالإضـافه إلی الآداب المعروفه ، أن لاـ يأكـل اللحم كثيراً ، بمعنی أن لاـ ياكله فی وجبتی اليوم والليله معاً ، ويتركه فی كـلّ اُسـبوع مرّتين أو ثلاثـاً فی الليـل وفی النهـار ، ويتركه مرّه إذا اسـتطاع للتكيّف ، ويجب أن لاـ يكون ممّن اعتـاد غلی تنـاول البزورات (المخلوطه) ولا يترک صيام ثلاثه أيّام فی كلّ شهر إذا استطاع.

وأمّا تقليل النوم فكان يقول : أن ينام فی اليوم والليله ستّ ساعات ، ويهتمّ طبعاً بحفظ اللسان واجتناب أهل الغفله كثيراً.

هذه الاُمور تكفی فی إضعاف البعد الحيوانی ، وأمّا فی تقويه البعد الروحانی :

أوّلا : يجب أن يكون دائماً متّصفاً بالهمّ والحزن القلبی لعدم وصوله إلی المطلوب.

ثانياً : أن لا يترک الذكر والفكر ما استطاع لأنّ هذين هما جناح سير سماء المعرفه.

وفی الذكر كان عمده ما يوصـی به : أذكار الصبـح والعشاء ، أهمّها ما ورد فی الأخبار ، وأهمّ ذلک تعقيبات الصلوات ، والأكثر أهمّيه ذكر وقت النوم المأثور فی الأخبار ، لا سيّما أن يغلب عليه النوم حال الذكر متطهّراً.

وحول قيام الليل كان يقول :

فی الشـتاء ثلاث ساعات ، وفی الصيف ساعه ونصف ، وكان يقول : لقد لمست آثاراً كثيرهً فی سجده الذكر اليونسی ( لا إلـهَ إلاّـ أنْتَ سُبْحانَکَ إنِّی كُنْتُ مِنَ الظّالِمينَ ) ، أی فی المـداومه علی ذلک بحيث لا تترک فی اليوم والليله ، وكلّما كانت أكثر ، كلّما ازداد تأثيرها ، وأقلّ ذلک أربعمائه مرّه ، وأنا العبد جرّبت ذلک ، كما إدّعی

تجربتها عدّه أشخاص ، وواحده أيضاً قراءه القرآن بقصد هديّته إلى خاتم الأنبياء محمّد (صلى الله عليه وآله) (۱).

وأخيراً : قال الله تعالى :

( إنَّ الْمُتَّقينَ فى جَنَّات وَعُيون آخِذينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إنَّهُمْ كانوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنينَ كانوا قَليلا مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعونَ وَبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ ) (۲).

( تَتَجافى جُنوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ يَدْعونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقونَ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما اُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّهِ أعْيُن جَزاءً بِما كانوا يَعْمَلونَ ) (۳).

( وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَهً لَكَ عَسى أنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً ) (۴).

من وصايا النبيّ (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) :

« عليك بصلاه الليل » ــ يكرّره أربعاً ــ.

« يا عليّ ، ثلاث فرحات للمؤمن : لقى الإخوان ، والإفطار من الصيام ، والتهجّد فى الليل ».

« ما زال جبرئيل يوصينى بقيام الليل حتّى ظننت أنّ خيار اُمّتى لن يناموا ».

« ما اتّخذ الله إبراهيم خليلا إلاّ لإطعامه الطعام ، وصلاته بالليل والناس نيام ».

قال الإمام الباقر (عليه السلام) :



---

۱- ۱. من سيماء الصالحين : ۱۷۵ ــ ۲۰۰.

۲- ۲. الذاريات : ۱۸.

۳- ۳. السجده : ۱۶.

۴- ۴. الإسراء : ۷۹.

« كان عليّ (عليه السلام) يقول : إنّا أهل بيت أُمرنا أن نطعم الطعام ، ونؤدّى فى النائبه ، ونصلّى إذا نام الناس ».

« شرف المؤمن صلاته بالليل ، وعزّ المؤمن كفّه عن أعراض الناس ».

« لا تدع قيام الليل ، فإنّ المغبون من حرم قيام الليل ».

يا طلاّب علوم آل محمّد (عليهم السلام) ، ويا تلامذه الإمام الصادق (عليه السلام) ، هذا الإمام الناطق يقول : « إنّى لأمقت الرجل قد قرأ القرآن ، ثمّ يستيقظ من الليل فلا يقوم حتّى إذا كان عند الصبح قام يبادر بالصلاه ».

وهذا ليس بالطالب نفسه ، بل قوا أهليكم ناراً ، ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« إذا أيقظ الرجل أهله من الليل ، وتوضّيا وصلّيا ، كتبا من الذاكرين لله كثيراً والذاكرات ».

« عليكم بقيام الليل ، فإنّه دأب الصالحين قبلكم ، وإنّ قيام الليل قربه إلى الله ومنهاه عن الإثم ».

« عليكم بصلاه الليل فإنّها سنّه نبيّكم ، ودأب الصالحين قبلكم ، ومطرده الداء من أجسادكم ».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) :

« قيام الليل مصحّه للبدن ، وتمسّك بأخلاق النبيّين ، ورضى ربّ العالمين ».

« ما تركت صلاه الليل منذ سمعت قول النبىّ (صلى الله عليه وآله) : صلاه الليل نور ، فقال ابن الكوّاء : ولا ليله الهرير؟ قال : ولا ليله الهرير ».

قال الإمام الصادق (عليه السلام) فى قوله تعالى : ( إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ) ، قال :

« صلاه المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار ».

هذا وكما ورد فى الخبر الشريف :

« ليس العلم بكثره التعلّم ، إنّمـا العلم نورٌ يقـذفه فى قلب من يشاء هـدايته ، وصـلاه الليل نور ، ممّـا يزيـد فى العلم النافع صـلاه الليل ».

« صلاه الليل تبيّض الوجه ، وصلاه الليل تطيّب الليل ، وصلاه الليل تجلب الرزق ».

سئل الإمام عليّ بن الحسين (عليهما السلام) : ما بال المتهجّدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟ قال : لأنّهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره.

وأمّا العمـل الـذى يحرم الإنسان من توفيق صـلاه الليل ، فقـد جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين (عليه السـلام) فقال : إنّى قـد حرمت الصلاه بالليل ، فقال : « قد قيّدتك ذنوبك ».

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« إنّ الرجل ليكذب الكذبه فيُحرم بها صلاه الليل ».

« إنّ الرجل يذنب الذنب فيُحرم صلاه الليل ، وإنّ العمل السيّئ أسرع فى صاحبه من السكّين فى اللحم » (١).

يـا طـالب العلم ، بـالله عليـك هل تغمض العين فى الأسـحار لمن يقرأ هـذه الآيات القرآنيه والروايات الشـريفه ، ويسـمع حالات علمائنا الأعلام؟!

فمن هـذه الليله توكّل على الله سـبحانه وصـمّم على أن لا تترك صـلاه الليـل ، وعليـك بالـدعاء والمناجـاه والأذكار ، ومن الله التوفيق والسداد والرشاد ، وهو نعم المولى ونعم النصير.



---

١- ١. الروايات من ميزان الحكمه ۵ : ۴۱۶.

وهـذا شـيخنا الأنصـارى (قـدس سـره) إضـافه على العبـادات التى كـان مواظبـاً عليها يومياً إلى آخر عمره الشـريف من الفرائض والنوافل الليليّه والنهاريّه والأدعيه والتعقيبات إضافه على ذلك ، كان يقرأ فى كلّ يوم جزء من القرآن ويصلّى صلاه جعفر الطيّار ويقرأ الجامعه الكبيره وزياره عاشوراء.

وهذا هو العلاّمه الطباطبائى صاحب الميزان يحدّثنا عنه تلميذه ، أنّه كان من أهل الذكر والدعاء والمناجاه ، كنت أراه فى الطريق كان فى الغالب مشتغلا بذكر الله ، وفى الجلسات التى اشتركت فيها بين يديه ، عندما يخيّم السكوت على المجلس كانت شفتاه تتحرّكان بذكر الله ، وكان متلزماً بالنوافل ، وكان أحياناً يرى فى الطريق يصـلّى النافله. كان يحيى ليالى شهر رمضان ، يطالع قليلا ، ويقضى باقى الوقت فى الدعاء وقراءه القرآن والصلاه والأذكار.

وهـذا صـاحب الريـاض على كبر سنّه دخـل الحوزه ، ونـال مـا نـال من العلم بالـدعاء والعبـاده والتوسّل بأهل بيت النبوّه (عليهم السلام).

ولو أردنا أن نـذكر تراجم سـلفنا الصالح فى توجّههم للعباده والدعاء والأذكار لاسـتدعى ذلك إلى مؤلّفات قطوره ، إنّما نكتفى بهذه النماذج الطيّبه ، ومن أراد الله هدايته يشرح صدره للإسلام ولنور العلم النافع والعمل الصالح ، وتكفيه هذه المواعظ إن كان من أهلها ، والله الموفّق والمعين.

ثمّ لاـ يخفى أنّ بعض الطلاّـب بمجرّد أن تعلّم بعض المصـطلحات يبتلى بـالتكبّر ، فيترك جـانب العبـاده مـدّعياً أنّ ذلك شـغل العجـائز ، وأنّه أمرٌ مسـتحبّ ، ولا يـدرى أنّ فطاحل العلم وأساطين الفقه والاُصول كان من دأبهم الـدعاء والعبادات والزيارات ، والبعض الآـخر يـدّعى أنّ العلم هو الحجـاب الأكبر فيفرط فى العبادات غافلا عن العلم والتعليم والتعلّم ، فلا يـدرسون أو يكتفوا بدرس واحد ، ويقضون

أكثر أوقاتهم بالبطاله ، هؤلاء كالصنف الأوّل أخطأوا الطريق أيضاً ، وينطبق عليهما معاً كلام أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « لاـ ترى الجاهـل إلاّـ مفرطاً أو مفرّطاً » ونتيجه ذلـك أنّ الإـفراط والتفريط كلاهما خطأ ، بل كما قال مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) : « اليمين والشمال مضلّه ، والطريق الوسطى هى الجادّه ».

فعلى الطالب أن يسـلك طريقه الاعتدال ، فيشتغل بالدراسه بكلّ جهده وطاقته ويبذل ما فى وسعه فى طلب العلم ، وبجنبه يشتغل بالعبـادات والزيـارات والأـدعيه والأذكـار ، فهمـا جناحان لطالب العلم يحلّق بهما فى آفاق الكمال وسـماء السـعاده ، وهما عباره أُخرى عن الـتزكيه والعلم ، والتربيه والتعليم ، فعبـاده من دون دراسه يجرّه جهله إلى وادى الهلاـك ، وعلم بلاـ عبـاده يؤدّيه إلى وادى الشقاء ، فالعلم والعباده معاً جنباً إلى جنب (١).

قال الله تعالى :

( يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمْهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَهَ ) (٢).



---

١- ١. مقتبس من سيماء الصالحين : ١۴٨.

٢- ٢. آل عمران : ١۶۴ ، الجمعه : ٢.

## الدرس التاسع

### الأمر الخامس عشر : مداراه الناس ورعايه الآداب الاجتماعيه

قال الله سبحانه وتعالى :

( خُذِ العَفْوَ وَأمُرْ بِالعُرْفِ وَأعْرِضْ عَنِ الجاهِلِينَ ) (١).

( فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فى الأمْرِ ) (٢).

( فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الُمحْسِنينَ ) (٣).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) :

« أمرنى ربّى بمداراه الناس كما أمرنى بالفرائض ».

« جاء جبرائيل إلى النبىّ (صلى الله عليه وآله) فقال : يا محمّد ، ربّك يقرئك السلام ويقول لك : دارِ خلقى ».

ص: ۱۴۷

---

۱- ۱. الأعراف : ۹۹.

۲- ۲. آل عمران : ۱۵۹.

۳- ۳. المائده : ۱۳.

« مداراه الناس نصف الإيمان ، والرفق بهم نصف العيش ».

« إنّ الأنبياء إنّما فضّلهم الله على خلقه بشدّه مداراتهم لأعداء دين الله ، وحسن تقيّتهم لأجل إخوانهم فی الله ».

« ثلاث من لم يكنّ فيه لم يتمّ له عمل : ورعٌ يحجزه عن معاصی الله ، وخلقٌ يداری به الناس ، وحلمٌ يردّ به جهل الجاهل ».

يقول أمير المؤمنين علیّ (عليه السلام) :

« المداراه أحمد الخِلال ».

« ثمره العقل مداراه الناس ».

« رأس الحكمه مداراه الناس ».

« مداراه الرجال من أفضل الأعمال ».

« دارِ الناس تأمن غوائلهم وتسلم من مكائدهم ».

« سلامه الدين والدنيا فی مداراه الناس ».

« من داری أضداده أمن المحارب ».

سئل الرضا (عليه السلام) : ما العقل؟ قال : التجرّع للغصّه ، ومداهنه الأعداء ، ومداره الأصدقاء.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « إنّ قوماً من قريش قلّت مداراتهم للناس فنفوا من قريش ، وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس ، وإنّ قوماً من غيرهم حسنت مداراتهم فأُلحقوا بالبيت الرفيع ، ثمّ قال : من كفّ يده عن الناس ، فإنّما يكفّ عنهم يداً واحده ويكفّون عنه أيادی كثيره » (١).



---

١- ١. الروايات من ميزان الحكمه ٣ : ٢٣٨.

طالب العلم يمثّل بزيّه وسلوكه زىّ وسلوك رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، والناس يتقرّبون إليه ويتبرّكون به ويقتدون بفعله ويهتدون بعمله وقوله ، فهو الأُسوه والقدوه ، والقائد الناجح الموفّق من كان يحمل صدراً رحباً وسيعاً ، وخُلقاً سمحاً ، وروحاً لطيفه شفّافه ، وأحاسيس ظريفه مرهفه ، يحسّ آلام الناس ويعيش مشاكلهم وقضاياهم ، ويشاورهم فى الأمر ، يفتح لهم صدره ويستقبلهم بثغر باسم ، ووجه بشوش ، وقلب عطوف رؤوف.

فلا بدّ له أن يراعى شعور الناس ويداريهم بخير مداراه ، فإنّ التودّد إلى الناس نصف العقل ، وربما يضيّع علمه بسوء خلقه ، وحتّى أهله وعياله لا بدّ لهم حفظاً لمقام والدهم من مراعاه الآداب والأحكام الشرعيّه.

فحسن الخلق ورعايه آداب المعاشره والقضايا الاجتماعيه أصل مهمّ فى حياه طالب العلم ، وكان سلفنا الصالح يبالغون فى حفظ ذلك ، ورعايه حال الناس لا سيّما الفقراء والمحرومين.

يقول شيخنا الأُستاذ آيه الله الشيخ فاضل اللنكرانى دام ظلّه : رافقت اُستاذى آيه الله العظمى السيّد البروجردى عليه الرحمه إلى المياه المعدنيّه فى مدينه محلاّت ، وهى تنفع لعلاج آلام العظام والمفاصل ، وكان السيّد الأُستاذ مصاباً بألم فى رجله. بقينا هناك عدّه أيّام وكان الناس يزورون السيّد بشوق ولهفه ، فأمر السيّد بشراء كمّيه من الأغنام وذبحها وتوزيع لحمها بين الفقراء ، وعزلوا شيئاً من اللحم لطعام الظهر يعملون منه كباباً للسيّد ، وحينما وضعوا الكباب فى المائده اكتفى السيّد بخبز ولبن وخيار ، ولم يأكل من الكباب ، قالوا للسيّد بأنّ الفقراء أخذوا سهمهم ، وهذا من حقّكم. فأجاب السيّد : من المستحيل أن آكل من كباب استنشق رائحته الفقراء ، فتركنا أكل الكباب احتراماً للسيّد واُعطى للفقراء مرّه اُخرى.

قیـل لبعض العرفـاء المرتاضـین : إنّ رجلاـ من المتصـوّفه بلـغ فی ترویضه لنفسه إلی حـدّ أنّه یمشـی علی المـاء! فقـال العـارف : وکـذلک یفعله الضـفدع. فقیل له : وإنّ واحـداً منهم یطیر فی الهواء! فقال : وکذلک یفعله الذباب. قیل له : ومنهم من یسـیر من بلد إلی بلد فی لحظه بطیّ الأرض! فقال : وکذلک یفعل الشـیطان ، یسـیر من المشـرق إلی المغرب ، ثمّ قال : لیس بهذه الأشیاء قیمه الرجل ، بل الرجل کلّ الرجل مَن کان یخالط الناس بحسن ویعاشرهم بمعروف ویخدمهم ولا یغفل عن الله طرفه عین.

وإلیک ما فعله العلاّمه آیه الله السـیّد محسن العاملی صاحب (أعیان الشیعه) ، فإنّه کان یمشی خلف جنازه أحد کبار علماء السنّه فی سوق الحمیدیه بالشام ، ثمّ صـلّی علیه فی المسـجد الاُموی ، ثمّ أقبل الناس یقبّلون ید السیّد. فسئل السیّد : کیف هؤلاء السنّه یقبّلون یدک؟ فأجاب : هذه ثمره حسن معاشـرتی مع الناس لمدّه عشره أعوام ، فإنّی لمّ_ا قدمت إلی الشام حرّض بعض الجهله أشـدّ الأعـداء علیّ ، فکـان أطفالهم یرموننی بالحجاره ، وأحیانا یجرّوا عمامتی من الخلف ، ولکنّی صبرت علی الأذی وعاملتهم بلطف وإحسان ، وشارکت فی تشییع جنائزهم ، وعدت مرضاهم ، وتفقّدت أحوالهم ، کنت أبتسم معهم دائماً اُظهر لهم حنانی ، إلی أن استبدلوا العداء بالمحبّه (۱).

وهاک ما فعله العلاّمه المجلسـی (قدس سره) عندما التجأ إلیه أحد المؤمنین بأنّ جاره من المطربین وشقاوات إصفهان یؤذیه فی اللیالی ، فطلب منه العلاّمه أن یدعوهم إلی العشاء ویحضر هو أیضاً ، ولمّ_ا دخل المطربون المجلس وجدوا فی زاویه الدار



---

۱- ۱. قصص وخواطر : ۱۲۷.

العلاّمه المجلسی ، فتعجّب من حضوره ، فجلس بجواره ، فأراد أن یسخر من العلاّمه لیضحک أصحابه علیه فقال : یا شیخ ، سجاباکم أفضل أم سجایانا؟ فإنّا وإن کنّا من الفاسقین إلاّ أنّ لنا صفه وسجیّه تفقدونها أنتم المؤمنون. فقال العلاّمه : وما هی؟ فقال : نحن معاشر الشقاوات من أخلاقنا أنّه إذا أکلنا من طعام أحد لا نکسر مملحته ولا نخونه (کنایهً عن رعایه الذمّه والملح وعدم الخیانه بمال وناموس مَن یأکلون زاده). فقال له الشیخ : لا تصدق فی کلامک. فغاض الشقیّ وقال : أنا وأصحابی کلّنا ملتزمون بهذه السجیّه ، فإمّا أن تثبت خلاف ذلک وإلاّ... فأجابه العلاّمه : یا هذا ، ألست طیله عمرک تأکل ملح الله وزاده وتکسر المملحه وتخالفه وتعصیه؟! ما أن سمع الرجل هذه الکلمه التی خرجت من الأعماق ، إلاّ وارتعدت فرائصه وأمر حاشیته بالخروج من المجلس ، وعند السحر أتی العلاّمه مع جماعته ، وقال له : یا شیخ ، حتّی الفجر فکّرنا فی مقولتک هذه ، فوجدنا الحقّ معک وکسرنا المملحه ، وهذه لیست من شیمتنا ، والآن أتیناک تائبون مستغفرون ، فهل لنا توبه؟ فرحّب بهم العلاّمه ، واهتدی هو وأصحابه علی یدیه ، فحسن حالهم (1).

وقد دخل سارق بیت أحد العلماء ، فأخذ یفتّش فی کلّ زاویه من البیت فلم یجد شیئاً ، فلمّا همّ بالخروج ناداه العالم : إنّک جئت فی طلب الدنیا فلیس عندنا منها شیء ، فهل ترید من الآخره؟ فقال السارق : نعم ، فاحتضنه العالم وعلّمه التوبه حتّی أسفر الصباح ، وبعد الصلاه ذهب إلی المسجد للدرس ، فسأل التلامذه عن الرجل ، فأجاب : أراد أن یصیدنی ولکنّی اصطدته فجئت به إلی المسجد ، وهکذا أصبح السارق من التائبین المؤمنین.



---

۱- ۱. قصص العلماء : ۲۳۳.

وما أجمل المنطق الـذى تحلّى به شـيخنا الأعظم الأنصارى ، حينما اجتمع تجّار بغـداد يوماً وجمعوا من أموالهم مبلغاً ، فجاؤوا به إلى الشـيخ وقالوا : هـذا المال ليس من الحقوق الشـرعيّه (الخمس والزكاه) ، إنّما هو تبرّع وهـديّه منّا إليك لتحسن به معيشـك وترتـاح فى أواخر عمرك. رفض الشـيخ ذلـك وقـال : يؤسف علىّ بعـد عمر من مواسـاه الفقراء أن أعيش غنيّاً فى آخر العمر ، فيمحى اسمى من قائمه الفقراء ، وأتخلّف عن مكانتهم الساميه التى أعدّها الله لهم يوم القيامه فى جنّه عرضها السماوات والأرض (۱).

وإليـك هـذه الحكـايه الرائعه عن سـلوكيّه مرجع من مراجعنا العظام : حكى أحـد العلماء : كنت جالساً قرب تلّ الزينبيّه وبجانبى رجلٌ واقف ، وفى الأثناء وقعت عينى على المرحوم آيه الله العظمى السيّد أبى الحسن الإصـفهانى أكبر مرجع زمانه للشـيعه ، قد خرج مع مرافقيه من حرم الإمام أبى عبد الله الحسـين (عليه السلام) ، والتفتّ فجأه إلى الرجل الذى كان واقفاً عندى فرأيته انطلق منفعلا نحو السيّد الإصـفهانى وهو يقول بصوت عال : « سوف أشـتمه بئس شتيمه » وبعد دقائق رأيته عاد باكياً عليه آثار الخجل والنـدامه! سألته عن السـبب لهـذه المفارقه بين الموقف الأوّل وهذا الموقف؟ فأجاب : لقد شـتمت السـيّد حتّى باب منزله ، وعند الباب طلب منّى الانتظار ، فرجع وبيـده مبلغاً من المال ، أعطانى ذلك وقال لى : راجعنا لدى كلّ مضـيقه تعترضك ، إذ أخشـى أن تراجع غيرنا فلا يقضى حاجتك ، ولى إليك حاجه ، هى أنّنى أتحمّل كلّ شتيمه موجّهه إلىَّ شخصياً ، ولكن أرجوك أن لا تشتم عرضى وأهل بيتى ، فإنّى لا أتحمّل ذلك (۲). وبمثل هذا الخلق الرفيع تغيّر الرجل.

ص: ۱۵۲

---

۱- ۱. المصدر : ۱۹۸.

۲- ۲. قصص وخواطر : ۲۲۲.

وأمّا سيّدنا الأُستاذ آيه الله العظمى السيّد النجفى المرعشى (قدس سره) ، فأتذكّر يوماً أنّه حينما كان صدّام اللعين يقصف مدينه قم المقدّسه وأكثر مدن إيران بالصواريخ والقذائف ، وقد خرج أهالى قم من المدينه خوفاً ورعباً وحفظاً للنفوس ، بقى سيّدنا لابثاً مع من كان ، وكان يركب من قبل السياره من داره إلى الحرم الشريف لأداء صلاه الجماعه ، ولكن فى تلك الأيّام العصيبه ، على كبر سنّه وشيخوخته ، كان يأتى إلى الحرم الشريف فى مواعيد الصلاه مشياً على الأقدام ، فسئل عن ذلك؟ فأجاب : أُريد أن يرانى الناس حتّى تطمئنّ القلوب ويرتاح البال ولو جزءاً يسيراً.

كنت جالساً فى غرفته بجواره ، فدخل عليه رجل طاعن فى السنّ من عوامّ الناس ، فقال بعد السلام والترحيب : سيّدى ، اُعرّفك بنفسى ، أنا غلام الدلّاك ، وأودّ أن أذكر لك قصّه من حياتك ، كنت دلّاكاً فى حمّـام عامّ ، وكنت أيّام شبابك تأتى مع أولادك الصغار السيّد محمود والسيّد جواد إلى ذلك الحمّـام ، فدخلتم يوماً ورأيت أطفالا فسألتنى عنهم ، فأخبرتكم أنّهم أيتام ، فقلت لأولادك لا تنادونى بكلمه (بابا) رعايهً لمشاعر هؤلاء اليتامى ، ثمّ أعطيتنى نقوداً لأشترى لهم لوازم قرطاسيه لمدرستهم ، فاشتريت لهم ذلك. أجل ، لم يكن بينه وبين الناس حاجب ، كان بابه مفتوحاً دائماً للوافدين والمراجعين ، رجالا ونساءً ، لا أنسى تلك الساعه التى كنت عنده قبل رحلته بيومين حينما دخلت عليه عجوز لأداء خمسها ، فطلبت منه أن يشفع لها يوم القيامه ، فقال (قدس سره) : إن كنت من أهل الشفاعه سأشفع لكِ. كان شفيقاً بأعدائه ، فكيف لا يدارى أحبّائه وأصدقائه؟

حدّثنى يوماً عمّـا جرى عليه من حسّاده وأعدائه ، حيث كان يأتمّ به عشرات الصفوف فى الصحن الشريف ، وآل الأمر إثر وشايه الأعداء وسعايه الحسّاد أن يأتمّ به نفرٌ قليلٌ من المؤمنين ، فصبر وقاوم حتّى عادت الاُلوف تصلّى

خلفه. قـال : فی تلـک الأیّام المرّه دخلت مجلساً ، کان فیه شـخص من المعمّمین ، فجلست بجنبه ، ولکن من شـدّه عـداوته أدار ظهره علیَّ أمـام النـاس ، فهضـمت ذلـک فی نفسـی واحتسـبتها لله ، وحینما أردت الخروج ، من حیث لا یشـعر ألقیت فی حجره بعض المال ، وبعـد هذا کان یحدّث الناس أنّه فی تلک اللیله لم یکن عنده شـیء من المال وکان فی حیره ، وأنّه من کراماته قد وجـد مالا فی حجره ، ولم یشـعر أنّه أنا الـذی وضـعت فی حجره المال. کان یقضـی حوائـج الناس بالمقـدار الممکن ، ولا تثنی عزیمته کبر سنّه ، ولا الأمراض والأسـقام ، ولا الهموم والأحزان ، ولا القیل والقال ، بل بکلّ صـلابه وقوّه وحول من الله سـبحانه یقـاوم المصـاعب والمشاکـل. فکـان خیر مثـال للخلق الاجتماعی ، وأفضل آیه للآداب الاجتماعیه ومـداراه الناس ، وبمثل هؤلاء الفقهـاء العظـام وعلمائنا الکرام نقتـدی ونتأسّـی فی رعایه حقوق الآخرین ، وملاطفه الناس ، وإداره شؤونهم ، بثغر باسم ، ووجه بشوش ، وصدر رحب ، وقلب وسـیع ، وأخلاق رفیعه ، وسـجایا حمیده ، نتقرّب إلی الله سـبحانه بذلک ، ولنا اُسوهٌ حسنه برسول الله (صلی الله علیه وآله) : ( وَإِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظیم ) (1).

الله الله فی مـداراه النـاس ، والتواضـع فی المجتمـع ، فمـا أعظم الإمـام الخمینی ، مـع علوّ مقـامه الشامـخ یتواضع للمجاهـدین فی الجبهات قائلا : اُقبّل أیادیکم وسواعدکم ، لأنّ الله معها ، وأفتخر بذلک.

ویقول سماحته مخاطباً نوّاب مجلس الشوری الإسلامی : فکّروا جمیعاً بالناس دائماً ، هؤلاء هم عباد الله ، هؤلاء هم الذین یقتلون الآن علی الحدود ، هم الذین یواجهون صعوبات الحرب ، وهم الذین تشرّدوا ، وهم یعیشون فی هذه الأماکن



---

۱- ۱. القلم : ۴.

وهـذه الخيم دون أبسـط المقوّمات ، هؤلاء هم عباد الله وهم أفضل ، هم أفضل منّى ، ويحتمل أن يكونوا أفضل منكم ، فلماذا لا نفكّر بهم دائماً.

كـان يقول (قـدس سـره) : « أنـا طلبه » أى طـالب علم ، أنـا خـادم الناس ، لا تقولوا لى قائـداً ، يا ليتنى كنت أحـد حرّاس الثوره الإسلاميه ...

وهـذا الآخونـد الخراسانى المحقّق الكبير كان متواضـعاً جدّاً خصوصاً مع أهل العلم ، كان يبادر أصـغر الطلّاب بالسـلام ، ويقف لهم فى المجـالس احتراماً ، كان يجلّ أهل العلم كثيراً. وعنـدما يطرق أحـد الطلبه داره بعـد منتصف الليل ليرسل خادمه معه إلى قابله لوضع حمل زوجته ، فيأبى الآخونـد على أنّ الخادم نائم وأنا شخصـيّاً أذهب معك ، فيـذهب معه حاملا الفانوس ينتقل معه من زقاق إلى زقاق حتّى قضى حاجته.

وهذا الشـيخ الأنصارى الشـيخ الأعظم كان يدارى الناس ويعاملهم معامله جميله ، لا سـيّما طلّاب العلوم الدينيه ، فى بعض الأيّام كان يتأخّر عن وقت الدرس المحدّد ، فسئل عن سبب ذلك؟ فأجاب : أحد الساده الهاشميّين يحبّ دراسه العلوم الدينيّه ، وفاتح بـذلك عـدّه أشـخاص ليـدرّسوه المقدّمات ، إلّا أنّ أحداً منهم لم يوافق ، واعتبروا أنّ شأنهم أجلّ من أن يتصدّوا لهذا الدرس ، وقد تولّيت تدريسه.

رأى أحـد زوّار أمير المؤمنين (عليه السـلام) المقـدّس الأـردبيلى فى الطريق ولم يعرفه ، وكـان ذلك الزائر يبحث عمّن يغسل له ثيابه ، فقال للمقـدّس : خـذ ثيابى واغسـلها وائتنى بها ، فأخـذها وغسـلها وجاء بها ليدفعها إليه ، فعرف بعض من كان بما جرى ، فعاتب ذلك الزائر وأنكر عليه ، فقال المقـدّس (قدس سـره) : ولِمَ تلومه ، وماذا حدث؟ إنّ حقوق المؤمن على المؤمن أكثر من هذا بكثير.

كان العلّامه الشـيخ محمّـد جواد البلاغى (رحمه الله) يتواضع لله ، فكان يـذهب بنفسه إلى السوق ويشترى ما يحتاجه ويحمله فى الشارع والزقاق كسائر الناس ، ولم يكن

يرضى أبداً أن يساعده أحد فى شؤونه ، وكان يقول : المرء أولى بحمل متاعه _ كما ورد فى الخبر الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) _.

كان مراجعنا الكرام من تواضعهم يصدّرون أسمائهم فى التوقيع بقولهم : الأحقر ، أقلّ الطلّاب ، وكان صدر المتألّهين يكتب بعض الفقراء من الاُمّه المرحومه.

كان آقا رضا الهمدانى ، ذلك الرجل المحقّق الكبير ، من شدّه تواضعه يقوم للطلّاب جميعهم حتّى فى أثناء الدرس ، وكان يشترى لوازم بيته بنفسه ، ويعيش بين الناس ، وهكذا رجال الدين اقتداءً برسول الله من الناس وإلى الناس ومع الناس ، كان فينا كأحدنا ، من دون امتياز واستعلاء ، بل فى خدمه الناس ، فخير الناس من نفع الناس ، تقرّباً إلى الله تعالى ، وبهذا يمتاز طالب العلم فى سيرته الأخلاقيه عن الباقين.

فرجل الدين يحمل هموم الناس : ( حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ ) .

فيعاملهم معامله الأب العطوف الذى يتمنّى لأبنائه الصالحين السعاده الأبديّه. ويشهد التأريخ أنّ أنفع الناس للناس ، وأشدّهم خدمةً لهم ، يشاركونهم فى أفراحهم وأحزانهم بعد الأنبياء والأوصياء هم العلماء ، فإنّهم تحمّلوا المشاقّ والصعاب وواجهوا التحدّيات وأنواع الجور والظلم والجنايات ، وبذلوا جهوداً جبّاره فى خدمه الناس وحلّ مشاكلهم ، وفى سبيل تحريرهم من نير الفقر والظلم ، وإحياء القيم الإلهيه والإنسانيه ، ووضع إصر الأغلال عن الناس.

فالعالم جماهيريّ العقليّه والروح ، يكنّ بين أضلعه حبّ الناس.

كان والدى (قدس سره) حينما تسأله والدتى عن كثره لقائه بالناس ليل نهار ، فكان فى خدمتهم حتّى منتصف الليل ، فأجابها تكراراً : من حين لبسنا هذا الزىّ _ العمّه والعباءه _ فإنّا وقف للناس ، وصاحب الزمان (عليه السلام) يرضى منّا بذلك.

كان الشيخ زين العابدين المازندرانى من أوتاد الأرض ، يروى ولده أنّه

یوماً جاءته امرأه بعد صلاه المغرب ، وبعد سویعه تحرّک والدی وذهب إلی بیت ، فطرق الباب فخرج صاحب مقهی ، ما أن رأی الشیخ إلّا انحنی علی یده یقبّلها ، فأمره الشیخ أن یرجع زوجته ، فعرفنا أنّ الرجل قد طلّق زوجته مع أنّ لها أولاد وأخرجها من المنزل ، فاستنجدت بالشیخ لیتوسّط لها مع زوجها ، فرجع إلیها.

وعندما طغی الماء فی کربلاء خرج الشیخ من المدینه وبدأ بنقل التراب بعباءته لیضعه فی طریق الماء ، فعندما رأی الناس ذلک من الشیخ خرجوا جمیعاً ینقلون التراب ، فأقاموا سدّاً بقی لعدّه سنوات.

کان الشیخ الأعظم کاشف الغطاء یرهن بیته من أجل الفقراء والمساکین ، وکان الشیخ الأنصاری آیه فی مساعده الفقراء والمحرومین ، کان یصلّی استیجاراً لیسهّل علیهم إمرار المعاش ولقمه العیش.

فیا طالب العلم ، الله الله بمداراه الناس وخدمتهم ، لا سیّما البؤساء والفقراء ، فهم عیال الله سبحانه وتعالی ، فکن مبارکاً ومنشأً للخیرات والمبرّات والمشاریع الخیریّه والاجتماعیه ، وعند الله الحساب ، جنّات عدن تجری من تحتها الأنهار ورضوان الله أکبر ، ولمثل هذا فلیعمل العاملون ، ولیتنافس المتنافسون.

فرجل الدین کالأنبیاء دائماً یفکّر فی الناس ، ویعیش مثل أفقرهم.

من طریف ما یحکی عن حیاه السیّد الإمام (قدس سره) ، أنّه عندما کان قبیل انتصار الثوره الإسلامیه فی إیران کان فی ضاحیه باریس ، وظهرت أزمه نفط فی إیران ، فلم یعد باستطاعه الناس تدفئه بیوتهم إلّا بمشقّه وعسر ، قال الإمام : اترکوا غرفتی بدون تدفئه مواساهً للناس (۱). وجاءه شخص وقال له : إنّ عباءتی ممزّقه فساعدنی ،



۱ – ۱. سیماء الصالحین : ۳۸۵ ، وفی هذا الکتاب قصص نافعه وکثیره ، اُوصی الطلّاب بمطالعته ولو تکراراً کما فعلت. ومثله کتاب (قصص العلماء) للمحقّق التنکابنی ، و (قصص وخواطر).

فتناول الإمام عباءته وقال له : اُنظر إنّ عباءتی أيضاً ممزّقه.

كان صاحب المعالم ابن الشهيد الثانی (رحمهما الله) لا يدّخر أبداً ما يزيد على قوته لمدّه اُسبوع ، مواساةً للفقراء والمحتاجين وحرصاً على عدم التشبّه بالأثرياء.

وكان صدر المتألّهين يقول : حيث إنّ قسماً من الذنوب ينشأ من كثره الأكل والاهتمام بالبطن ، فيجب التقليل من الطعام ، وكان دائماً يردّد بيتاً لسعدى ــ الشاعر الإيرانی ــ مضمونه : (إبقِ داخلك خالياً من الطعام ، لترى فيه نور المعرفه). كان يعيش البساطه ، وكان يتحدّث مع الناس مباشرةً ومن دون حاجب وكاتب.

بلغ زهد الوحيد البهبهانی حدّاً بحيث أنّ ثيابه كانت من (الكرباس الردی) ــ نوع من القماش ينسج باليد ــ وغالباً ما كانت زوجته المكرّمه هی تهيّؤها وتنسجها ، ولم يكن يرغب أبداً بألبسه الدنيا وأقمشتها.

لم يبالِ أبداً بجمع زخارف الدنيا التی كانت فی متناول أصغر طلّابه وبأدنى التفاته منه ، اعتزل الذين يكنزون الذهب ، اجتنب معاشرتهم ومحادثتهم ، وكان يأنس بالفقراء ويواسيهم فی مأكلهم وملبسهم ، وكان يطلب من اُسرته أن يراعوا ذلك لكی يقتدی الناس به وبعائلته ، ولا ـ ينتقدوا اُسره الروحانيين ، كما نرى ومع كلّ الأسف هذه الظاهره الخطره على الحوزه والعلماء والدين فی مجتمعنا الحاضر.

اللهمّ أصلح كلّ فاسد من اُمور المسلمين ، ووفّقنا وعوائلنا للزهد والعلم النافع والعمل الصالح.

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ***تالله ما لخراب الدهر عمران

ودع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ***فصفوها كِدرٌ والوصل هجران

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ***فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

## الدرس العاشر

### الأمر السادس عشر : الزهد والحياه المتواضعه

قال الله سبحانه وتعالى :

( إذْ تصْعدونَ وَلا تَلــْوونَ عَلى أحَد وَالرَّسولُ يَدْعوكُمْ فى اُخْراكُمْ فَأثابَكُمُ غَمَّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أصابَكُمْ وَاللهُ خَبيرٌ بِما تَعْمَلونَ ) (١).

( لِكَيْلا تَأسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحوا بِما آتاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتال فَخور ) (٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى قول الله تعالى : ( وَآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيًّا ) ، يعنى الزهد فى الدنيا. وقال الله تعالى لموسى : « يا موسى ، إنّه لن يتزيّن المتزيّنون بزينه أزين فى عينى مثل الزهد » ، « ما اتّخذ الله نبيّاً إلاّ زاهداً ».

ص: ١٥٩

---

١- ١. آل عمران : ١٥٣.

٢- ٢. الحديد : ٢٣.

وورد فى الخبر : « العلماء ورثه الأنبياء » ، وهذا يعنى أنّ كلّ عالم لا بدّ أن يكون زاهداً ، فإنّه يرث النبىّ فى زهده ، وإذا أراد أن يتوفّق فى حياته العلميّه فمن أقرب الوسائل الزهد. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « النار لمن ركب محرّماً ، والجنّه لمن ترک الحلال ، فعليک بالزهد ، فإنّ ذلک ممّا يباهى الله به الملائکه ، وبه يقبل الله عليک بوجهه ، ويصلّى عليک الجبّار ».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) :

« الزهد أقلّ ما يوجد وأجلّ ما يعهد ، ويمدحه الکلّ ويترکه الجُلّ ».

« الزهد شيمه المتّقين وسجيّه الأوّابين ».

« الزهد متجر رابح ».

« إنّ علامه الراغب فى ثواب الآخره زهده فى عاجل زهره الدنيا ».

« الزهد أصل الدين ».

« الزهد ثمره الدين ».

« الزهد أساس اليقين ».

« عليک بالزهد فإنّه عون الدين ».

« إنّ من أعون الأخلاق على الدين الزهد فى الدنيا ».

« الزهد کلّه فى کلمتين من القرآن ، قال الله تعالى :

( لِکَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَکُمْ وَلا تَفْرَحوا بِما آتاکُمْ ) .

فمن لم يأسَ على الماضى ولم يفرح بالآتى فهو الزاهد ».

« أيّها الناس ، إنّما الناس ثلاثه : زاهد وراغب وصابر ، فأمّا الزاهد فلا يفرح بشىء من الدنيا أتاه ولا يحزن على شىء منها فاته ، وأمّا الصابر فيتمنّاها بقلبه فإن أدرک منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها ، وأمّا الراغب فلا يبالى

من حلٍّ أصابها أم من حرام ».

« يا ابن آدم ، لا تأسف على مفقود لا يردّه إليك الفوت ، ولا تفرح بموجود لا يتركه فى يديك الموت ».

« الزهد تقصير الآمال وإخلاص الأعمال ».

« أصل الزهد حسن الرغبه فيما عند الله ».

« أيّها الناس ، الزهاده قصر الأمل والشكر عند النعم ، والتورّع عند المحارم ، فإن عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم ».

قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

« جُعِل الخير كلّه فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا ».

عماد طالب العلم زهده فى الدنيا ، ولا بدّ له من ذلك ، فإنّ ما يطلبه هو علم الآخره ، علم الله والأنبياء والأولياء ، ولا يتأتّى ذلك مع الرغبه بما يكرهه الله ، وإنّ الله ليبغض الدنيا الدنيّه وزخرفها وزبرجها ، فهى التى تبعد عباده عن ساحه قدسه وفيض لقائه ، فيحبّ من زهد فيها ، ورسول الله يقول :

« الزهـد فى الدنيـا قصر الأمر وشكر كلّ نعمه ، والورع عن كلّ ما حرّم الله ».

« الزهد ليس بتحريم الحلال ، ولا إضاعه المال ، ولكنّ الزهاده فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق منك بما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبه إذا أنت أُصبت بها أرغب فيها لو أنّها أُبقيت لك ».

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : الزهد مفتاح باب الآخره ، والبراءه من النار وهو تركك كلّ شىء يشغلك عن الله ، من غير تأسّف على فوتها ولا إعجاب فى تركها ، ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمده عليها ، ولا عوض منها ، بل ترى

فوتها راحه وكونها آفه ، وتكون أبداً هارباً من الآفه ، معتصماً بالراحه.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سئل عن الزاهد فی الدنیا؟ قال : الذی یترک حلالها مخافه حسابه ، ویترک حرامها مخافه عذابه.

ویقول زین العابدین (علیه السلام) : إنّ علامه الزاهدین فی الدنیا الراغبین فی الآخره ترکهم کلّ خلیط وخلل ، ورفضهم کلّ صاحب لا یرید ما یریدون ، ألا وإنّ العامل لثواب الآخره هو الزاهد فی عاجل زهره الدنیا.

عن النبیّ (صلی الله علیه وآله) فی حدیث أنّه قال : قلت : یا جبرائیل : فما تفسیر الزهد؟ قال : الزاهد یحبّ من یحبّ خالقه ویبغض من یبغض خالقه ، ویتحرّج من حلال الدنیا ولا یلتفت إلی حرامها ، فإنّ حلالها حساب وحرامها عقاب ، ویرحم جمیع المسلمین کما یرحم نفسه ، ویتحرّج من الکلام کما یتحرّج من المیته التی قد اشتدّ نتنها ، ویتحرّج عن حطام الدنیا وزینتها کما یتجنّب النار أن تغشاه ، ویقصر أمله ، وکان بین عینیه أجله.

یقول الإمام الصادق (علیه السلام) : الزاهد الذی یختار الآخره علی الدنیا ، والذلّ علی العزّ ، والجهد علی الراحه ، والجوع علی الشبع ، وعاقبه الآجل علی محبّه العاجل ، والذکر علی الغفله ، ویکون نفسه فی الدنیا وقلبه فی الآخره.

قال أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) : « لا یکون زاهداً حتّی یکون متواضعاً ».

« ویقول فی صفه الزهّاد ، کانوا قوماً من أهل الدنیا ولیسوا من أهلها ، فکانوا کمن لیس منها ، عملوا فیها بما یبصرون ، وبادروا فیها ما یحذرون ، تقلّب أبدانهم بین ظهرانیّ أهل الآخره ، یرون أهل الدینا یعظمون موت أجسادهم ، وهم أشدّ إعظاماً لموت قلوب أحبّائهم ».

« إنّ الزاهدین فی الدنیا تبکی قلوبهم ، وإن ضحکوا أو یشتدّ حزنهم وإن

فرحوا ، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا ».

هـذه بعض صـفات الزاهـدين ، ولا بـدّ لأهل العلم منها ، ومقـدّمتها التفكّر والتزهّد ، بمعنى أن يلقى نفسه فى الزهد حتّى يزهد ، وهذا حكم جار فى كلّ الصفات الحميده ، فإنّ الحليم فى بدايه أمره يتحلّم حتّى يحلم.

ويقول أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« أوّل الزهد التزهّد ».

« التزهّد يؤدّى إلى الزهد ».

وأصل الزهد اليقين وحسن الرغبه فيما عند الله ، وثمرته السعاده ، وإنّما يزهد الإنسان بمقدار علمه بالله سبحانه ، وكيف يزهد فى الدنيا من لا يعرف قدر الآخره؟

ويقول أمير المؤمنين على (عليه السـلام) فى وصـيّه لولـده الإمـام الحسن (عليه السـلام) : « أكثر ذكر الآـخره ومـا فيهـا من النعيم والعذاب الأليم ، فإنّ ذلك يزهدك فى الدنيا ، ويصغّرها عندك وقد نبأّك عنها ، ونعتت لك نفسها ».

« من صوّر الموت بين عينيه هان امر الدنيا عليه ».

« أحزمكم أزهدكم ».

يقول الإمام الباقر (عليه السلام) : أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلاّ زهد فى الدنيا.

وعن مولانا الكاظم (عليه السـلام) ، عند قبر حضـره : إنّ شـيئاً هذا آخره لحقيقٌ أن يزهد فى أوّله ، وإنّ شـيئاً هذا أوّله لحقيقٌ أن يخاف آخره.

ثمّ الزهد كلّى مشكّك له مراتب طوليّه وعرضيّه ، يتعرّض لها علماء السير والسلوك والأخلاق.

ص: ١٦٣

وقد ورد عن الإمام زين العابدين (علیه السلام) : الزهد عشره أجزاء فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع ، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين ، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا ... ».

وأمّا ثمرات الزهد وآثاره فی حیاه المؤمن ولا سیّما طالب العلم فأوّلها :

الحکمه والعلم المبارک النافع ، والمخزون فی القلوب والنفوس من لدن حکیم علیم.

قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) لأبی ذرّ : « یا أبا ذرّ ، ما زهد عبدٌ فی الدنیا إلاّ انبت الله الحکمه فی قلبه وأنطق بها لسانه ، ویبصّره عیوب الدنیا وداءها ودواءها ، وأخرجه منها سالماً إلی دار السلام ».

« من یرغب فی الدنیا فطال فیها أمله أعمی الله قلبه علی قدر رغبته فیها ، ومن زهد فیها فقصر فیها أمله أعطاه الله علماً بغیر تعلّم ، وهدیً بغیر هدایه ، وأذهب عنه العماء وجعله بصیراً ».

« یا أبا ذرّ : إذا رأیت أخاک قد زهد فی الدنیا فاستمع منه ، فإنّه یلقی الحکمه ».

یقول أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) : « من زهد فی الدنیا ولم یجزع من ذلّها ، ولم ینافس فی عزّها هداه الله بغیر هدایه من مخلوق ، وعلّمه بغیر تعلیم ، وأثبت الله الحکمه فی صدره وأجراها علی لسانه ».

ومن ثمرات الزهد شرح الصدر ، فقد قال رسول الله (صلی الله علیه وآله) فی قوله تعالی : ( أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلی نُور مِنْهِ ) ، إنّ النور إذا وقع فی القلب انفسخ له وانشرح. قالوا : یا رسول الله ، فهل لذلک علامه یعرف بها؟ قال : التجافی عن دار الغرور ، والإنابه إلی دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت.

ومنهـا : المكاشـفه ورؤيه ملكوت الأشـياء وحقائقهـا كمـا هى ، وإنّ علمائنـا الأعلاـم نـالوا فى هـذا المقام درجات من الحـديث المستصـعب ، أعطاهم الله الكرامات والمقامات الرفيعه وفتح سمعهم وأبصارهم ، فكانوا يسمعون ما لا يسمع غيرهم ويبصرون ما لا يبصر غيرهم.

عن سـلام ، قال : كنت عند أبى جعفر (عليه السـلام) فدخل عليه حمران بن أعين ، فسأله عن أشـياء ، فلمّا همّ حمران بالقيام قال لأبى جعفر (عليه السـلام) : أُخبرك أطال الله بقاك وأمتعنا بك ، أنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى ترقّ قلوبنا وتسـلوا أنفسنا عن الـدنيا ، ويهون علينا ما فى أيـدى الناس من هـذه الأموال ، ثمّ نخرج من عنـدك ، فإذا صـرنا مع الناس والتجّار أحببنا الدنيا؟ فقـال أبو جعفر (عليه السـلام) : إنّمـا هى القلوب مرّه يصـعب عليهـا الأـمر ومرّةً يسـهل. ثمّ قـال أبو جعفر (عليه السـلام) : أما إنّ أصـحاب رسول الله (صـلى الله عليه وآله) قالوا : يا رسول الله ، نخاف علينا النفاق! قال : فقال لهم : ولِمَ تخافون ذلك؟ قالوا : إنّا إذا كنّا عنـدك فذكرتنا روعنا ووجلنا ونسـينا الدنيا وزهدنا فيها حتّى كأ نّا نعاين الآخره والجنّه والنار ، ونحن عندك. وإذا دخلنا هـذه البيوت وشـممنا الأولاـد ورأينا العيال والأهل والمال يكاد أن نحوّل عن الحال التى كنّا عليها عنـدك ، وحتّى كأ نّا لم نكن على شـىء؟ أفتخـاف علينـا أن يكون هـذا النفـاق؟ فقـال لهم رسول الله (صـلى الله عليه وآله) : كلّا ، هـذا من خطوات الشـيطان ليرغّبكم فى الدنيا ، والله لو أنّكم تدومون على الحال التى وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكه ومشيتم على الماء ».

وفى خبر آخر : « لولا هيام الشياطين على قلوبكم لرأيتم ما أرى ولسمعتم ما أسمع ».

قال الحواريّون لعيسى (عليه السلام) : ما لَكَ تمشى على الماء ونحن لا نقدر على ذلك؟

ص: ١٦٥

فقال لهم : وما منزله الدينار والدرهم عندكم؟ قالوا : حسن. قال : لكنّهما عندی والمدر سواء.

ومن ثمرات الزهـد تسـهیل الطریق إلی الله سـبحانه ، فإنّ أمیر المؤمنین علی (علیه السـلام) یقول : « العلم یرشدک إلی ما أمرک الله به ، والزهد یسهّل لک الطریق إلیه ».

ومن ثمراته : معرفه الدنیا وعیوبها ، عن أمیر المؤمنین : « إزهد فی الدنیا یبصّرک الله عوراتها ، ولا تغفل فلست بمغفول عنک ».

ومن ثمراته : أنّ کلّ واحد یجب أن یکون من الصلحاء فی حیاته ، وأن یصلح حاله ودنیاه وآخرته ، فمفتاح الصلاح الزهد ، قال أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) : « الزهد مفتاح صلاح ، الورع مصباح نجاح ».

ومنهـا : نزول الرحمـه وشـمولها ، فعـن أمیر المـؤمنین (علیه السـلام) : « إزهـد فی الـدنیا تنزل علیـک الرحمه » ومعلـوم أثر نزول الرحمه علی طالب العلم أن یوفّق فی حیاته ویری برکات علمه.

ومنها : سـعاده الدنیا ، والسعاده کلّ واحد یطلبها (۱) ، وأمیر المؤمنین (علیه السـلام) یقول : « إنّکم إن زهدتم خلصـتم من شقاء الدنیا وفزتم بدار البقاء ».

ومنهـا : الحرّیه ، وهی اُنشوده الأـحرار فی العـالم ، ومـا أکثر الـدماء التی سـفکت من أجلها ، ولکنّ أمیر المؤمنین (علیه السـلام) یقول : « من زهد فی الدنیا أعتق نفسه وأرضی ربّه ».



---

۱- ۱. ذکرت مفهوم السـعاده ومن هو السـعید من خلال آراء الأعلام والروایات والآیات فی کتاب (السعید والسعاده بین القدماء والمتأخّرین) ، وهو مطبوع ، فراجع.

ومنها : العزّ والكرامه ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أفلح الزاهد فى الدنيا ، حظى بعزّ العاجله وبثواب الآخره ».

ومنها : الراحه واستهانه المصيبات ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

« الزهد فى الدنيا الراحه العظمى ».

« السلامه فى التفرّد ، الراحه فى الزهد ».

« من زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ».

« من زهد فى الدنيا هانت عليه مصائبها ولم يكرهها ».

« من زهد فى الدنيا استهان بالمصيبات ».

« الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن ، والرغبه فيها تتعب القلب والبدن ».

« الرغبه تورث الهمّ والحزن ».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إنّ الزاهد فى الدنيا يريح ويريح قلبه وبدنه فى الدنيا والآخره ، والراغب فيها يتعب قلبه وبدنه فى الدنيا والآخره ».

قال الإمام علىّ (عليه السلام) : « من زهد فى الدنيا لم تفته ، من رغب فيها أتعبته وأشقته ».

وفى وصاياه لولده الحسن (عليه السلام) يقول : « يا بنى ، فإن تزهد فيما زهّدتك فيه وتعزف نفسك عنها ، فهى أهل ذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتى إيّاك فيها ، فاعلم يقيناً أنّك لن تبلغ أملك ولا تعدو أجلك ، فإنّ فى سبيل من كان قبلك ، فخفّض فى الطلب وأجمل المكتسب ».

ومنها : الغنى ، قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « لن يفتقر من زهد ».

ومنها : الحكمه التى هى ضالّه المؤمن ، أين وجدها أخذها ، وإنّها من الخير الكثير ، وتزيد على الدنيا وما فيها ، فإنّها متاع قليل ، فمن ثمرات الزهد الحكمه ،

وإنّما تثمر مع الزهد ، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « مع الزهد تثمر الحكمه ».

ومنها : الصبر ، الذى هو أساس الأخلاق ، قال الإمام الكاظم (عليه السلام) : « إنّ أصبركم على البلاء لأزهدكم فى الدنيا » ، فبين الزهد والصبر تلازم ، فمن صبر زهد ، ومن زهد صبر.

ومنها : اجتناب الحرام وترک المعاصی ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « أزهد الناس من اجتنب الحرام » ، فالزهد يوجب ترک الحرام وترک الحرام يوجب الزهد.

وهناک فوائد وثمرات كثيره لمن زهد فى هذه الدنيا الدنيّه وزخرفها وزبرجها ، ويكفى فى دناستها وخسّتها ، أنّها مطلوبه الظالمين والفاسقين والكفّار والمنافقين.

الله الله فى الزهد ، فلا يفتنک يا طالب العلم ، أيّها الأخ العزيز ، فكما قال مولانا وإمامنا الصادق (عليه السلام) : « ألا من صبّار كريم ، وإنّما هى أيّامٌ قلائل ».

فعلينا أن نصبر فى هذه الأيّام القلائل لسنين ، صبروا أيّاماً قليله وأعقبتهم أيّاماً طويله فى راحه وجنّه نعيم ، عند مليك مقتدر فى مقعد صدق ، يطوف عليهم الحور العين والولدان المخلّدين بأكواب وأباريق ، تجرى من تحتهم الأنهار ــ رزقنا الله وإيّاكم ــ.

فكن يا طالب العلم الإلهىّ زاهداً وابحث عن الزهّاد وعاشرهم وصاحبهم وخذ الحكمه والعلم منهم ، وافعل كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، إذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه » ، ولا تقل فى الدنيا قول الزاهدين وتعمل فيها عمل الراغبين ، فكن الأُسوه الحسنه والقدوه الصالحه ، ولا تفعل ما تندم عليه فى الدنيا والآخره.

هذه جمله من الروايات الشريفه فى فضل الزهد ومقامه الشامخ وآثاره فى

الدنيا والآخره ، وسلفنا الصالح جسّدوا آيات الزهد فی حياتهم.

فهـذا شـيخنا الأعظم الشـيخ الأنصاری (قـدس سـره) لمّا اشـتهر بالزعامه الـدينيه والمرجعيه بعثت الحكومه العثمانيه منـدوباً إليه ، فلمّـا دخل عليه وكان يتوقّع أن يعيش فی القصور الزاهيه حوله الحشم والخدم ، إلاّ أنّه رأى شيخاً جالساً على حصير عتيق وعلى رأسه عمـامه بيضـاء لابسـاً جبّه زهيـده الثمن ، ثمّ رآه قـام بنفسه وصبّ حليباً فی قـدح وأضاف عليه قليلا من الماء وقـدّمه إليه ، ولمّـا شـرب الحليب اسـتاذن منه الشـيخ على أنّ تلامـذته بانتظـاره للـدرس فـودّعه ، ولمّـا رجع المنـدوب فـأخبر القوم قائلاـ : وجدت الشيخ زاهداً كما أوصى نبیّ الإسلام بالزهد (۱).

كان صدر المتألّهين يعتقد بأنّ طالب العلم يجب أن لا يفكّر فی المال والجاه إلاّ ما كان ضرورياً لمعاشه ، وكان يقول : من طلب العلم للمال والجاه فإنّه موجودٌ خطر ، يجب الحذر منه.

وفی جلسـات درسه كـان يقـول : تعلّم العلم والفنّ بـدون جـوهره أشـبه مـا يكـون بتمكين قـاطع الطريق من الخنجر ، إنّ تمكين الزنجی السكران من الخنجر أفضل من وقوع العلم بيد من ليس أهلا له.

وسـلفنا الصالح كان يطلب العلم للعلم ، ولتبليغ الرساله وهدايه الناس ، وللأجر والثواب ، لا للمال والمنال والجاه والمقام واحترام الناس وما شابه ، فكانوا يدرسون ليصبحوا علماء صلحاء حتّى إذا علموا بأنّهم سيعيشون الفقر والحرمان المادّی حتّى آخر يوم من حياتهم.

فالزهد عنوان رجل الدين ، وخلقه الأوّل والأخير ، وإليكم هذه القصّه فی



---

۱- ۱. قصص وخواطر : ۲۲۸.

الزهد : لمّـا وضع الاسكندر فى تابوته ، قيل للعلماء : تكلّموا فقد كان يسمع إليكم وينصت لكم ، وكان اثنى عشر عالماً.

فقال الأوّل : يا أيّها الساعى المتعصّب! جمعت ما خانك عند الاجتماع ، وودّعك عند الاحتياج ، فلا قرابه يعضدك ، ولا وزير يفتقدك.

وقال الثانى : قد ذهبت زهره بهجته كما ذهب شعاع الشمس بنور النبات.

وقال الثالث : هذا الاسكندر صاحب الأُسراء أصبح اليوم أسيراً.

وقال الرابع : قد أمنك من كان يخافك ، فهل أمنت من الذى كنت تخافه؟

وقال الخامس : بل هل أمنت ما كنت تخاف نزوله بك؟

وقال السادس : اُنظروا إلى حلم النائم كيف انقضى ، وإلى ظلّ الغمام كيف انجلى.

وقال السابع : قد كان هذا الشخص يسأل عمّا قبله ، ولا يسأل عمّـا بعده.

وقال الثامن : ورد علينا هذا الجسد بما كان يستبقيه.

وقال التاسع : ما أرغبنا فيما فارقت وأغفلنا عمّـا عاينت!

وقال العاشر : ما أبعد شبه مكانك الذى أنت به اليوم من مكانك الذى كنت به الأمس!

وقال الحادى عشر : لم يقضِ هذا الجسد نهمته من هذه الدنيا حتّى قضت الدنيا نهمتها منه.

وقال الثانى عشر : أنت أمس كان أنطق منك اليوم ، وأنت اليوم أوعظ منك بالأمس.

من الديوان المنسوب لأمير المؤمنين على (عليه السلام) :

أضحت قبورهم من بعد عزّهم ***تسفى عليها الصبا والحرجف الشمل

لا يدفعون هواها عن وجوههم ***كأنّهم خشب بالقاع منجدل

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ***أين الأسرّه والتيجان والحلل؟

أين الوجوه التى كانت منعّمه ***من دونها تضرب الأستار والكلل؟

فأفصح القبر عنهم حين ساءله ***تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قال طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ***فأصحبوا بعد طول الأكل قد اُكلوا (۱)

أجل ، من نظر إلى حقيقه الدنيا ، فإنّه يزهد فيها لا محاله.

ومن زهد طالب العلم أن لا يعجل للتصدّى إلى مسؤوليه التدريس وإمامه الجماعه ، وما شابه ذلك ، بل لا يكون منه ذلك حتّى تكمل أهليّته ، ويظهر استحقاقه لذلک على صفحات وجهه ونفحات لسانه ، وتشهد له به صلحاء مشايخه وأساتذته. ففى الخبر الشريف : « المتتبع لما لم يعطَ كلابس ثوبى زور » ، وقال بعض الفضلاء : من تصدّر قبل أوانه فقد تصدّى لهوانه ، وقال آخر : من طلب الرئاسه فى غير حينه ، لم يزل فى ذلّ ما بقى ، وأنشد بعضهم :

لا تطمحنّ إلى المراتب قبل أن ***تتكامل الأدوات والأسباب

إنّ الثمار تمرّ قبل بلوغها ***طعماً وهنّ إذا بلغن عِذاب (۲)

وقد شاهدنا فى عصرنا هذا كم من أشخاص ادّعوا المرجعيّه قبل أوانها فذلّوا ، وكم تصدّى لتدريس درس الخارج وهو شابّ لم يبلغ الحلم فى العلم والأدب فأهان نفسه ، وأصبح فى خبر كان.

وكم من مرجع ورع تقى قد زهد فى الرئاسه ، وفرّوا منها ، فأتتهم ذليله



---

۱- ۱. آداب النفس : ۱۰۰.

۲- ۲. منيه المريد : ۱۷۹.

حقيره ، وتصدّوا لها لأداء التكليف الشرعى ، لا طمعاً بها وحبّاً لها ، فاعتبروا يا ذوى النهى.

ومن الواضح جدّاً أنّ أبرز خصيصه فى القاده الإلهيّين فى الشرائع السماويّه المختلفه ، ولا سيّما فى دين الإسلام الحنيف ، هى البساطه والزهد واجتناب مظاهر الترف والكماليّات.

وكان السلف الصالح يوصون أهل العلم دائماً باجتناب البذخ والترف ، واختيار بساطه العيش ، والتزهّد فى حطام الدنيا ، ومظاهرها الخلاّبه.

وخير ما نقتدى به سيره المعصومين (عليهم السلام) ، فكانوا يعيشون بمنتهى البساطه والزهد ، والتأريخ حافل بالشواهد على ذلك.

فهذه فاطمه الزهراء سيّده نساء العالمين (عليها السلام) ، جاء فى حديث طويل حولها : « فنهضت والتفّت بشمله لها خَلِقَه (باليه) قد خيطت فى اثنى عشر مكاناً بسعف النخل ، كلّما خرجت نظر سلمان الفارسى إلى الشمله ، وبكى وقال : وا حزناه ، إنّ بنات قيصر وكسرى لفى السندس والحرير ، وابنه محمّد (صلى الله عليه وآله) عليها شمله صوف خلقه قد خيطت فى اثنى عشر مكاناً.

فلمّا دخلت فاطمه الزهراء (عليها السلام) على النبىّ (صلى الله عليه وآله) قالت : يا رسول الله ، إنّ سلمان تعجّب من لباسى : فوالذى بعثك بالحقّ ما لى ولعلىّ (عليه السلام) منذ خمس سنين إلاّ مسك كبش نعلف عليها بالنهار بعيرنا ، فإذا كان الليل افترشناه ، وإنّ مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف ، فقال النبىّ (صلى الله عليه وآله) : يا سلمان ، إنّ ابنتى لفى الخيل السوابق (1).

يقول السيّد الإمام الخمينى (قدس سره) : « يجب أن تكون حياه الروحانيين بسيطه ،



---

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۳۷۹ ، عن البحار ۴۳ : ۸۸.

الذی حفظ الروحانیّه وجعلها تتطوّر إلی هنا ، بساطه العیش ، أُولئک الذین کانوا منشأ آثار کبیره فی الحیاه التزموا ببساطه العیش ، أُولئک الذین کانوا موجّهین لدی الناس ، وکان الناس یلتزمون بتعالیمهم ، التزموا ببساطه العیش.

کلّما مشیت خطوه واحده باتّجاه أن یکون بیتک أحسن ، نقص من معنویّتک من قیمتک بنفس ذلک المقدار ، قیمه الإنسان لیس بالبیت ، ولا بالحدیقه ، لو کانت قیمه الإنسان بمثل هذا لاهتمّ به الأنبیاء ، قیمه الإنسان لیست بأن یکون له ضجیج وعجیج وسیاره فخمه ، أن یکون کثیر الذهاب والإیاب ، قیمه الروحانیه لیست بأن یکون للروحانی جهاز ، مکتب ومفکّره ».

یقول بعض خواصّ الإمام علیه الرحمه : کان الحرّ فی النجف الأشرف شدیداً جدّاً ، وکانت تصل درجه الحراره أحیاناً إلی ۵۰ درجه ، وذات یوم ذهبت مع عدد من الإخوه للإمام وقلنا : سیّدنا الحرّ شدید وأنت مُسنّ ، وبما أنّ حرّ الکوفه معتدلا فلماذا لا تذهب إلیها کما یذهب الآخرون.

قال فی الجواب : وکیف أذهب إلی الکوفه من أجل بروده هوائها ، وإخوانی فی إیران فی السجن.

نقل عن بنت الشیخ الأنصاری أنّها قالت : فی أیّام الطفوله ، عندما کنت أذهب إلی المدرسه ، کان الأهالی یرسلون الطعام أحیاناً إلی المدرسه لیتناول الطالبات الطعام مع المعلّمه ، ذات یوم قلت لوالدتی : إنّهم یحضرون معهم ألوان الأطعمه وأنت ترسلین لی الخبز والکرّاث فقط ، إنّی أخجل من ذلک ، سمع الشیخ کلامی فقال منزعجاً : من الآن فصاعداً أرسلی لها خبزاً فقط ، حتّی تصبح تتذوّق الخبز والکرّاث.

لم یکن الشیخ الأعظم قدوتنا فی العلم والعمل یملک أیّه ثروه ، وکان یکتفی

دائماً بأقلّ ما يقنع به ، كما كان أليف الضائقه المادّيه والإعسار ، كان يقول : أنا شخص فقير ، يجب أن أعيش كواحد من الفقراء (۱).

وكان رسول الله محمّد (صلى الله عليه وآله) يقول : أنا مسكين وأحبّ المساكين واُجالس المساكين.

فماذا تقول أنت يا طالب العلم فى حياتك وسيرتك _ الذاتيّه والأخلاقيّه _؟

فاصبر صبراً جميلا ، وعليك بالجهاد الأكبر ، وتخليه القلب من الصفات الذميمه ، وتحليه الروح بالسجايا الحميده ، وتجليتها فى سيرك إلى الله سبحانه ، حتّى تصل إلى كمالك المنشود ومقامك المحمود ، ليس ذلك إلاّ التخلّق بأخلاق الله عزّوجلّ والتحلّى بصفات الأنبياء والأئمه الأطهار (عليهم السلام) ، فأنت وارثهم فيما يحملون من المسؤوليّات الثقيله والمقامات الرفيعه.

وإنّما تنال ذلك بالعلم والعمل الصالح ، بالورع والتقوى.

وقد ذكر علماء الأخلاق مراتب أربعه للورع ، بين الواحده والاُخرى ممّا عليه الناس وطلاّب العلوم الدينيّه مسافات بعيده المدى ، فالورع يتفاوت بين الناس فى مراحل :

۱-المرحله الاُولى سمّيت بورع التائبين : وذلك حين يمنع العبد إيمانه من ارتكاب المحرّمات خوفاً من المولى تبارك وتعالى أن تنطبق عليه صفه الفسق فى دينه ، واتّباع الشيطان ، وهذا ما يسمّى بتقوى العامّ _ كما مرّ _ فإذا ترقّى فيه ذلك الخوف اتّصف :

۲-بورع الصالحين : وذلك حين يمتنع عن اقتحام الشبهات خوفاً من ارتطامه فى المحرّمات ، لأنّ من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه ، فيدع ما يريبه



---

۱- ۱. سيماء الصالحين : ۳۹۴.

إلی ما لا یریبه ، وهذا ما یسمّی بتقوی الخاصّ ، ویترقّی عنده هذا الشعور أو الخوف فیصبح ورعه :

۳-ورع المتّقین : وذلک حین یبتعد عن المباحات خوفاً من أن تجرّه إلی المحرّمات والمکروهات کمن یتوقّف عن ذکر أحوال الناس ــ المباح ــ خشیةً من أن یجرّه إلی الغیبه المحرّمه ، وهذا یسمّی بتقوی الخاصّ الخاصّ ، ویترقّی هذا الخلق فی بعضهم حتّی یکون من المقرّبین فینهیه إلی :

۴-ورع السالکین : إذ یکون حینئذ قد توحّدت غایاته فی غایه واحده ، والتقت أهدافه فی هدف واحد هو ذکر الله تعالی والعمل بما یحبّه الله تعالی ، فیتجنّب کلّ خوض فی غیر ذلک الله ، ویستغفر من کلّ لذّه لیس فیها اسم الله ، ویمتنع عن کلّ سعی إلاّ ما یحبّه الله تبارک وتعالی له.

فهی وإن کانت مباحه لا یخشی أنّها تجرّه إلی المحرّمات ، ولکن فلسفته فی الحیاه المستمدّه من إیمانه العمیق تزهّده فی کلّ أمر لا یؤدّی إلی الغایه التی من أجلها خلقه المولی وبها امتنّ علیه.

فکلّ حدیث غیر الله عزّوجلّ یعدّ عنده لغوٌ فارغ ، لأنّه لا یحقّق الهدف الأسمی الذی یسعی لتحقیقه ، أو لأنّه یحجبه عن محبوبه الذی لا یرغب أن یحجبه شیء عنه ، وکلّ حرکه وسکون فی غیر ما یحبّ الله فضول لا یرضاه لنفسه ، وهو یأخذ نفسه بالجدّ والحزم فی اُموره کلّها (۱).

وأنتم یا طلاّب العلوم الدینیه والفضائل دعیتم فی سیرتکم الأخلاقیّه ــ العلمیّه والعملیّه ــ إلی مثل هذا الورع السامی والکامل ، وإلی ربّک المنتهی ، ولا حول ولا قوّه إلاّ بالله ، وإنّا لله وإنّا إلیه راجعون.



---

۱- ۱. من مقدّمه کتاب (الطریق إلی الله) : ۱۲.

## الفهرست


الإهداء.................................................................... ٣

المقدّمه.................................................................... ۵

الدرس الأوّل : ما هو الأدب ولماذا الآداب الإسلاميه؟............................... ٢١

الدرس الثانى............................................................... ٣٧

الأمر الأوّل : حسن النيّه والإخلاص وطهاره النفس.............................. ٣٧

الدرس الثالث.............................................................. ۵۵

الأمر الثانى : اغتنام الفرصه.................................................. ۵۵

الأمر الثالث : قطع العلائق المانعه من تحصيل العلم.............................. ۶١

الأمر الرابع : عدم الزواج المبكّر.............................................. ۶٢

الدرس الرابع............................................................... ۶٣

الأمر الخامس : ترک العِشره ومدح العزله....................................... ۶٣

الدرس الخامس............................................................. ٧١

الأمر السادس : الحرص على التعلّم........................................... ٧١

الأمر السابع : علوّ الهمّه..................................................... ٧٣

الأمر الثامن : رعايه ترتيب العلوم............................................ ٧۴

الدرس السادس............................................................. ٧٧

الأمر التاسع : اختيار المعلّم الصالح........................................... ٧٧

الأمر العاشر : تعظيم المعلّم والتواضع له...................................... ٨۵

الأمر الحادى عشر : رعايه آداب محفل الدرس................................... ١٠٢

الدرس السابع............................................................... ۱۰۷

الأمر الثانی عشر : حسن الخلق والحلم........................................ ۱۰۷

الأمر الثالث عشر : عفّه النفس وعزّتها......................................... ۱۱۵

الدرس الثامن............................................................... ۱۲۷

الأمر الرابع عشر : الدعاء والتوسّل وصلاه اللیل................................ ۱۲۷

الدرس التاسع............................................................... ۱۴۷

الأمر الخامس عشر : مداراه الناس ورعایه الآداب الاجتماعیه.................... ۱۴۷

الدرس العاشر............................................................... ۱۵۹

الأمر السادس عشر : الزهد والحیاه المتواضعه.................................. ۱۵۹

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ( (sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.